حديث الحقائق

عن قدر

سيد الخلائق

فوزي محمد الوزير

مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية

الطبعة الثالثة

دار الإيمان والحياة

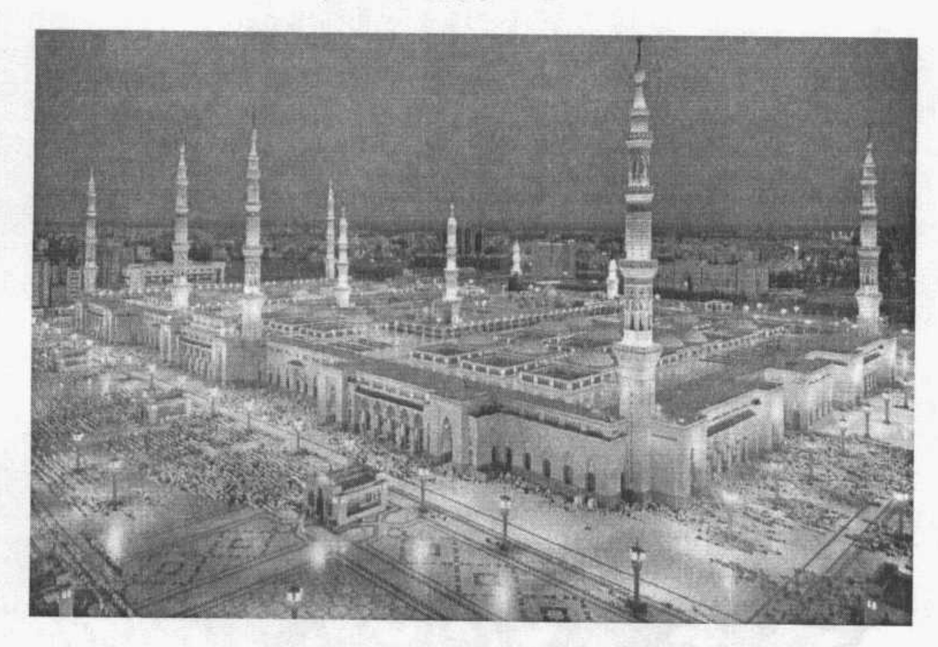


الطبعة الثالثة : ١٤ جُمادَى الأولى ١٤٢٧ هـ ، ١٢ يونيه ٢٠٠٦ م
الطبعة الثانية : ١٤٢٤ هـ ،٢٠٠٣ م ، الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ ،١٩٩٥ م

رقم الإيداع المحلي : ٢٠٠٦/١١٧٤١
الترقيم الدولي I.S.B.N. : 977-17-3522-5

طبع في : دار نوبار للطباعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



هُوَ الحَبِيبُ الَّذِى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ✦ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

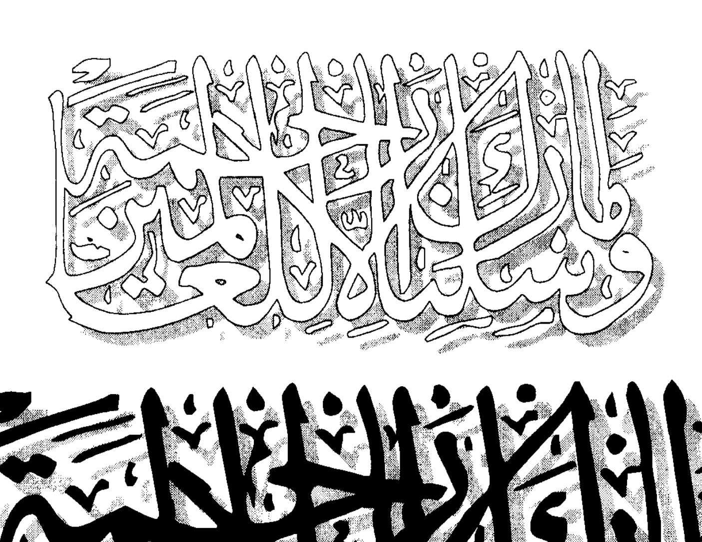
دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ✦ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

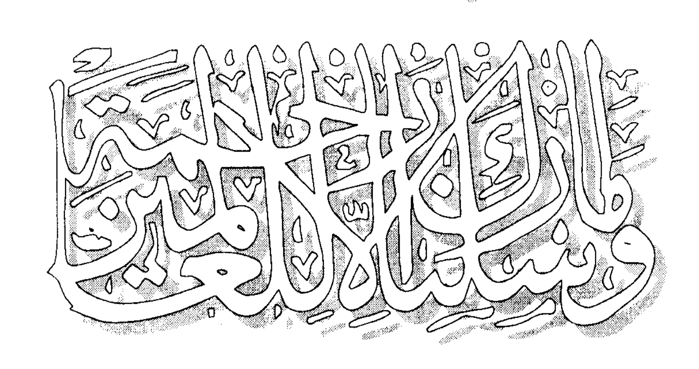
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَ فِي خُلُقٍ ✦ وَ لَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَ لا كَرَمِ

وَ كُلُّهُم مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ✦ غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

الإمام البوصيري




وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين


وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُولي النِّعم ، والشُكر لله باري النِّسم .....

والصلاة والسلام علي من اختاره الله منذ القدم إماما للرسل والأنبياء ، وسيدا للعرب والعجم ،..... سيدنا محمد وآله وصحبه ، وكل من تعلق به أو سار علي هديه إلي يوم الـــدين ...... آمين ....

وبعد ....

فنظرا لما أَلَمَّ بالمسلمين من أحداث في هذه الأيام ، تتمثل في محاولة الكـــافرين والجاحدين والمشركين النيل من الإسلام والمسلمين ؛ وذلك بالتجني علـــي مبادئـــه ، والادعاءات الكاذبة علي أهله ، والهجوم الدنيئ علي نبيِّه ﷺ .

مستغلّين فى ذلك إمكاناتهم المادية ، ومعـــداتهم التكنولوجيـــة ، ووســـائلهم الإعلامية الشَّيطانية ، رأي بعض الإخوة الصادقين ذوي الحميَّـــة الدينيَّـــة ، والمحبَّـــة الخالصة للحضرة المحمديـــَّة ؛ أن نقوم بإعادة طبع هذا الكتاب 📖 :

{{ *حديث الحقائق عنْ قدر سيِّد الخلائق* }} ... للمرَّة الثالثة .

وذلك طمعا في تأجيج الشوق في قلوب المسلمين نحو نبيهم ﷺ ، وتبصيرهم بمكانته الكريمة عند ربِّه ، وبيان علو شأن الإسلام وأهله ، بسرِّ رسالته وبركة نبوَّته ، فاستخرنا الله تعالي في إعادة طبعه للمرَّة الثالثة .

مع علمنا يقينا أن الإسلام ، ونبيَّه ، وكتابه ، وأهله ؛ في علو دائم ، وسيزيـــد

ويستمرُّ إلي يوم الدين ، وما كيدُ الكافرين بأقوالهم.. ، وأفعالهم.. ، ورسـومالهم... ؛ إلا كما يقول ربُّ العالمين ..... مبشِّرا عباده المسلمين في كل وقت وحين :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ ﴿ سورة الصف ﴾

أسأل الله تعالي .... أن يعزَّ الإسلام ، ويعلي شأن المسلمين ، وأن يبصِّرهم بأمور دينهم ، ويوفّقهم للعمل بشرعه وكتابه المبين ، مقتدين برسوله ونبيِّه المكين .

كما نسأله عَجَلَّ أن يجازي كل من ساهم في إعادة طبع هذا الكتاب أو نشره ، عنّا وعن المسلمين أجمعين خير الجزاء ، وأن يرزقهم صفاءاً ، ونقاءاً ، ونوراً ، وجمالاً ، وبهاءاً، وأن يمتِّعهم في الدنيا والآخرة بمعيّة الصَّالحين والأنبياء.....

وصلَّي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم



: الجميزة ـ محافظة الغربيـة .
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنـت
WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكتروني E-mail :
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعتين الأولى و الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واهب الحياة ...

وله وحده تخرّ الجباه ، فالملك والملكوت ، والعلو والسفل كلها تخضع لربوبيته ، وتخشع لعظمته ، وتقرُّ بوحدانيته ، وتطمع أن تنال مقام العبودية لحضرته :

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ سورة مريم

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ....

العالي القدر ، العظيم الجاه ، الذي قرَّبه مولاه وأدناه ، وصَفَّاه ، ورقَّاه إلى ما لم يصل إليه أحد سواه .

وآله وورثته ، وكل من سار على هديه وسيرته ، وعمل بشريعته وأحيا سنته ، آمين يارب العالمين .... وبعد ....

فإن الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ مُتشعِّب الأطراف ، مُتعدِّد النَّواحي .

لأن البشرية على مدى عصورها ، وإختلاف أزمانها ، لم تستوعب سيرة لعظيم من عظمائها ، كما استوعبت سيرة هذا السيِّد العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

فقد سجَّل عليه معاصروه بعيونهم الفاحصة ؛ كلَّ حركاته وسكناته ؛ في بيته ، ومع زوجاته ، وفي المسجد بين أصحابه ، وفي جهاده مع أعدائه ، وفي عباداته الخاصة التي انفرد بها مع ربِّه عَزَّ وَجَلَّ ؛ حتى ما حدث بسببه قبل ولادته ، وما رأته أمه أثناء حمله وولادته ، وما كان عليه في طفولته وشبابه !!..فلم يتركوا شاردة ولا وارده تتعلق بهذا السيِّد العظيم ؛ إلا ورووها بالأسانيد الصحيحه ، بعد توثيق سندها ومتنها ؛ ولذا كان من الصعب على أي إنسان ، مهما كان إجتهاده وقدره في العلم ؛ أن يحيط بناحية واحدة من نواحي سيرته صلى الله عليه وسلم ، ناهيك بنواحي عظمته كلها .....فكان أن ألَّف بعضهم في :

١- دلائل نبوته : كما فعل أبو نعيم ، والبيهقي .

٢- ومنهم من ألَّف في شمائله : مثل الترمذي ، والقاضي عياض في كتاب (الشّفا) ، وأجمعها (المواهب اللدنيِّة) للقسطلاني ، وشرحه للزرقاني .

٣- ومنهم من ألَّف في معجزاته : كابن دحية ، والنبهاني في كتابه (حجة الله على العالمين في معجزات سيِّد المرسلين) .

٤- ومنهم من جمع خصائصه ؛ كأبي الربيع بن سبع في كتابه (شفاء الصدور) ، والسيوطي في كتابه (الخصائص) .

٥- ومنهم من ترجم لأصحابه مثل ابن عبد البر في (الاستيعاب) وابن الأثير في (أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة)، وابن حجر في (الإصابة فى تمييز الصحابة) .

٦- ومنهم من شرح أقواله ؛ مثل ابن الأثير ، والطبري في (التاريخ) ، والمقريزي في (إمتاع الأسماع) .

٧- ومنهم من حاول أن يجمع سيرته ؛ كابن هشام ، وابن سعد ، وأشمل كتاب في هذا الباب هو (السيرة الشاميَّة) أو (سبل الهدى والرشاد في هدى خير العباد) ، الذي ذكر صاحبه الحافظ الشامى أنه جمعه من ثلاثمائة كتاب .

٨- ومنهم من اختصر هذه السيرة ؛ كابن سيد الناس في كتابه (عيون الأثر).

٩- ومنهم - وذلك في العصر الحديث - من ركَّز على القضايا التي يختلقها المستشرقون للنيل من منزلته ﷺ ، فساقها ، ثم ردّ عليها ، مثل محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ، والعقاد في كتابه (عبقرية محمد) .

١٠- ومنهم من ركَّز على معجزات أقواله التي لم يكشف حقائقها العلم إلا في عصرنا الحديث ، وهي كَمٌّ كثيرٌ جداً منها (معجزات في الطب للنبي العربي) لمحمد سعيد السيوطي وكل كتب الطب النبوي .

وبالجملة ، فالحديث عنه ﷺ شعابه متنوعة ، ومجال الكلام فيه ذو سعة !!.

وفي الحقيقة ، إن المسلمين في كل زمان ومكان ، لكي ينهضوا من كَبْوتهم ، ويجمعوا شمل أمّتهم ، ويرفعوا راية نهضتهم ، لابد أن تُوضع بين أيديهم سيرة صاحب الرسالة عليه السلام ، كاملة مفصّلة ، ليكون أمامهم المثل الأعلى في الخلق الرضي والشمائل المحمودة ، وليقرءوا فيها صحائف حياته الكريمة في التضحية والإيثار والبر والإحسان ، وليعرفوا النّبع الصافي والمنْهل العَذْب ، فيما جاء به من شريعة سمحة وعقائد نقيّة ، هي القدوة الطيِّبة في العدل والمساواة ، ومسايرتها للزمن فيما يصلح الناس في دنياهم وآخرتهم في أقطار الأرض جميعاً .

وقد كان لأئمة الصوفية عناية خاصة برسول الله ﷺ بعد أن وجَّه الله ﷻ إلى ذلك في قوله سبحانه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الأحزاب

فعلموا أن متابعته تُكسب العبد محبَّة الله ..... ، ومحبَّته ترفع العبد إلى أعلى

درجات الإيمان بالله .... ، والصلاة والتسليم عليه باب الوصول إلى حضرة الله .... ، ومشاهدة حضرته دليل على صدق العبد في اتباع هـداه .... ، والتشبه بأخلاقه والإقتداء بهديه أعظم الوسائل للفوز برضوان الله ...... !!!...:... فأقبلوا على هذه الأبواب ، وتعلّقوا بها ، ووجَّهوا إليها المريدين والأحباب .

فلما شربوا صافي كأس محبته ، أباح لهم شهود جمال حضرته ، فناولوا ذلك الشراب إلى أهل مودّته ، ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ :

كم جاهل نال علماً من مجالسهم ✳ أضحى حكيماً عليماً بالإشارات
أضحى وليًا له قلب ومعرفة ✳ يرى النبي عياناً حال خلوات
فصلاة له ومنه عليهم ✳ اخرجتهم فضلاً من الظلمات

وهم ﷺ يلجون هذا الباب بالعناية بالآيات القرآنية التي تتحدث عنه أو تشير إليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولهم في هذه الآيات مشاهداتٌ وأذواقٌ تعبِّر عن مكنون حبّهم ولواعج أشواقهم .... ؛ إذا ذكروها فإنها تُثير الغرام ....وتُحرّك الشوق في قلوب إخوانهم ، ومن أشهر من كتب منهم في ذلك :

الشيخ محيي الدين ابن عربي في كتابيه (الفتوحات المكية) ، و(شجرة الكون) ، والشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابيه (الإنسان الكامل) ، و(الكمالات الإلهية في الصفات المحمَّدية) ، والشيخ عبد العزيز الدباغ في كتابه (الإبريز) ، و الشيخ أحمد التجاني في كتابه (جواهر المعاني) .

وقد جمع معظم أقوال العارفين السابقين الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (جواهر البحار) ، كما جمع كل صيغ الصلوات على رسول الله ﷺ الواردة عن الصالحين في كتابه (سعادة الدارين) .

وممن اهتَّم بهذا الباب في عصرنا :

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في كتبه : (الطهـــور المدار) ، و (النــور المبين) ، و (الإسلام دين) ، و (شراب الأرواح) ، والدكتور محمد بن علــوى المـــالكي في كتابيه (الذخائر المحمديِّة) ، و (الإنسان الكامل) .

ولنا فى هذا مؤلفـــات مما أفـــاض الله علينا مثـــل (حديث الحقائق عن قـــدر سيِّد الخلائق) و هو الكتاب الذى بين يديك ، و(الكمالات المحمدية) ، و(الرحمـــة المهداة) ، و(إشراقات الإسراء) ، و(واجب المسلمين المعاصرين نحـــو رســـول الله صلى الله عليه وسلم) ، و (الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات، وهو مجلد من ستة أجـــزاء فى المناسبات الإسلامية خلال العام) ، و (أذكار الأبرار) ، و (مفـــاتح الفـــرج) ، كما يوجد الآن لنا تحت الطبع كتابان : (الـــصلوات الإلهاميـــة) ، و (الـــشمائل و الأنوار المحمدية) .، .... وحَصْر من كتبوا في هذا الباب أمر يطول .

ولما كان الناس قد انشغلوا في زماننا هذا بالأمور المادية ، وجعلوها تطغى على حياتهم الروحية ؛ فقد دأبنا على تذكيرهم بذلك ، وندعوهم في سبيل الـــتخلص مـــن سيطرة الحواس والأهواء ، والتعلق بأحوال المقرَّبين والأصفياء :

إلى استحضار الحبيب صلى الله عليه وسلم ، والتخلّق بأخلاقه ، والتّعلّق بشمائله ، والإكثار من الصلاة والتسليم عليه مع استحضار بعض صفاته ؛ لترسخ في الذهن ، وتحـــلَّ في القلب ؛ فتكسبه صفاءاً ، وتزيده نوراً .

وقد جمع بعض تلك المحاضرات الأخ التَّقي محسن محمود عبد الحي المقيم بمدينة بنها والذي يعمل في اتصالات بمركز بحوث الاتصالات التابع لوزارة الاتـــصالات ، وعاونه في ذلك الأخ الوفي المهندس محمد الدسوقي حامد العزاق الذي يعمـــل مـــدير إدارة الوحدات المتحركة بالسكة الحديد ، فجزاهما الله عنّا خير الجزاء .

وقد قمنا بمراجعتها بعد تنقيحها ، وتوثيق أحاديثها .

وهي في جملتها تتحدث عن حياته ﷺ النورانية ، وأطوارها النبوية ، وصفاته الربانيَّة ، ومقاماته الروحانيَّة ، مع الإشارة إلى بعض ما أحاطته به العناية الإلهية من بدء البدء إلى نهاية النهايات ، حتى تتنبَّه القلوب إلى فضل علام الغيوب ؛ فتتخلَّص من العيوب ، وتقبل على هذا المنهل الربَّاني فتشرب منه طهور المشروب :

﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ الإِنسَانِ

وإن كنت أرى أن ما ذكرته هنا عن الذات المحمدية ، لا يساوي ذرة رمل في صحراء واسعة ...!!!!...، ولا قطرة ماء في محيطات شاسعة ....!!!!....وإنما أبيِّن على قدري ....بما يشرح الله ﷻ به صدري .....

أما كمالات هذا الدّرى المنير الممنوحة من العلي القدير ، ففوق الإدراك والتصوير ، والأمر كما قال ابن الفارض رضي الله عنه :

أرى كل مدح في النبي مقصِّراً ✴ وإن بالغ المثنى عليه و أكثر
إذا كان الله أثنى بما هو أهله ✴ عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وكل ما أرجوه من وراء هذا العمل ؛ أن أنال رضاه ... ، أو أحظى ولو لمحة بنور محيّاه .... ، أو يكشف لي البراقع فأتمنى بالجمال الذي وهبه له الله .... ، و أقول لحضرته متمثلاً قول الإمام أبي العزائم رضي الله عنه :

على قدري أصوغُ لك المديحاً ✴ ومدحُك صاغه ربِّى صريحاً

ومن أنا يا إمام الرسل حتى ✳ أوفّى قدرك السامى شُرُوحاً
ولكنى أحبُك ملء قلبي ✳ فأسعد بالوصال فتى جريحا
وداو بالوصال فتىً مُعنّىٍ ✳ يرومُ القربَ منك ليستريحا

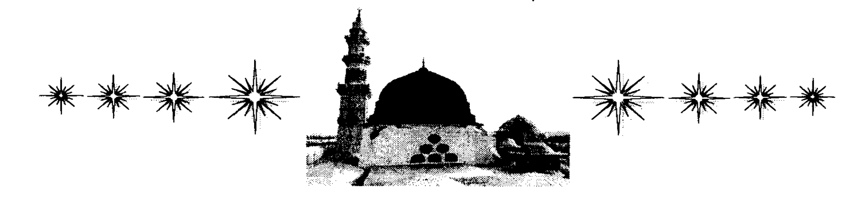
وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم ، حبيب قلبي ، ونور عيني ، وأنـــيس روحي ، وأجمعني عليه ﷺ روحاً وجسماً ، يقظة ومناماً ، حِـــلا وترحـــالا ، دنيـــا وآخرة ياربَّ العالمين .

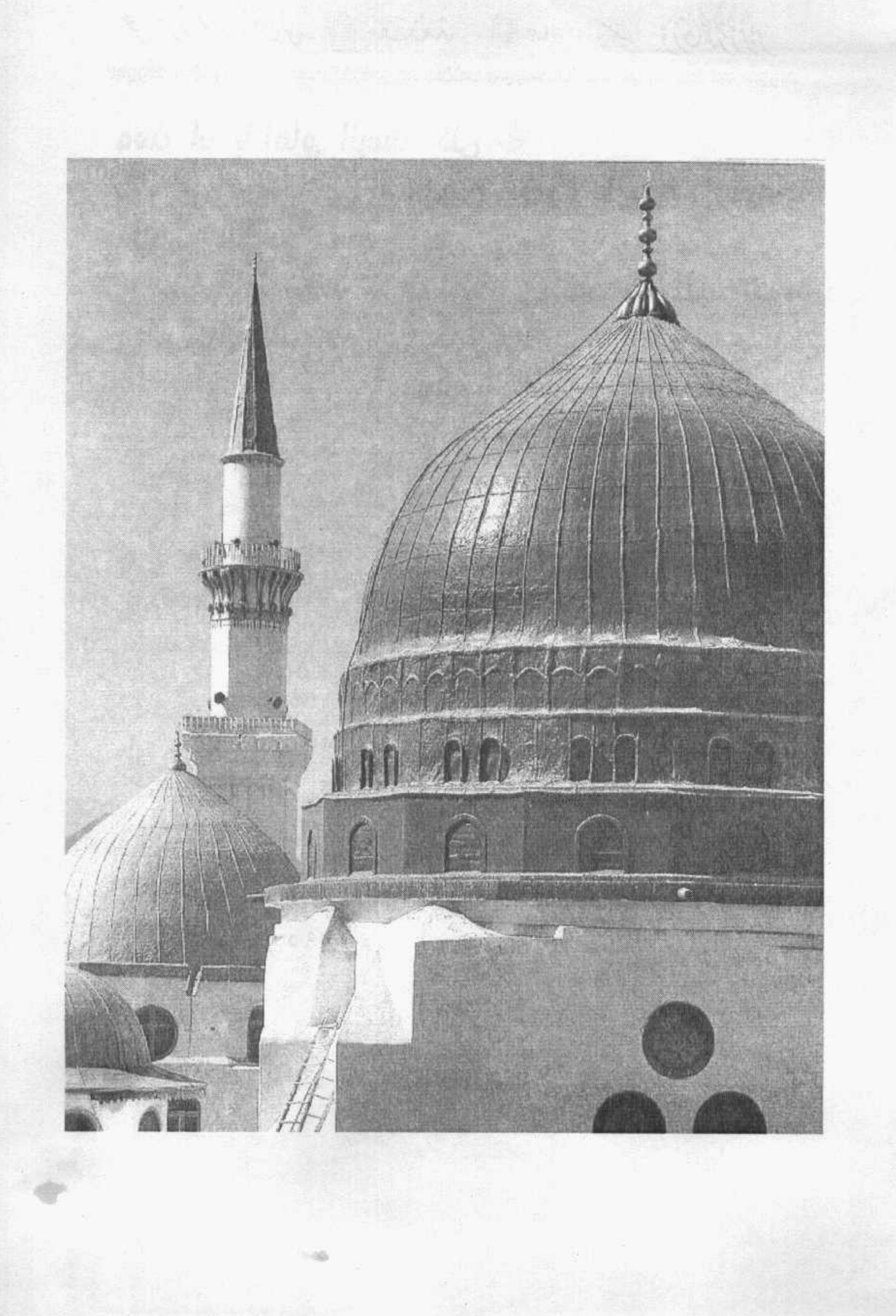
الفقير إلى فضل ربه القدير

فَوْزِي مُحَمَّد أبوزيد

الجِمَّيزَة – غربية

في يوم الإثنين :
غرة ذو الحجة ١٤١٥ هـــ
الموافق أول مايو ١٩٩٥ م .





الباب الأول



- حِكْمَةُ الإحْتِفَالِ بِمِيلادِ رَسُولِ اللَّه ﷺ
- النِّعَمُ الظَاهِرَةُ و النِّعَمُ البَاطِنَة
- شُكْرُ اللَّه عَلَى بِعْثَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ
- مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّه ﷺ
- فَجْرُ النُّورِ المُحَمَّدِي
- حَدِيثُ جَابِر
- مِيثَاقُ الأنْبِيَاء

قال صلى الله عليه وسلم

كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيّ رَبّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ

رواه ابن القطان في أحكامه عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أجمعين .

ظُهُورُ النُّورِ المُحَمَّدِي [1]

الحمد لله ...

الذي أنار القلوب بنور النَّبيِّ المحبوب ، وأضاء الملك والملكوت بإشراق شمس الحق للتحقيق والثبوت ، والصلاة والسلام على هذا النبي الكريم ، الذي اصطفاه الله من بريَّته ، وخصَّه بعنايته ، ووالاه بولايته ، وكشف له عن بديع جمال حضرته ، وجعله وحده يوم القيامة هو المخصوص بشفاعته .

نسأل الله أن يمنّ علينا ببركته ، وينظمنا في عقد معيَّته ، ويدرجنا في درجة ولايته ، ويكتبنا في منشور سعادته ، ويخصَّنا بشفقته ورحمته ، إنه ولي قريب ...آمين آمين يارب العالمين ......

سنبدأ إن شاء الله تعالى الحديث عن بداية إشراق النور المحمَّدي ، ونتابع تسلسل هذا النور في أطواره المختلفة ، حتى ظهور سيد الكائنات ﷺ

حِكْمَةُ الإحتفال بميلاد رَسُول الله ﷺ

وقبل أن نأخذ في هذا الحديث ..!.. ، نمهد تمهيداً عابراً بالإجابة عن هذا السؤال ..... : لماذا نحتفل جميعاً بميلاد رسول الله ﷺ ؟

نحتفل بهذا الميلاد لأسباب كثيرة ، أهمها ؛ أن هذا الفضل الذي نحن موجودون فيه الآن ، والعناية التي نحن فيها الآن هي بفضل الإسلام ، وبفضل الإيمان ، وبفضل

([1]) كانت هذه المحاضرة بدار الصفا بالجميزة ، غربية ،بمناسبة الإحتفال بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ عام ١٩٨٨م.

الهداية ، وبفضل القرآن ، وبفضل الأركان (أركان الإسلام) ..... وهذه الأشـــياء كلها ..!!.. من سببها ؟ ، ومن الذي أوصلها إلينا ؟

...... إنه رسول الله ﷺ !

إذن عندما نحتفل بالميلاد :

فكأننا نشكر الله على أنه أرسل لنا هذا الرسول الكريم فقد قال ﷺ :

﴿ مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ ﴾ [٢] .

أي من يصنع لك جميلاً ..؟.. فإنك تحاول أن تكافئه .... ، فإن لم تـــستطع ؛ فعلى الأقل تدعو له .

النِّعَمُ الظَّاهِرَةُ وَ النِّعَمُ البَاطِنَة .

ونحن عندما ننظر إلى الجمال الذي نحن فيه الآن ، والنعم التي غمرنا بهـــا الله ؛ نجدها تنقسم إلى نعمتين إثنتين مجملتين :

نعمٌ تســـمى	:	نعـــمٌ حسّية ، ونعـــمٌ تسمى نعمٌ معنوية .
أو بمعنى آخر	:	نعـــمٌ ظاهرة ، ونعـــمٌ باطنة .
أو بمعنى ثالث	:	نعـــمٌ فانية ، ونعـــمٌ باقية .
أو بمعنى رابع	:	نعـــمٌ دنيوية ، ونعـــمٌ أخروية .

(٢) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

أولاً : النِّعم الحسِّيَّة ، أو الظاهرة ، أو الدنيوية

وهذه النعم لنا ولغيرنا ؛ أي للمسلم ولغير المسلم ، فالكافر والمشرك أو الملحد كلهم سواء ، بل ربما يتفوق الكافر على المسلم فيها ..... ، فليس فينا من يبلغ ما وصل إليه سكان أمريكا أو غيرها مثل الدنمارك في هذه النعم الظاهرة ، في المال أو في الأكل أو في الملبس أو في الجسم أو في الجمال أو في المنصب أو القوة إلا القليل ..... حتى أن الدول الإسلامية بالنسبة لهذه الدول الآن ؛ كالسمك الصغير في البحر مع السمك الكبير ، وليس هذا فقط ، بل صار الأمر بيننا وبينهم كالأخطبوط يريد أن يأكل هذا السمك الصغير ،...... وهذا ليرينا الله أن هذه النعم الحسِّيَّة ليست محل نظر الله ، ولذلك قال فيها رسول الله ﷺ :

﴿ لو كانت الدُّنيا — وما فيها من النِّعم : من أشجار وأنهار وأطيار ، غير الإنسان ؛ لأن الإنسان محل عناية الله — تُساوي عند الله جناح بعوضة ؛ ما سقى الكافر منها جرعة ماء[٣] ﴾

فلهذا أعطاها للكافر ، لأنها لا تساوي شيئاً عنده ، فقال له : خذها ، لأنها ليس لها قيمة عندى ، فليس لها قيمة عند مالكها ومنشئها ومبدعها سبحانه وتعالى ، هذه هي النعم الظاهرة ، والكل يستوى فيها ، بل وقد يسبقونا فيها .

وتنقسم النِّعم الظاهرة إلى أقسام ثلاثة :

نعمٌ خارجك ، ونعمٌ فيك ، ونعمٌ من حولك .

---

(٣) رواه السيوطى فى جمع الجوامع ، و ابن المبارك و البغوى عن عثمان بن عبيد الله ، عن رجال من الصحابة .

فالنِّعم الخارجة عنك . :كالـــشمس ، والقمـــر ، والنجـــوم ، والأرض ، والحشرات ، وهذه كلها مسخَّرة للإنسان .

والتي فيك .: كالعين، والأذن، واللسان، والرجل، والفرج، والبطن، وغيرها .

والتي من حولك .: كالزوجة ، والأولاد ، والمال ، والوظيفة ، والأقارب .

شكر الله على بعثة رسول الله ﷺ

وهكذا فكل هذه النِّعم لك وحدك يا أيها الإنسان ، ولم يخلقهـــا الله ﷻ إلا لك ، وكل هذه النعم تحتاج إلى شكر لله عليك .

لكن كل هذه النعم لا تعادل نعمة واحدة مهمة جداً : مثل نعمة الإسلام ، أو نعمة الإيمان ، أو نعمة الهداية ...!!... ، فكل النعم الحسِّيَّة بجملتها لا تساوي نعمـــة واحدة من النعم الباطنة كنعمة الهداية أو الإحسان ...!!... إذن أيهما أكبر ؟ ....؟؟ إنها نعمة الإيمان ، والهداية ، وهي النعمة الباقية .

ونعمة الهداية من السبب فيها ؟ .. ومن الذي أوصلها إلينا ؟ .. إنه رسول الله ﷺ ، ..... فكلمات الله من الذي أسمعها لنا ؟ ..... رسول الله ﷺ .

وأركان الإسلام (الصلاة ، الصيام ، الزكاة ، الحج .... من الذي علَّمها لنا ؟
.... رسول الله ﷺ ....زز

والأخلاق الكريمة من الذي وضَّحها وبيَّنها لنا ؟ ...... رسول الله ﷺ .

والمعاملات الحسنة من الذي وضَّحها وبيَّنها لنا ؟ .. رسول الله ﷺ .

إذن عندما نحتفل بميلاد رسول الله :....فهذا يعني أننا نحتفل لنشكر الله على أنه بعث لنا هذا النبي ، ونقول له : نحن عاجزون عن الشكر على نعمة إرسال الرسول ،

وإختيارنا من أمته ، ويعنى ذلك أننا نقول له : لك الشكر على الإيمان ، ولك الشكر على الإسلام ، ولك الشكر على الهداية ولك الشكر على الصلاة والصيام والزكاة والحج والصدق والمروءة والشهامة ، وكل هذه القيم والمثل والمبادىء ... فنحن نحتفي ونحتفل به ﷺ لنشكر الله عَزَّ وَجَلَّ على كل تعاليم الإسلام لأنه هو الذي أتى بها .

ورسول الله ﷺ كان يحتفل بنفسه بهذا الميلاد ، فكان يصوم يوم الأثنين من كل أسبوع ، ولما سُئل ﷺ عن السبب في ذلك قال :

﴿ ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ [٤] ﴾

أي أشكر ربنا على أنه أخرجني إلى الحياة في هذا اليوم ، وأعطانا بذلك بياناً عملياً بأننا يجب علينا على الأقل أن نصوم هذا اليوم ، وننوي الصيام شكراً لله على بعثة رسول الله ﷺ ؛ وعندما ننوى الصيام نقول : نويت الصيام غداً شكراً لله على بعثة رسول الله ﷺ ؛ لأننا بدونه لا نساوي شيئاً ، وليس لنا شأن ولا منزلة عند الله عَزَّ وَجَلَّ إلا به ﷺ ، بل إن قيمتنا ، ومزيتنا ، وكرامتنا ، ودرجتنا ، وفخرنا كله به ﷺ ، والشرف ، والسيادة ، والهبات ، والأعطيات التي سنتنعم بها يوم القيامة ، كلها بسببه ﷺ ، ويكفي أن نسمع هذا الحديث لنتبيَّن ذلك ، قال ﷺ :

﴿ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ ؛ كَانَ أَوَّلُ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ أَنَا وَأُمَّتِي ، فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ – فَنَحْنُ الآخِرُونَ في الخَلْقِ ، الأَوَّلُونَ في الحِسَابِ – ثُمَّ نَسِيرُ فَتَتَفَتَّحُ لَنَا الأُمَمُ الطَّرِيقَ حَتَّى نَمُرَّ ، فَإِذَا رَأَوْنَا قَالُوا : تُوشِكُ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا أَنْبِيَاءَ ، فَإِذَا نُصِبَ

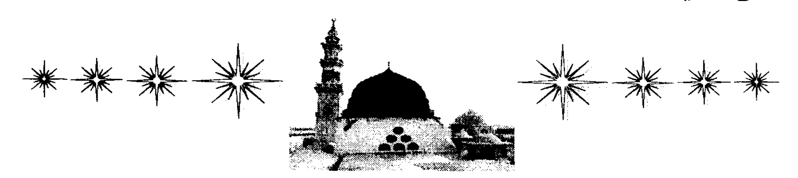
([٤]) رواه الطبراني ومسلم وأحمد وابن زنجوية عن أبي قتادة .

الصراطُ على جسورِ جهنَّم ؛ كنتُ أنا وأمَّتي أوَّلُ من نمرُّ عليه ، ثمَّ أسجدُ بين يدي ربِّي فيقولُ لي : يامحمَّد ، أدخِلْ من أمَّتِكَ من ليس عليهم حسابٌ من بابِ الجنَّةِ الأيمن ، وهم شركاءُ الأممِ في سائرِ الأبواب (°) ﷺ .

أي أن لهم حرية الحركة من أى باب ...!!... ، يعني :... يوم القيامة الأمم كلها تحيينا بالسلام ويفسحوا لنا الطريق ..!!.. فنحن الأواخر في الظهور في الدنيا ، ولكننا في الصف الأول بين يدي الله يوم القيامة ..!!.. ، وهذا من فضل الله عَزَّ وَجَلَّ علينا وإكرامه لنا ؛ ببركة رسول الله ﷺ .

فاحتفالنا به يعني شكر الله على هذه النعمة : ويكون ذلك بأن يحاول كل منَّا أن يقدم طاعة لله ، حيث أن الشكر هنا طاعة ، فيصوم يوماً ، أو يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، أو يعطف على بعض الفقراء والمساكين ، وهذا شكر لله ، أو يعمل على جمع إخوانه ، وبعض الفقراء ، ويهيِّءُ لهم ما تيسَّر من طعام ، أوشراب ، أو حلوى ، أو غيره ... ، فكل هذا يدل على الشكر لله على بعثة رسول الله ﷺ .

ونحن طبعاً لن نستطيع أن نشكر الله كما ينبغي ، لكن أقلَّ العمل يبلِّغ الأمل ، ويدلُّ على ما في القلب من محبَّة خالصة لله عَزَّ وَجَلَّ .



(°) رواه ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ميراث رسول الله ﷺ

وهنا نقطة ثانية : ...وهي أننا الآن أصبحنا – لأننا مسلمون – لنا الحق في هذه التركة التي تركها رسول الله ﷺ ؛ فكل من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، يكون له نصيبٌ في تركة رسول الله .

هذه التركة كم فدان أو كم مليون ؟ نريد أن نعرفها ليأخذ كل واحدٍ نصيبه ؟

سيدنا أبو هريرة ﷺ وأرضاه ، رأى سيدنا على في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ وحوله خمسة أو ستة ويدرِّس لهم ، وكان قد مرَّ على السوق ؛ فرأى السوق مليئاً على آخره .... فالذي يبيع ، والذي يشترى ، والذي ينادى ، والذي يبادل ، فرجع مسرعاً ... وهو يصيح :

يا أهل السوق .!. يا أهل السوق .!. ؛ فقالوا : ماذا تريد ؟ .. قال لهم :

أنتم ها هنا ! ، وميراث رسول الله يوزع في مسجده أسرعوا لتنالوا نصيبكم .!

فتركوا السلع ، وانصرفوا مسرعين إلى المسجد ، وقد اعتقدوا أن هناك كنز والرسول كان قد ادخَّره ولم يعرفوا ذلك إلا اليوم ، وأصحابه جالسين في المسجد ليوزعوه .. لأن هذا هو الذي يشغلهم !....

وعندما وصلوا إلى باب المسجد ؛ نظروا فلم يجدوا شيئاً مما يظنُّون .!. لا أموال .!. ولا فضة .!. ولا عقود .!. ولا حتى ملابس .!. ؟ فلا يوجد شيء ؟ فذهبوا إلى أبى هريرة لكي يعاتبوه ، وقالوا له :

أين التركة التي ذكرها لنا ؟ .!. قال لهم : وماذا رأيتم ؟ ..

قالوا : وجدنا عليا وحوله ثلاثة أو أربعة يدرِّس لهم العلم ، وثلاثة أو أربعة

جالسين في ركن يقرأون القرآن ، وآخرون جالسون في ركن ثالث يـذكرون الله ؛ فقال لهم :........... هذا هو ميراث رسول الله ،...... فقد قال رسول الله ﷺ :

﴿ نحن معاشر الأنبياء ، لا نورث درهماً ولا ديناراً ، وإنما نورث علماً ونوراً (٦) ﴾

فالوارثة علمٌ ونور .

إذن ...!!..:..كل واحد فينا له نصيبٌ من تركة رسول الله ، أي له نصيبٌ في العلم ، وله نصيبٌ في النور الذي أعطاه الله إياه ، وهذا حقك تطالب به ، فأنت تريد نصيبك من علم رسول الله ، سواء العلم الظاهر ، أو العلم الباطن ؛ فهما علمان .. :

(العلم علمان : علمٌ ظاهرٌ ؛ وذلك حجَّة الله على ابن آدم (الذي هو علم الشريعة) **، وعلمٌ باطن ، وهذا لا يعلمه كثيرٌ من الناس)**

(فليس كل الناس يعرفوه). وما العلم الباطن ؟ قال في شأنه رسول الله ﷺ :

﴿ علم الباطن سرٌ من أسرار الله ، وحكمة من حكم الله يستودعه في قلب من يشاء من عباده (٧) ﴾

أي هذا لإناس معينين .

فأنت لك نصيبٌ في هذا ، ولك نصيبٌ في هذا ، ولك نصيبٌ في النور الـذي ربُّنا أعطاه إياه صلوات الله وسلامه عليه ، ونحن نريد أن نرى نصيبنا في تركة رسـول الله ﷺ ..:

---

(٦) رواه الطبراني في مجمعه الأوسط بإسناد حسن .

(٧)أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر ، وابن عبد البر والخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر .

فأما العلم فقد رأيناه بحمد الله ، ولكننا نريد أن ننال نصيبنا في النور الذي أعطاه ربُّنا لسيدنا رسول الله .

فجر النور المحمدي

هذا النور متى أشرق ؟.. ومتى ظهر ؟.. وكيف تكوَّن ؟.. وما المراحل التي مر بها حتى أشرق على هذا الكون الفسيح بأرجائه ؟ ..

رسول الله ﷺ كان جالساً مع أصحابه ، وإذا بسيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه يسأل هذا السؤال :

يارسول الله !...ما أول شيء خلقه الله ؟..

طبعاً احنا فاهمين كلنا إن أول شيء خلقه الله : العرش والكرسي والقلم واللوح والجنَّة والنَّار والسماء والأرض ، وآخر حاجه خلقها آدم ، وهذا ما نعلمه ، لكن رسول الله ﷺ قال غير هذا ..!!.. ماذا قال ؟ ..

اسمعوا الحديث بقلوب واعية وآذان صاغية ، وسأقول سنده مع مراعاة أن معظمنا يعتقد أن كتب الأحاديث هي البخاري ومسلم ، ولا يعرف غيرهما .

مع أن كتب الأحاديث التي جمعت أحاديث رسول الله والتي نسميها كتب الصحاح ، تزيد على ثلاثين صحيحاً ، فمنها : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي ، وهؤلاء يسمون (الكتب الستة) ، وهناك بعد ذلك المسند للإمام أحمد بن حنبل ، ثم هناك حوالي ثلاثون صحيحاً جمعهم رجل هندي في كتابٍ واحد اسمه (كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال) في ستة عشر مجلداً ، والمجلد يزيد على ثمانمائة صفحة ..... وهذا لمن يريد معرفة صحَّة الحديث .

فالإناس المحدودون في العلم ، هم الذين يشترطون لصحة الحديث أن يكون في البخاري ومسلم ، ولا يقبلون الحديث المروىَّ في غيرهما وهذا كلام لا يصح ، لأن الذي كان يتكلم فيه رسول الله في اليوم الواحد يملأ البخاري ، أليست كل كلمة يقولها رسول الله حديث ؟.. حتى الكلمة العادية ! ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، وسواءاً قالها لواحد ؟ أو لجماعة ؟ أو في المسجد ؟ أو في الشارع ؟ أو في البيت ؟ ....

فكل كلمة حديث ، ولازم تكتب ، ومن وقت صلاة الفجر إلى ما بعد العشاء وهو يتحدث ، والذين من وراءه يكتبون ما يسمعون في صحفهم ، فكم صحيفة يكتبون كل يوم ؟ .فما بالك بثلاث وعشرين سنة قضاها كلها في الدعوة ليل نهار ؟

إذا كان الإنسان العادي يلقى خطبة فتطبع كتاباً ؛ وهي خطبة واحده ، فما بالك بالكلام المتصل ليلا ونهاراً ؟ .. أين يذهب ..؟؟؟...!!...

فكتب الأحاديث كثيرة ، وهناك علماءٌ متخصصون اسمهم علماء الحديث ، جمعوا هذه الأحاديث ، وصحَّحوها ، وبوَّبوها ، وأشاروا بدقة متناهية إلى إسنادها .

حديثُ جابر

والحديث الذي نتحدث عنه ، موجود في مسند اسمه مسند عبد الرازق ، وهو كتابٌ موجود ومتداول ، اسمه مسند الإمام عبد الرازق – رضي الله عنه وأرضاه – الصنعاني اليمني ، فيروى عن جابر رضي الله عنه قال :

{ سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن أوَّلِ شيءٍ خلقَهُ اللهُ تعالى ؟ فقالَ : هوَ نورُ نبيِّكَ يا جابر ، خلقَهُ اللهُ ، ثُمَّ خلقَ فيهِ كُلَّ خيرٍ ، وخلقَ بعدَهُ

كُلّ شيءٍ ، وحين خلقه أقامه قُدّامه في مقام القُرب إثنى عشر ألف سنةٍ ، ثُمّ جعله أربعة أقسامٍ ؛ فخلق العرش من قسمٍ ، و الكرسيّ من قسمٍ ، و حملة العرش و خزنة الكرسيّ من قسمٍ ، و أقام القسم الرّابع في مقام الحُبّ إثنى عشر ألف سنةٍ ، ثُمّ جعله أربعة أقسامٍ ؛ فخلق القلم من قسمٍ ، و اللوح من قسمٍ ، و الجنّة من قسمٍ ، و أقام القسم الرّابع في مقام الخوف إثنى عشر ألف سنةٍ ، ثُمّ جعله أربعة أجزاءٍ ؛ فخلق الملائكة من جزءٍ ، و خلق الشّمس من جزءٍ ، و خلق القمر و الكواكب من جزءٍ ، و أقام الجزء الرّابع في مقام الرّجاء إثنى عشر ألف سنةٍ ، ثُمّ جعله أربعة أجزاءٍ ؛ خلق العقل من جزءٍ ، والحلم و العلم من جزءٍ ، و العصمة و التّوفيق من جزءٍ ، و أقام الجزء الرّابع في مقام الحياة إثنى عشر ألف سنةٍ ؛ ثُمّ نظر الله عزّ وجلّ إليه ؛ فترشّح النّور عرقاً ؛ فقطرت منه مائة ألفٍ و عشرون ألفاً و أربعة آلافٍ قطرةٌ من النّور ، فخلق الله سُبحانه من كُلّ قطرةٍ رُوح نبيٍّ أو رسولٍ ، ثُمّ تنفّست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء ، و الشّهداء ، و السّعداء ، و المُطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة ، فالعرش و الكُرسيّ من نُوري ، و الكرُوبيون من نُوري ، و الرّوحانيّون

مِنَ الْمَلائِكَةِ مِنْ نُورِي ، وَ مَلائِكَةُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مِنْ نُورِي ، وَ الْجَنَّةُ وَ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مِنْ نُورِي ، وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ الْكَوَاكِبُ مِنْ نُورِي ، وَ الْعَقْلُ وَ الْعِلْمُ وَ التَّوْفِيقُ مِنْ نُورِي ، وَ أَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ مِنْ نُورِي ، وَ الأَوْلِيَاءُ وَ الشُّهَدَاءُ وَ الصَّالِحُونَ مِنْ نَتَائِجِ نُورِي ، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ اِثْنَي عَشَرَ حِجَابًا ؛ فَأَقَامَ اللهُ نُورِي وَ هُوَ الْجُزْءُ الرَّابِعُ فِي كُلِّ حِجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَهِيَ مَقَامَاتُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَهِيَ حِجَابُ الْكَرَامَةِ وَ السَّعَادَةِ ، وَ الْهَيْبَةِ ، وَ الرَّحْمَةِ ، وَ الرَّأْفَةِ ، وَ الْعِلْمِ ، وَ الْحِلْمِ ، وَ الْوَقَارِ ، وَ السَّكِينَةِ ، وَ الصَّبْرِ ، وَ الصِّدْقِ ، وَ الْيَقِينِ ، فَعَبَدَ اللهَ تَعَالَى ذَلِكَ النُّورُ فِي كُلِّ حِجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ النُّورُ مِنَ الْحُجُبِ ؛ رَكَّبَهُ اللهُ فِي الأَرْضِ ؛ فَكَانَ يُضِيءُ مِنْهُ مَا كَانَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ كَالسِّرَاجِ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ مِنَ الأَرْضِ آدَمَ ؛ فَرَكَّبَ فِيهِ النُّورَ فِي جَبِينِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى شِيثٍ ، وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ طَاهِرٍ إِلَى طَيِّبٍ ، وَ مِنْ طَيِّبٍ إِلَى طَاهِرٍ ، إِلَى أَنْ أَوْصَلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى صُلْبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَ مِنْهُ إِلَى رَحِمِ أُمِّي آمِنَةَ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَجَعَلَنِي سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ،

وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَقَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، هَكَذَا كَانَ بَدْءُ خَلْقِ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ (٨) ﴾

وربَّ سائلٍ يسأل :

أليس أول ما خلق الله آدم عليه السلام ؟ فنقول له : لا! لقوله ﷺ :

﴿ إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٩) ﴾ ، وفي رواية ﴿ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وقوله ﷺ :

﴿ كُنْتُ نُوراً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي ؛ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ (١٠) ﴾

وقد ورد في حديث آخر وإن كان ضعيف الإسناد (رواه بهاء الدين البيطار في كتابه النفحات القدسية ، وفى السيرة الحلبية أيضا منقولة عن كتاب " التشريفات فى الخصائص و المعجزات " وكلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ : مُنْذُ كَمْ أَنْتَ يَا أَخِي يَا جِبْرِيل (أى ما عمرك) ؟ فَقَالَ : لا أَدْرِي ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ كَوْكَباً يَظْهَرُ فِي الْحِجَابِ الرَّابِعِ كُلَّ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ

---

(٨) مسند الإمام عبد الرازق الصنعانى ، رواه عبد الرازق والبيهقي عن جابر رضي الله عنه .

(٩) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

(١٠) رواه ابن القطان في أحكامه عن على بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أجمعين

إثنين وسبعين ألف مرة ، فقال ﷺ : وعزة ربي جل جلاله ، أنا ذلك الكوكب ﴾ .

وهذا ما يؤيد قول الله ﷻ في الآية ٣٥ سورة النور :

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾

ميثاق الأنبياء

فهكذا كان بداية النور المحمَّدى ، ما ورد في الحديث :

﴿ أول ما خلق الله تعالى نوري الذي سماه عقلاً [١] ﴾

وإليه يشير الأثر القائل :

(قبض الله قبضة من نوره ثم قال لها كوني محمدا)

يعني ظهر من نور الله _ بكيفية لا يعلمها إلا الله ، وبحيثية لا يدركها إلا الله _ قبسٌ من النور : كان هو نور رسول الله ﷺ .

ومن نوره خلق الأشياء التي فيها روحانيات ، وبعد ما خلق الأنبياء أجمعين ؛ أقام لهم حفلاً كبيراً – حفل تعارف – لكي يعرفون بعضهم وهم أرواح ، فلما حضر الأنبياء الأصفياء الأتقياء والأنقياء ، وعددهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبي – بحسب

([١]) رواه عبد الرازق والبيهقي عن جابر ﷺ .

رواية سيدنا أبو ذر رضي الله عنه – فزعماء الأنبياء خمسة ، وهم مجلس الرئاسة (أولوا العزم من الرسل) ، وخاصة الأنبياء خمسة وعشرون – وهم المذكورون في القرآن – ، لكن الكل عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ .

فربنا جمع الأول مجلس الرئاسة الخمسة ، وأخذ عليهم الميثاق والعهد ، وبعد ما أخذ العهد سجلّه وقال فيه :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ سورة الأحزاب

وكان من المفروض أن يذكره في النهاية حسب الترتيب ، لكنه بدأ بــه أولاً في قوله : ﴿وَمِنكَ ﴾ ، وبعد ذلك جاء في الترتيب ....أي أنت الأول ، وبعــد ذلك الترتيب ...!!. وإذ أخذنا من النبيين كلهم وبعد ذلك منك ، وبعد ذلــك مــن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ... بالترتيب ... ترتيب الزمان .

وانتبه معي لقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم ﴾ ولم يقل : وأخذنا منكم ، بمعنى أنك ليس لك شأن بذلك ، أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ، ولم يدخله في هذا الميثـــاق الغليظ ، لماذا ؟.. :

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ سورة الأحزاب .

بعد ما أخذ البيعة على هؤلاء الجماعة ، توجهوا لرئيسهم وزعيمهم وإمامهم – لأنه عندما نأتي في حديث الشفاعة إن شاء الله ؛ نجد أن الناس يذهبون لهؤلاء الأنبيـــاء

بالترتيب ، وكل واحد منهم يقول : اذهبوا لمن هو خلفي ، وللذي هو بعدى ، حتى يذهبون لسيدنا عيسى ؛ فيقول لهم : إذهبوا لمحمد ، فيذهبون إلى محمد ، فيقول : أنا لها .. أنا لها . ؛ لأن الأنبياء أخذوا الميثاق من هناك على تقديمه ﷺ .

ثم كان الميثاق العام للأنبياء والمرسلين ، عندما اجتمعت الجمعية العمومية للأنبياء والمرسلين ، وفوجئوا بنور يغشاهم ؛ قال فيه ﷺ :

﴿ عِنْدَمَا جَمَعَ اللهُ الأَنْبِيَاءَ وَ الْمُرْسَلِينَ ، غَشِيَهُمْ نُورٌ عَظِيمٌ أَخَذَ أَبْصَارَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا مَا هَذَا النُّورُ الَّذِي غَشِيَنَا ، فَقَالَ اللهُ ﷻ : هَذَا نُورُ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلْتُكُمْ أَنْبِيَاءَ ، قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ بِنُبُوَّتِهِ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : أَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا نَعَمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ﴾ [رواه صاحب المواهب اللدنية].

ولم جمعهم ؟ .. لكى يؤمنوا به ، وينصروه أي يؤمنوا به بأنه هو زعيم الأنبياء والمسئول العام عن جميع الأمم من أدم إلى قيام الساعة .

فأخذ عليهم العهد وسجَّله في كتابه المقدس في قوله سبحانه :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ الآية ٨١ سورة آل عمران

وانتبهوا معي إلى كلمة (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ) . لأن معناها أن جميع الأنبياء لابد أن يؤمنوا برسول الله ، فكل نبيٍّ من الأنبياء يؤمن به ﷺ ، لأنه رسول المرسلين ، ونبي

النبيين ، سرُّ قوله سبحانه :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾

الآية ٢٨ سورة سبأ

وكذلك ﴿ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ أي لابد أن تساعدوه !! ، لكن كيف يساعدونه وقد تقدموا في بعثتهم وتأخر ﷺ ؟ .... ذلك بأن يقوم كل نبيٍّ عند تبليغ قومه بالرساله بإعلامهم به ﷺ ، وأن يُظهِرَ صفات رسول الله لأمته ، وأخلاقه وأحواله ، ويطلب ممن يكون حيًّا منهم عندما يظهر الرجل أن يتبعوه ؛ وذلك ما حكاه القرآن عن سيدنا عيسى حيث يقول :

﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾ آية ٦ الصف

أي عندما يأتي لابد أن تؤمنوا به ثم يوثق الله ﷻ هذا العهد على النبيين والمرسلين وذلك حين قال :

﴿ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي ﴾ .. يعني اعترفتم ووقَّعتم على هذه الوثيقة :

﴿ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَا ﴾ - أى نعم - إذن فهم جميعاً وقَّعُوا عليها فقال ﷻ :

﴿ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ ﴾.. أي أنا أشهد عليكم جميعاً بتوقيع هذا العهد .

ولم يكتف ﷻ بذلك ، بل حذرهم مع علو قدرهم ، من التغيير والتبديل بعد ذلك ، فقال ﷻ عن الذي يغيِّر بعد ذلك في الآية ٨٢ سورة آل عمران :

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾

هذا بداية النور المحمدي ...، أو الحلقة الأولى من ظهور الجمال المحمدي : .... ظهر للأنبياء ، وظهر للمرسلين ، وأخذ الله عليهم البيعة أجمعين أن يكونوا له ناصرين ، وأن يكونوا له متَّبعين ، وأن يكون إمامهم في الدنيا ويوم الدين .

وأن تكليفهم بالرسالات والنبوات قبل بعثته ؛ ليظهروا بالنيابة عنه ، إلى أن يأتي هو صلوات الله وسلامه عليه .

وفي ذلك قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

سر الوجود هو الحبيب الهادى ✳ وهو الشفيع ومصدر الإمداد

روحى تحنُّ إليك يا شمس الهدى ✳ ناول طهورك للمشوق الصادى

أنت الشفيع المرتجى و وسيلتى ✳ أنت الغياث لحاضرٍ أو باد

لولاك لم يعط المهيمن نعمة ✳ للمرسلين .... أئمة .... العباد

شوقى إليك تالهى وصبابتى ✳ منها اتصالى رفعتى إسعادى

واجه بوجهك يا حبيبي مغرما ✳ فشهود وجهك بغيتى ومرادى

قلبي يقلب في جمالك سيدى ✳ أشهد عيون الرأس نور الهادى

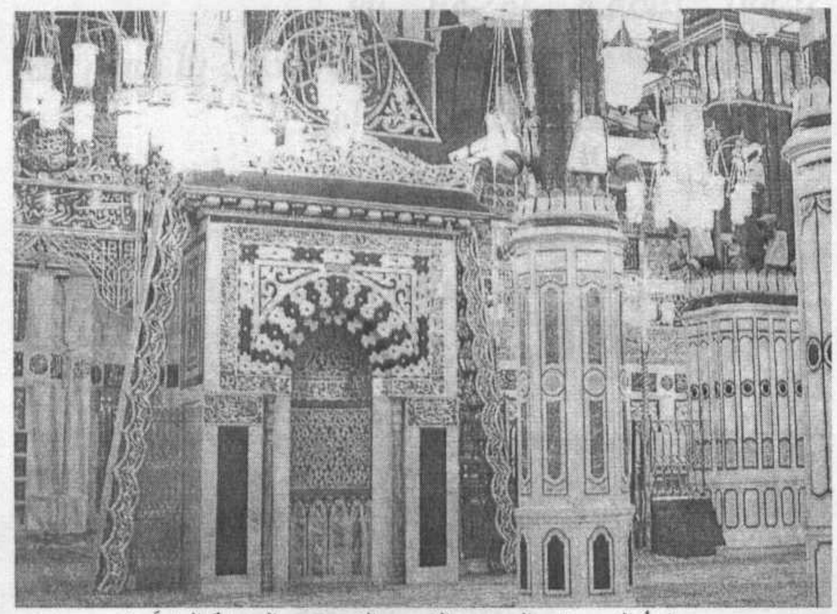
يا نور رسل الله يا من عوهدوا ✳ بالإقتداء بنورك الإمداد

من قبل عهد الست كنت مشاهداً
نوراً يمدُّ أئمة العباد
أنت المراد لذات ربّك سيدى
لولاك لا عرش و لا أعداد
أنت الضياء من المهيمن مشرقاً
طمئن بنورك مهجتى و فؤادى
تشتاق روحى أن تراك حقيقة
أنعم بوصلك و امح ثمَّ بعادى
أنت الرؤوف و رحمة و حنانة
في آية القرآن نور مرادى
إقرأ " لقد " وافرح بحب محمد
سرّ الوجود و مصدر الإمداد
هو رحمة الرحمن والنور الذي
وافى بنيل الخير و الإسعاد
بشرى لمن عشقوا جمال محمَّد
نالوا الوصال بمنعمٍ جوَّاد
صلى عليك الله يا شمس الهدى
و الآل و الورَّاث و الأفراد





محرابُ النبى ﷺ بمنزل السيدة خديجة بمكة قبل تحويل القبلة


محرابُ النبى ﷺ بالمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنوَّرة

الباب الثاني

إشْرَاقَاتُ الحَقِيقَةِ المُصْطَفَوِيَّةُ

- الإحْتِفَالُ الوَاجِبُ بِرَسُولِ الله ﷺ
- شَمْسُ الحَبِيبِ
- إشْرَاقُ شَمْسِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ
- شَمْسُ الجِنَانِ ﷺ - نُورُ القُلُوبِ
- أسْرَارُ نُورِ الإيمَانِ
- إكْرَامُ الأنْبِيَاءِ بِظُهُورِ النُّورِ المُحَمَّدِيِّ فِيهِم
- البُشْرَى بِرُؤْيَاهُ ﷺ
- الإحْتِفَالُ بِسُنَّتِهِ ﷺ

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ
وَسِرَاجًا مُّنِيرًا

الآية ٤٥ و ٤٦ سورة الأحزاب

إشراقات الحقيقة المصطفوية

الاحتفال الواجب برسول الله ﷺ (1)

الحمد لله الذي وفّقنا جميعاً للاحتفاء بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، فـإن الاحتفاء برسول الله فرضٌ واجبٌ أوجبه علينا الله عز وجل .

وإذا كان العالم العلويُّ ، والعالم الجماديُّ ، والعالم الحيوانيُّ ، والعـالم الجنِّـيُّ ، كلها قد احتفلت بسيدنا رسول الله ﷺ ..... ، فما بالكم بالمؤمنين من عالم الإنس الذين نزل الله لهم هذا الرسول من أنفسهم ..؟؟ !! ؟؟ فيجب علـيهم الاحتفـاء والاحتفال برسول الله ﷺ دائماً ، وليس في أيام المولد فقط ، بل طوال العام .

فإذا كنا نحن نحتفل برسول الله في أيام المولد فقط ، وهذا نتيجة المشاغل الكثيرة والمصالح التي شغلت الناس ، لكن المؤمن الحقيقى الذى لا يشغله شىء عن الله طرفـة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر ، باستمرار يحتفل برسول الله :.....بالجلوس في بيـت الله ، وسماع السيرة العطرة من العلماء العاملين الذين يشوقونا إلى كمالات وفـضائل رسول الله ﷺ ، أو حضور مجالس العلم ، ومجالس الـذكر ، ومجـالس الفكـر ، ومجالس القرآن ، وغيرها من المجالس التي كان يمتلىء بها مسجد النَّبي العدنان طـوال حياته عليه أفضل وأتمّ السلام

فاحتفالنا وقتيٌّ ، وأولادنا يحتفلون احتفالاً يليق بهم ، فاحتفالهم بالحلوى والأكل واللهو والشرب ، وهذا بالإضافة إلى تذكّرهم لرسول الله ﷺ .

---

(1) كانت هذه المحاضرة ضمن سلسلة المحاضرات التي ألقيت بدار الصفا بالجميزة – محافظة الغربية ، في الاحتفال بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ عام ١٩٨٨ .

لكن الجماعة الذين كانوا ولا يزالون يحتفلون به طوال العام ، فاحتفالهم أكبر من ذلك .... ؟ لأن احتفالهم يكون في قلوبهم ، وفي صدورهم ، فيقيمون الزينات في القلوب ، ويقيمون الأفراح في الأفئدة ، ويتذوَّقون ويأكلون حلاوة الإيمان التي جاء بها النبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه .

فالحلاوة التي نشتريها لأولادنا ، يستطيع أن يحصل عليها الكافر والنافر ؛ فالكافر يستطيع أن يشتريها ويستطيع أكلها !! .... ، لكن الحلاوة التي جاءت عن طريق رسول الله ﷺ لا يستطيع أن يحصل عليها ولا يتذوقها إلا مؤمن كامل الإيمان بالله ﷻ ، فالمؤمن الذي إيمانه فيه خلل ، أو فيه زيغ ، أو فيه أهواء ، أو متشعب قلبه في أودية هذه الحياة ، لا يتذوق حلاوة الإيمان كما يتذوقها أصحاب رسول الله ﷺ ، فهؤلاء المؤمنون .....كيف يكون احتفالهم برسول الله ﷺ ؟

شمس الحبيب

يبدأون في هذه الأيام الفاضلة يجهِّزون القلوب ...... لتشرق فيها شمس الحبيب المحبوب ﷺ .... ، وقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه :

أفلت شموس الأولين وشمسنا أبداً على فلك العلا لا تغرب

فإن الأنبياء السابقين كانوا شموساً لمن حولهم ، وهذه الشموس عندما انتهت دورتها الكونية غابت كهذه الشمس الحسِّيَّة التي نراها بالنهار، فإنها تظهر في الصباح وتغيب في المساء ،...... لكن شمس رسول الله ﷺ منذ أن أشرقت على الوجود .... لم تغب أبداً ..... ، ..... لكن أين هي شمس رسول الله ؟......

الشمس التي تراها بأعين الرأس ، تشرق على الكون لتنضج الزرع ، وتطيِّب

الثمار ، وتدفىء الأجسام ، ... وترى العيون على ضوئها ، هي شمس للأكوان يتمتع بها المسلمون والكفار والحيوانات والحشرات والمزروعات ، ولا يُمْنَع من ضوء هذه الشمس أحد ... حتى العاصى ، ... من كرم الله عز وجل لم يحرم منها في يوم من الأيام ، فهي لا تدخل في بيت دون بيت ، ولا تطلع على زرع فئة وتمتنع عن زرع الآخرين ، لأنها للكل وللجميع .....

لكن شمس رسول الله ، يعنى نور رسول الله الذي أرسله لنا الله ، لا يجب على أحد من المسلمين أن يعتقد أنه غاب ..!!.. ، والذي يعتقد أنه غاب فقد أخطأ طريق الصواب ..... ، لأن ربنا وصفه في القرآن وقال :

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ سُوْرَةُ الأحزاب

والسراج يعني المصباح المنير ، بينما وصف الشمس في سورة النبأ فقال :

﴿ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ ﴾ سُوْرَةُ النبأ

وصفها بأنها سراج وهَّاج يعنى له وهجٌ وله حرارة ، ووهج حرارة الشمس من شدته لا نستطيع تحمُّله أيام الصيف .

لكن شمس رسول الله قال فيها : ﴿ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ لها نورٌ ، وليس لها حرارة ، ولا وهج .. !! .. فهي تنير فقط .... (سراجاً منيراً) ...

.... وأين هذا السراج ؟ ..... ومتى ظهر على الوجود ؟



إشراق شمس الحقيقة المحمدية

ربما يظن البعض .... أن هذا السراج طلع على الوجود لما آمنة حملت بسيد الوجود ؟؟ ..لا .!!. لأنه طالع قبل خلق الخلق ، وأشرقت شمسه في عالم الملكوت ، وختم الله به كل عوالم الجنَّة .

ولذلك فإن سيدنا آدم عليه السلام ، لما وقع في الخطيئة ماذا فعل ؟

جلس ثلاث مائة سنة بعد ما نزل إلى الأرض يبكى .... ، وبعد الثلاث مائة سنة ...!!..، ذكَّره الله عزَّ وجلَّ فتذكَّر ..!!.. ، وماذا تذكَّر ؟

أنه وهو في الجنَّة ، كلما وقعت عينه على شيء في الجنَّة ؛ وجده مطبوعاً بنور رسول الله ، ومكتوباً عليه : " .. *لا إله إلا الله محمد رسول الله* .. " .

فوجد في كل ورقة موجودة في الجنة ، مكتوباً عليها هذه الكلمة العظيمة ، وكل شجرة ، وكل ثمرة ، وكل قصر ، وكل باب ، وعلى نحور أو على صدور الحور العين ، فكل حورية من حور الجنة مكتوب على صدرها هذه الكلمة النورانية : .... *لا إله إلا الله محمد رسول الله* .. [رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار] .

وكذلك على صدور الملائكة ، وعلى ساق العرش ، وعلى عاتق حملة العرش ، وكل شيء وقعت عينه عليه ، وجد عليه هذا الختم الإلهي ، ختم رب العالمين . لأنه لا يقبل الله عزَّ وجلَّ كلمة " لا إله إلا الله " بمفردها ؛ بل لابد من الإتيان معها بكلمة .... " محمد رسول الله " .

ولذلك فإن نقش خاتم سيدنا سليمان الذي نسمع عنه ، ونعلم أنه كان خاتماً عظيماً ، وأنه عندما كان يحتاج إلى شيء ، كان يحرك الخاتم ففي الحال يصير كل شيء

طوع أمره ، فيكون رهن إشارته الجن ، والملائكة ، والريح ، والطيور ، والحيوانات ، وذلك بسبب الخاتم الذي يوجد في يده ، وما السر في الخاتم ؟ كان فيه فص زمرد من الجنة مكتوب عليه : " أنا الله لا إله إلا أنا ، محمَّد عبدي ورسولي "، ففي الحديث :

﴿ كَانَ فِصُّ خَاتَمِ سُلَيْمَانَ بن دَاوُدَ سَمَاوِيٌّ ، فَأُلْقِيَ إِلَيْهِ أَخَذَهُ فَوَضَعَهُ فِي خَاتَمِهِ، وَكَانَ نَقْشُهُ أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي.[٢] ﴾

فكل العالم يتحرك ، أو يسكن ، أو يقوم ، أو يقعد ، .... من أجل هذه العبارة .. " أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد عبدى ورسولي " ، .... وهذا كان النقش المكتـــوب على فص الزمرد ، والموجود على خاتم سيدنا سليمان ...؛.... فلما تذكَّر سيدنا آدم هذا المنظر ؛ رفع يديه ، وقال :

﴿ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلاَّ غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ بَعْدُ؟ قَالَ : يَا رَبِّ لأَنَّكَ خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ ، وَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ مَكْتُوباً : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلاَّ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلاَهُ يَا آدَمُ مَا خَلَقْتُكَ[٣]. ﴾ .. طالما سألتنى به ﷺ غفرت لك .

---

(٢) رواه الإمام الطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ .

(٣)رواه الإمام الطبراني ، والإمام البهيقى ، والحاكم ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ﷺ .

شمس الجنان

وهذا يعرفنا أن هذه الشمس كانت مشرقةً في الجنان .

قلنا في أول الحديث .... :ما الذى يطيب الزرع ؟ وما الذي ينضج الثمـــار ؟ وما الذي يصحح الأبدان ؟ .... الشمس .... وهل هذه الشمس تنفـــع في الجنَّـــة ؟ .... لا .... لأن شمس الجنَّـــة يقول فيها الله :

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الإنسان

إذن ما الذي يطيِّب الثمار في الجنَّـــة ؟ وما الذي يصحَّح فاكهة الجنَّـــة ؟ وما الذي يتمَّم قصور الجنَّـــة ؟ وما الذي يجمَّل حور الجنَّـــة ؟

.... شمس رسول الله ﷺ ....

فهي الشمس التي أشرقت على الجنَّة ، لتتزيَّـــن ! ، وتتجمَّـــــل ! ، وتنـــضج ثمارها ! ، وتنبت زرعها بها ...!... وما أنواع الزرع والغرس الذي نغرسه في الجنَّة ؟

﴿ سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ – هذه هي الغراس التي نزرعها لتطلع أشجاراً في الجنة – وَالجَنَّةُ قِيعَانٌ ، طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ المَاءِ ، وَأَشْجَارُهَا : سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ [٤] ﴾

.... فالزرع الذي يطلع منه هذا التسبيح ما الذي يغذِّيـــه ؟..........

---

(٤) متفق عليه .

.... نور النُّبوَّة ، وليس نور الشمس الكونيَّة ....

فالشمس الكونيَّة ..... : تنضج الزرع الذي نأكله وتتغذَّى به هذه الأجسام ، فهي تغذِّي الحيوانات ، وتغذِّي الكفار ، وتغذِّي الكلَّ ، ..... لكن الزرع الـــذي في الجنَّـــة من الذي يأكله ..؟؟.. لا أحد غير المؤمنين ، ولذلك بم يطيب ؟...... بشمس النُّبوَّة ونور النُّبوَّة الذي هو في أفق الملكوت .... ، فأحيا الله به عوالم الملكوت ...، وجعلها حيَّة ..!.. لا تموت ولا تفوت ..!.. ، .لأنها من صنع الحي الذي لا يموت .

هذه الشمس أشرقت في عالم الملكوت ، ثم دارت في أفق الجنَّـــة لتجمَّل الجنَّة ، وتنوع ثمار الجنَّـــة ، ولذلك عندما سألوا الرسول ﷺ عن النور الـــذي يوجـــد في الجنَّـــة ؟ هل يكون كشمس الضحى ؟؟ ..!!.. أم كشمس ساعة الظهـــيرة ؟؟ ..!!.. أم كنور وقت العصر ؟؟..!!..

فأجاب ﷺ بما يفيد أن نور الجنَّـــة ، ونور أهل الجنَّـــة ســـيكون كـــضوء الصبح قبل شروق الشمس !! ، يعني نورٌ من غير وهج ، ومن غير حرارة .. لماذا ؟

لأن النور الذي قبل طلوع الشمس ليس به حرارة ، فهو نورٌ ليس به حرارة ، ولا وهج ، ولا شعاع يؤذي العين أبداً ؛ لأنه نور السراج المنير (وســـراجاً مـــنيراً) الذي هو نور سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

نُورُ القُلُوب

ولمن يظهر هذا النور ؟......... يظهر لقلوب أهل الإيمان ....

وأهل الإيمان ، من الذي جعلهم مؤمنين ؟ .... هل اختاروا لأنفسهم الإيمان ؟ كلا ....!... بل هو فضل من الله .

من الذي جعلنا نحبُّ أن نسمع القرآن ؟ ونحبُّ أن نجلس في مجـــالس العلـــم ؟ ونشتاق للحجِّ في بيت الله الحرام ؟ ونتمنى رؤية سيدنا رسول الله ولو في المنام ! ؟.

................هذا السر أذاعه رسول الله ....!!......... ، وأنبأ أنه منذ أن خلق الله الخلق جميعاً كلهم مرة واحدة ، فقال :

﴿ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ – في كنز مطلسم اسمه "كنز العماء الأزلي" – ، فَرَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ – نور حبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه – ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ وُفِّقَ وَاهْتَدَى، وَمَنْ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ النُّورُ ضَلَّ وَغَوَى (٥) ﴾

إذن سر إيماننا ، وإسلامنا ، وهدايتنا ، ومحبتنا ، وعنايتنا ، هو فضل الله .... ، .... والذرَّة من النور التي نلناها من رسول الله ﷺ .....!!......... ، فكل واحد حصل على لمعة من هذا النور .... :

كانت هي السبب في طهرة القلب ، وطهرة الفؤاد ، وجعلته رقيـــق الحاشـــية لكلام ربِّ العباد ، وجعلته مشرقاً بالأنوار الإلهيـــة ، ومـــستعدَّاً لكلمـــات الـــوحي السرمدية ، ومستعدَّاً في حياته الدنيوية لطاعة الله ﷻ .

هذا النور .... : هو الذي يشدنا إلى الله شدَّاً قوياً ، حتى أن الـــنفس لـــو سوَّلت لأحدنا معصية ، يجد دافعاً قوياً بداخله يحاول منعه .!!. ما الذي يمنعه ؟.. هذا النور الذي بداخله .!!. فهذا النور ليس هيِّناً ولا يستطيع أن يعدَّه عدٌّ ، ولا أن يحيط به حدٌّ ، لكننا لا ندرى قيمته ؟..!!.. ، ....وقد ألمح إلى بعض قدره الشيخ أبو الحسن

---

(٥) أحمد و الترمذي وحسَّنه ، وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقى عن ابن عمر رضي الله عنه وفى بعضها عن ابن عمرو .

الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه حيث يقول :

" لو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لملأ ما بين السماء والأرض !! ، فما بالك بالمؤمن المطيع ؟"

فالمؤمن العاصي ، لو كشف عن النور الذي في صدره من هذا اليوم ، يملأ بين السماء والأرض .

أسْرَارُ نُورِ الإيمَانِ

وهذا النور هو الذي يجذبه لطاعة الله ، وهو الذي يمنعه من معصية الله ، ويقوِّى عنده الخشيَّة ، ويجعل عنده خوف وعنده أمل في الله وخوف من عذاب الله .. فالذي عنده قبس من هذا النور ، يحنُّ دائماً إلى حضرة الرسول .

نحن في حياتنا الدنيا نرى رجلا أنجب ولداً ولم يره ، وهذا الولد سافر إلى بلاد بعيدة ويتجول كثيراً ، وقد تقابلوا فجأة وحنُّوا إلى بعض بدون سابق معرفة ، وعندما يشاهد الناس في هذه الحالة يقولون : الدم يحنُّ إلى بعضه .!.

فإذا كان هذا في حياتنا الآدمية ، فكذلك النور يحنُّ إلى بعضه في حياتنا الإيمانية ..... ، فكما يربطنا هنا ببعض العصب والدم ..... ، يربطنا أيضاً في دائرة الإيمان .... نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ....:

فهو الذي يربط بين المؤمنين ، ويجعلهم يحنُّون لبعض ، ويشتاقون لبعض ، ويودُّون مجالسة بعض دائماً ، ولا يملُّون ، لأن هناك رابطة بينهم ؛ ولذلك أيضاً تجد المؤمن لو سافر لدولة أوروبية ، ودخل في وسط الكفار ، ولمح رجلا مؤمنا تجده يحنُّ له وإن كان لا يعرفه وليس بينهم صلة دم ولا رابطة عصب ، وربما لا يكون بينهم لغة

مشتركة ، بل هذا يتحدث بلغة ، وهذا يتحدث بلغة .. لماذا ؟ ..... لأن النور الموجود في قلوبهم يجذبهم ، فيجذب قلوب المؤمنين إلى بعضهم ، ويجعل الواحد منهم يحنُّ إلى أليفه ، وإلى قريبه ، وإلى شبيهه ، وهو العبد المؤمن بالله ﷻ .

إكرام الأنبياء لظهور النور المحمدي فيهم

فنور رسول الله ﷺ ، لأنه هو مجمع الأنوار ومصدر الأسرار ، كان هو المغناطيس الذي يوضع في كل نبى من الأنبياء ، فيجذب النورانيين في عصر هذا النبى ، فيلتفون حول هذا النبي ، ويؤمنون بالله ﷻ .

إذن ما الذي يجعل الخلائق تجتمع على أنبياء الله ورسله ؟

.... مغناطيس النُّور النَّبوى الموجود فيهم .... من أول آدم إلى إسماعيل عليه السلام ، وهذا النور ينتقل من رسول ، إلى نبى كريم ، أو وفىٍّ من صفوة الأطهار ، فينتقل من نبى ... أو من رسول ... أو مطهَّر ... ، حتى الذين انتقل إليهم وليسوا بأنبياء ؟ ، ولا مرسلين ؟ ، كان الله يحفظهم ...!!!!!.... فلم يحدث لواحد منهم أن سجد لصنم ، أو شرب خمراً ، أو زنا ، أو فعل صفة من صفات الشياطين ، وذلك لقوله ﷻ .....:

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ الشعراء

فهذا النور كان المغناطيس الذي يجذب إلى الأنبياء : .... الأصفياء ، .... والأوفياء ....، والمؤمنين في عصورهم ....، ......وهو الذي حماهم :

فالذي يقع في النار يحميه نور النبي المختار من حرق النار ...!!....

والذى تقع على رقبته السكين لا تقطع ، لأن فيه نور النبي الأمين ..!!..

والذي يصنع السفينة في الصحراء ينجيِّه الله بعد أن امتلأ الكون كله بالمـــاء ، إكراماً لنور سيد الأنبياء الذي وجد في ظهره ..!!..

فكان هذا النور هو الذي يحميهم من النكبات .. ، ومن الرزيَّـــات .. ، ومـــن البليَّات .. ، ويجمع حولهم الخلق ليدلوهم على الله عَزَّ وَجَلَّ .

ظلَّ هذا النور يظهر للمؤمنين والمؤمنات .... إلى أن آن الأوان ، وأشرق على جميع الأكوان .... وكان هذا في حمل آمنة رضى الله عنها ، بالمـــصطفى عليه أفضل الصلوات والسلام ، ولذلك لما ظهر رسول الله ..... :

ولكى تعرفوا أنه نور من عند الله ...... : ..... كان إذا مشى لا يرى له ظل :

إذا مشى في ضوء الشمس .. ، أو فى ضوء المصباح .. ، أو في ضوء القمـــر ، ..فلا يرى له ظل ! ، وما الشيء الذي لا يظهر له ظلٌّ ؟

.... المصباح النوراني الكهربائي هو الوحيد الذي ليس له ظلٌّ ....

فكان صلى الله عليه وسلم إذا مشى لا يرى له ظل ..!!.. ، وكان إذا تكلم يخرج النور من بين ثناياه ..!!.. ، فيرون النور مشرقاً من فمه الشريف من بين أســـنانه صـــلوات الله وسلامه عليه ..!!.. ، وكان إذا مشى في الظلام يبصره أصحابه صلوات الله وســـلامه عليه بالنور التام الذي علاه من الحق عَزَّ وَجَلَّ ..!!..

هذا النور الذي تحنُّ إليه قلوب العارفين ... ، .. وأفئدة العاشقين في كل وقتٍ وحين ... ، فيقومون بتجهيز قلوبهم ليظهر فيها هذا النور ، ويلمع فيها هذا البـــدر ، وتظهر فيها هذه الشمس ....لأن شمس رسول الله لا تظهر لعين الـــرؤوس ، إنمـــا تظهرلعين السريرة والقلوب .

البشرى برؤياه ﷺ

فيريدون أن يباركوا القلوب بأن يروه ، وهو ﷺ كريمٌ ويقول :"

﴿ مَن رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ [٦] ﴾

﴿ مَن رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِى حَقّاً ؛ فإنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي [٧] ﴾

فمستحيل على الشيطان أن يقدر يأخذ صورة رسول الله ويتمثَّل بها ؛ فإذا رأيته في المنام فتيقَّن أنه هو عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

فهم يريدون البشرى من الله لأنه لما يحضر رسول الله لرجل في المنام ؛ فمعناها أنه أصبح رجلاً من الموقنين ، فيبشِّره كما بشَّرأصحابه ، فنحن على يقين أنه بشَّر عشرة من أصحابه بالجنَّة ، وإن كانت الأحاديث الأخرى روت تبشيره لغيرهم .

لكن هل انتهت البشريات عند أهل زمانه ؟..

لا ..... ، بل أنه في كل زمان يبشِّر رجالا من أهل ذاك الزمان ..... ، وكل الفارق بينهم وبين أصحابه أنه بشَّر أصحابه بذاته الشريفة ، وأما هؤلاء فبشَّرهم في المنام ، فيرونه ﷺ ويبشِّرهم ... ، فمنهم من يبشِّره بالجنة ... ، ومنهم من يبشِّره بمقعد صدق ... ، ومنهم من يبشِّره بجنة الفردوس ... ، وكل على حسب حاله . فالمؤمنون الذين اصبحوا من المتفوقين في الإيمان ، والتقى ، والغنى ، والعفاف في الدنيا لا ينتظرون النتيجة هناك .. !! .. ، لأن الذي ينتظر النتيجة هناك يكون قد أخطأ في حق نفسه .

---

(٦) فى الصحيحين وأبو داود عن أبي هريرة ، والطبراني عن أبي بكر ، والدرامي عن قتادة ﷺ على روايات .

(٧) الإمام أحمد والبخاري والترمذى عن أنس ، و مسلم والترمذى و ابن حبان عن أبي هريرة .ﷺ على روايات .

أما المؤمن الصادق فتأتيه البشرى من هنا ..!!.. ، ومن الذي يستطيع أن يحضر له النتيجة من هناك ليبشّره بها هنا ؟ .... رسول الله ﷺ ....

لأنه هو الذي اطلع على الألواح ، واطلع على الغيب ، وعرف هــذا وذاك ، فعرف الكافر ونهايته ، والمنافق وأسلوب حياته ، والمؤمن ودرجته ، والمحسن ومنزلته ، أطلعه الله على كل هذه الحقائق لماذا ..؟ ليكون كما قال عَجَلَّ في سورة *الأحزاب*:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾

إذن هو في الدنيا يبشّر المؤمنين الذين جاهدوا في الدنيا ، والذين حافظوا علـــى إيمانهم ، والذين لم تفتنهم زخارف الحياة ، والذين لم يمشوا علـــى حـــسب الأهـــواء والأغراض وحافظوا على شريعة الله ، وأقاموا سنة رسول الله في ظلمات هذه الحياة ، فيأتيهم ويبشرهم ويقول لأحدهم :

" أبشر بفضل ورضوان ، وروح وريحان ، وربٌّ راضٍ عنك غير غضبان ".

ويبشّر كل واحد ببشرى على حسب منزلته ، وعلى حسب درجته ، فلـــذلك فالاحتفال الحق الذي يحتفل به الإنسان :...... هو بأن يحتفل بنور النُّبوَّة ....

إذا أتى عظيم من العظماء ليزورك في دارك ، ماذا تفعل ؟؟؟..!! فما بالـــك إذا حضر عندك سيد العظماء .. ماذا تفعل ؟.... وهو لا يشرفك في دارك الكونيـــة ؟... بل في دارك المعنوية (أي قلبك) ، وقد وجهك إلى ذلك في قوله ﷺ :

﴿ ألا وإنّ في الجسد مضغةً: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.[٨] ﴾

---

(٨) رواه البخارى ، وابن السنى ، وأبو نعيم في الطب ، والبيهقى في شعب الإيمان ، عن النعمان بن بشير ﷺ .

.... فإذا أشرق نور رسول الله ، ونوَّر هذا البيت ..!!.......... هل يظلم بعد ذلك ؟.. أبداً ..!!..

أيدخل فيه حيَّــة من حيَّــات الحقد ؟... أو عقرب من عقارب الحــسد؟ أو كلب من كلاب الدنيا ؟........... كلا .!.

لأن البيت الذي يدخله رسول الله ، والقلب الذي يشرق فيه نور رسول الله :

لا شك أنه ختم الله عليه بالصفاء ، والنقاء ، والوفاء ، والبهاء ، والضياء ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأنه صار قلباً نورانياً ، ويكون صاحب هذا القلــب متحلّياً بالحال الذي يقول فيه ﷺ :

﴿ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٩) ﴾

فينظر بنور الله دائماً .... لأن القلب تحلَّى بنور رسول الله ، فأصــبحت هــذه العيــون تنظر بنــور الله ، الذي ملأ تجاويف القلب به مولانا رسول الله ﷺ .

الاحتفال بسنته ﷺ

كيف يحتفلون بسنته ﷺ ؟

.... الاحتفال يعني التعظيم .... هم يعظمونه ..... ، ويجعلون سنَّة رسول الله أعظم شيء يتعلقون به ويتمسكون به في هذه الحياة الدنيا فهي عندهم أغلى من الجواهر ، وأغلى من الأموال ، وأغلى من الأولاد ، وأغلى من

---

(٩) رواه الترمذي ، والبخاري في تاريخه ، وابن السني في الطب ، وأبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد ، والطبراني في الكبير ، والحكيم الترمذي في النوادر ، والخطيب في تاريخه عن أبي أمامة ، وابن جرير عن ابن عمر.

الزوجات ، وأغلى من المناصب .

.... لأنها هي سر الوجود ...... ، وفيها السعادة الابدية ....

فالمال إذا حصلت عليه :

ربما لا يتم لى الحصول عليه إلا بعد أن يكون جسمى قد امتلأ أمراض ، أو تراكمت عليّ المصائب ، أو ربما لا يأتى إلا بعد أن أكون قد تجهزت للسفر إلى الدار الآخرة ؛ فأسافر وأتركه !!!!

.... لكن السعادة الأبدية بماذا ؟..........................

بالتمسك بسنة المصطفى ﷺ ، وهذا هو التعظيم ، فيعظّم سنَّة رسول الله ، والذي يعظّم سنَّة رسول الله ، ويقوم بها في هذه الحياة ، لازم رسول الله يبشّره .

ولذلك فإن الجماعة الصالحين قالوا :

" حافظ على السنَّة ولو بُشّرت بالجنَّة " .

أي حتى لو قالوا إنك من أهل الجنَّة ، فلا تترك السنَّة ، لأنه لا يدخل أحد الجنَّة إلا بالسنَّة ، وليس هناك حفظ من الشيطان والأهواء والشهوات إلا بالسنَّة ، ولا نجاة من النار إلا بالسنَّة ، ولا يستطيع أحد أن يمشي على الصراط مظبوطاً إلا بالسنَّة ، ولن يتمكن رجل من طلب شفاعة رسول الله إلا إذا تمسك بالسنَّة .

لكن الذي لم يتمسك بالسنَّة ؟ هل يستطيع مواجهته ﷺ ؟ .

.... وهكذا يكون الاحتفال بسنَّة رسول الله ﷺ أعظم احتفال ....

وعندما ننظر إلى سنَّة رسول الله نجدها معنا من بداية اليوم إلى النوم ، فكل حركة من الحركات وكل سكنة من السكنات فيها سنَّة واردة عن رسول الله ﷺ :

فالمشي له سنَّة ، والتحدث له سنَّة الكلام ، والأكل له سنَّة الطعام ، والشرب له سنَّة الشراب ، وارتداء الملابس له سنَّة اللباس ، وخلعها له سنَّة الخلع ، ودخـــول المسجد له سنَّة الدخول ، وله سنَّة الخروج ، وله سنَّة الجلوس ، وله سنَّة في الصلاة ، وله سنَّة في تلاوة القرآن ، وله سنَّة في الذكر، وكذلك هناك سنَّته في مداعبة الأولاد ، وسنَّته في مداعبة الزوجة ، وسنَّته في السعي على المعاش ، وسنَّة في صلة ذوى الأرحام ، وسنَّة في عيادة المريض .

وفي كل شيء يعمله المرء في الحياة ؛ له فيه سنَّة من سنن رسول الله .

فلو تتبعت السنَّة ؛ أكون أنا مع رسول الله في الأربع والعشرين ساعة ؛ لأني أنا في كل لحظة أحاول أن أقلده ، وما دمت أنا مستحضر سنَّته في هذا العمل ، أكون أنا مع رسول الله ﷺ في هذه السنَّة وفي هذا العمل .

وهكذا احتفال الصَّالحين ... ، واحتفال المتَّقين ... ، واحتفال المقرَّبين بـــسيدنا رسول الله ﷺ .... ، فاحتفالهم يكون بتعظيم سنَّة رســـول الله ﷺ .... ، .... حتى في أصغر أمر من الأمور .

فقد ورد في الأثر :

" **لا تصغّرنَّ من المعروف شيئاً ؛ فعسى أن يكون رضى الله فيه ، ولا تحقرن من الشر شيئاً ؛ فعسى أن يكون غضب الله ﷻ فيه ، ولا تحقرن من الناس أحداً ؛ عسى أن يكون سر الله فيه** " .

فربما يكون وليّاً لله ، ووضع الله فيه سرّاً من أسراره .. !! ..

فالمؤمن لا يستصغر عملاً أبداً ، بل يزنه بميزان سنَّة رسول الله .

والذي يمشي على هذا المنهاج يكرم برسول الله ﷺ :...فيتمتع برؤياه ... ،

ويشاهد جمال محيَّاه ... ، ويخاطبه ويشافهه ... ، ويصير مـن المجالسين لرسول الله ﷺ وهو في هذه الحياة ..!!.. ، فيكون جالساً مع الناس ... ، وفي نفس الوقت جالساً مع رسول الله ﷺ .

فنسأل الله عز وجل .....:

أن يرزقنا مشاهدة رسول الله ﷺ ... ، ويوفقنا جميعاً لاتباع سنته في هـذه الحياة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

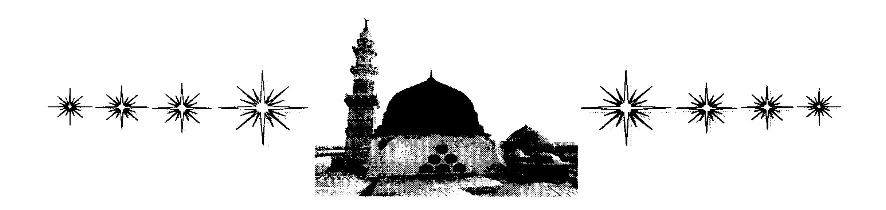
قال الإمام ابو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

مرحباً بالحبيب خير الأنام ✳ من أتانا بالنور والإسلام
مرحباً سيدى وأهلاً وسهلاً ✳ انت نور الرحمن والعلام
كل روح ترى جمال حبيبى ✳ ليلة الوضع لا برؤيا المنام
مولد المصطفى لروحى ذكرى ✳ شاهدته فيه بغير لثام
مولد المصطفى حياة قلوبٍ ✳ شوقها قد نما بداعى الغرام
أبشرى أمة النبي بخيرٍ ✳ فهو حقاً شفيعنا في الزحام
صلِّ ربى على الحبيب التهامى ✳ من نراه أرواحنا في الهيام

وقال أيضاً رضي الله عنه :

نور خير الرسل لاح ✳ صير الليل صباحا
أشرقت شمس التهامى ✳ قد رأيناها صراحا

مرحباً يا حِبَّ قلبى ✵ نلت قصدى والفلاحا
مرحباً يا نور ربى ✵ سر حبك لن يباحا
يا رسول الله إنى ✵ أرجو كشفاً واتضاحا
لم يغب محبوب قلبي ✵ بعد أن وافى ولاحا
عين قلبى قد رأته ✵ فالجميل لنا أباحا
نور خير الرسل لاح ✵ صير الليل صباحا



الباب الثالث

النِّعْمَةُ المُهْدَاةُ لجَمِيعِ خَلْقِ اللَّه

- مَنْزِلَةُ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة :
  - شَهَادَاتُهُمْ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَة
  - عُدُولُ الأمَّة . إِخْوَانُ الأنبِيَاء
  - مُعَامَلَةُ اللَّه عز وجل لهَذه الأُمَّـة
- النُّـورُ الذَّاتِي والنُّـورُ الصِّفَاتِيّ
- سِرُّ الحَيَاةِ الآدَمِيَّة
- النُّبُـوَّةُ والرِّسَالة
- تَوَسُّـلُ آدَمَ بِرَسُـولِ اللَّه ﷺ
- يَوْمُ المِيثَاقِ العَامِ (أَلَسْتُ بِرَبِّكُم)
- نُـورُ المؤْمِنِيـن

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

الآية ١٤٣ سورة البقرة

النعمة المهداة لجميع خلق الله

منزلة الأمة المحمدية [١]

تحدثنا عن الأنبياء و بعض ما نالهم من بركة سيِّد الأنبياء ، ونريد أن نبيِّن بعض فضل الله علينا ببركته ﷺ .

والحقيقة يا إخواني .....

أن الفضل الذي أغدقه ربُّنا علينا ببركة رسول الله ﷺ لو عرفناه ، لظلَّ الواحد طوال عمره مشغول البال برسول الله ﷺ .

لأننا أصبحنا به ليس في درجة أمم الأنبياء فقط ، بل رفعنا به إلى درجة تقارب الأنبياء ، ..... لأنه أصبح نبيًّا للأنبياء كما هو نبيٌّ لنا ، ..... ومثل ما هو أبٌ للأنبياء ، فهو أبٌ لنا ، . لأنه أبٌ للكلِّ .. ، وهذا الكلام من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله ﷺ ، فنجد في كتاب الله أن كلَّ نبي شهيد على أمته :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النساء



(١) كانت هذه المحاضرة ضمن سلسلة المحاضرات التي ألقيت بدار الصفا بالجميزة – محافظة الغربية ، بمناسبة الاحتفال بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ عام ١٩٨٨ .

شهادتهم على الأمم السابقة

فكل نبيٍّ شهيد على أمته ، أمَّـا نحن فقال :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية ١٤٣ البقرة

فالأنبياء شهداء على أممهم ، ونحن شهداء عليهم وعلى أممهم .

وقد وضَّحَ الرسول ﷺ ذلك حيث قال :

{ إذا كان يومُ القيامةِ يأتي النَّبيُّ ومعهُ الرَّهطُ – يعني الجماعة الذين مشوا خلفه – ويأتي النَّبيُّ ومعهُ الواحدُ – أى هناك نبيٌّ لم يتبعه إلا واحد ، كما قال ربُّنا في القرآن : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الذاريات) ، فيُؤتَى بالنَّبيِّ ، ويُؤتَى بأمَّتِهِ ؛ فيقولُ اللهُ لهمْ : ألمْ يبلِّغكمْ رسُولي ؟ فيقولُونَ : ما أتانا منْ رسُولٍ ، وما بلَّغنا منْ أحدٍ ؛ فيقولُ اللهُ للنَّبيِّ : ألمْ تُبلِّغهمْ رسالاتي ؟ ؛ فيقولُ : بلى يارَبِّ بلَّغتُهمْ ؛ فيقولُ اللهُ تعالَى : منْ يشْهدُ لكَ ؟..... ، فيقولُ : أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ }[٢]



(٢) رواه أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، والترمذى، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقى في الأسماء، عن أبي سعيد .

عدول الأمة

لكن ليس معنى ذلك أننا نشهد جميعاً ، بل الذي يشهد هم العلماء العاملون لأنهم ورثوا مقام النبوة وقال فيهم رسول الله :

﴿ علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ﴾ [٣] ، وقال فيهم :

﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾ [٤]

ولكننا نجهل مقام هؤلاء العلماء العاملين الذين هم على قدر من اليقين والنور من رسول الله ﷺ ، وفيهم قال فى معنى حديثه ﷺ :

﴿ من كف لسانه ، وحفظ بطنه وفرجه ؛ فذاك من الراسخين في العلم ﴾

فالعالم الذي نعنيه هنا ، ليس الذي يكثر من الكلام ؛ بل الذي يحكم العمل بعلمه ، ولذلك فالذي يحفظ لسانه فقط ، ويحفظ بطنه من الحرام ، وفرجه من الحرام يصبح من الراسخين في العلم :

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ ٧ آل عمران

وقد نقل الشهاب الخفاجي في شرحه على " الشفاء "، عند الكلام على قتل الحلاج ، قال الشاذلى رضي الله عنه :

---

(٣) نقله الفخر الرازي ، وموفق الدين ابن قدامة ، والاسنوى ، والبازى ، واليافعى ، والسيوطى في الخصائص ، على أنه حديث مرفوع .

(٤) رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

" اضطجعت في المسجد الأقصى في وسط الحرم ، فرأيت في المنام قد دخل خلق كثير أفواجاً ، فقلت : ما هذا الجمع ؟ قالوا : جميع الأنبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد ﷺ في إساءة أدب وقعت منه .

فنظرت إلى التخت ، فإذا بنبينا عليه الصلاة والسلام جالس عليه بانفراده ، وجميع الأنبياء على الأرض جالسون ، مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام ، فوقفت أنظر ، وأسمع كلامهم .

فخاطب موسى محمدا عليهما الصلاة والسلام فقال له : إنك قلت علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل ، فأرنى منهم واحداً ، فقال هذا ، وأشار إلى الغزالى ، فسأله موسى سؤالا ، فأجابه بعشرة أجوبة ، فاعترض عليه موسى بأن السؤال ينبغى أن يطابق الجواب ، والسؤال واحد والجواب عشرة ، فقال له الغزالى : هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت " وما تلك بيمينك يا موسى ؟ " ، وكان الجواب هي عصاى ، فعددت لها صفات كثيرة .

قال بينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد ﷺ ، وكونه جالساً على التخت بإنفراده والبقية على الأرض ، إذ زقَّني شخص برجله زقَّة مزعجة ؛ فانتبهت ؛ فإذا بقيِّم المسجد يشعل قناديل الأقصى ، فقال : لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره ؛ فخررت مغشياً عليّ ، فلما أقاموا الصلاة وطلبت القيِّم فلم أجده إلى يومى هذا "

ونعود إلى الحديث لنكمله بعد هذا الاستطراد – حيث قال ﷺ :

﴿ يُؤْتَى بِالْعُدُوْلِ مِنْ أُمَّتِي – وهم العلماء العاملون – يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُوْلُ لَهُمُ اللهُ : هَلْ بَلَّغَ رَسُوْلِي فُلانٌ ؟ ، فَيَقُوْلُوْنَ : نَعَمْ يَارَبِّ ، فَيَقُوْلُ : وَكَيْفَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ ؟ ، فَيَقُوْلُوْنَ : وَجَدْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِكَ الَّذِي

أنزلته على رسولنا ﷺ -ويقرأون الآيات التي تتحدث عن هذا النبي وقومه ﷺ إذن هم سيشهدون على الأنبياء ، ولذلك الحديث الذي قال فيه ﷺ :

{ وَاشَوْقَاهُ إِلى إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمَّا يَأْتُوا بَعْدُ ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَر : أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ الله ؟، قَالَ : لا أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، إِخْوَانِي قَوْمٌ يَأْتُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي ، عَمَلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ بِسَبْعِينَ مِنْكُمْ يَاعُمَر ، فَقَالَ لَهُ : بِسَبْعِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ ﷺ : بَلْ بِسَبْعِينَ مِنْكُمْ ، أَنْتُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَاناً ، وَهُمْ لا يَجِدُونَ } [٥]

أي أنتم الآن زمانكم خير ، لكن زمانهم شر ، يصير العمل فيه قليل ، ولـــذلك قال في الحديث الثاني :

{ أَنْتُمْ فِي زَمَانٍ قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ ، كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ ، قَلِيلٌ سَائِلُوهُ ، كَثِيرٌ مُعْطُوهُ ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، كَثِيرٌ خطباؤه ، قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ سائلوه ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ ، مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا } .[٦]

أي أن الذي يعمل بالعشر ينجو ، وأما هم فقد كان الذي يترك العشر يهلك .

---

(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ عن أنس ﷺ .

(٦)رواه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه

إخوانُ الأنبياء

والرسول ﷺ اشتاق لنا ، لأنه جعلنا نحن إخوانه ، ولذلك قال الإمام أبـو العزائم رضي الله عنه :

من مثلكم والشوق أوصلكم إلى ✳ سر الإخوة مطلب الأصحاب

فشوقنا جعلنا في درجة الأخوة ، وهي درجة الأنبياء ، وهذا مقامٌ قـال فيـه رسول الله ﷺ :

{ إِنَّ مِنْ أُمَّتِي أُنَاسٌ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَ الشُّهَدَاءُ لِمَكَانَتِهِمْ وَ قُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – أي أن هناك جماعة من أمتي ، عندما تراهم الأنبياء تغبطهم يعني يتمنوا أن يكونوا مثلهم لمكانتهم وقربهم من الله – ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَارَسُولَ اللهِ ! ، أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِكَ تَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَ الشُّهَدَاءُ ؟... ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : صِفْهُمْ لَنَا ، فَقَالَ : هُمْ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّى وَقَبَائِلَ شَتَّى ، تَوَادُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَنْسَابٍ بَيْنَهُمْ ، وَ لا دُنْيَا يَتَوَاصَلُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ – فمعرفتهم لله وليس بينهم تجارة ولا سلعة ولا مصلحة ، بل كلها لله – وَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّ أَبْشَارَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تَلا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ يونس (٧)

إذن أي اجتماع يكون لله ، وليس هناك مصلحة ولا تجارة ولا غرض دنيوى : كاجتماعنا على القرآن ، أو على ذكر الله ، أو على مجالس العلم النـــافع .... : يدخلنا في هذا المقام ، ويجعلنا نجلس يوم القيامة على منابر من نور قدَّام عرش الرحمن ، والأنبياء والشهداء يتمنون أن يكونوا مثلنا ...

لأن الغاية كلها لله ﷻ .

مُعَامِلَةُ اللهِ ﷻ لِهَذِهِ الأُمَّة

وقد بيَّن الله ﷻ حسن معاملته لهذه الأمة ، إذ يعاملهم بفضله ، ولا يعاملـــهم كغيرهم بعدله ، فقال ﷻ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية ١٦ سورة الأحقاف

في حين أنه قال في القوم الآخرين :

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾
الآية ٢٣ سورة الفرقان

(٧) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن أنس .

يا عجباً لقدرة القدير الذي لا يسأل عما يفعل ...!!!.... يقبـــل علـــى قـــوم فيمنحهم كل حبِّه وودِّه ..!!.. ، ويكتب لهم سابق عنايتـــه وقربه ..!!.. .

وعندمايأمر القلم أن يخطَّ أقدار الأمم ، يقول للقلم :

﴿ اكتب مقادير كل شيء ، !! – أمة آدم ؟ ما قرار القدر الصادر لها ؟ – مَن أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني دخل النار ، ثم يُملي العليّ القدير على القلم الإلهي ما كتبه للأمم – وقرار القدر السابق فيها – فإذا انتهى إلى أمة رسول الله ﷺ ، – كان القلم قد تعود على هذا القرار لأن القرار الصادر إلى جميع الأمم : "من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني دخل النار " ، فهمّ القلم أن يكتب هذا القرار ، فإذا بنداء الجبار له : اسكت يا قلم ، فانشق القلم من هيبة جلال الله ، وعظمة الله ، وقدرة الله ، ثم قال ماذا أكتب يارب ؟ فقال الله تعالى : أمة مذنبة ورب غفور[^8] ﴾

قرار خاصٌ لهذه الأمة المخصوصة : ..... لماذا ؟ ..... لأن الله جعل لها نبيَّاً مصطفى .. ، وكتاباً مجتبى .. ، وخصَّ هذه الأمة بما لم يخصُّ به الأمم السابقة جميعها .

ومن ضمن هذا الفضل الذي ذكره الله ﷻ في هذه الآية :

۞ أنه جعل الحسنة للأمم السابقة بواحدة ....، ولهـــذه الأمـــة بعـــشرة إلى سبعمائة ضعف :

﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الآية ٢٦١ سورة البقرة

---

[^8]: (٨) رواه أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت ﷺ.

۞۞ بل إن الأمم السابقة :

كان أحدهم إذا اقترف ذنباً ؛ ... يصبح ... فيجده مكتوباً على بـــاب داره : فلان سرق .. ، أو فلان قاتل .. ، أو فلان زان.. ، وهكذا ..... ، فلما بُعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ له إكراماً وتقديراً وتعظيماً له :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الآية ٣٣ الأنفال

حتى أن الكفار بعد بعثته ، منع الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم العذاب ببركتـــه صـــلوات الله وسلامه عليه ، فلم يترل عليهم الصواعق ، ولم ينـــذرهم بالـــصيحة ، ولم يهلكهـــم بالخسف أو المسخ إكراماً له ﷺ .

۞۞۞ وكذا في يوم الحساب :

فإن الأمم السابقة يكون حسابهم شديداً ، وأمرهم فيه عسيراً ، وكل شـــيء في حسابهم سيظهر على شاشة الموقف العظيم ، وجميع أهل الموقـــف يرونـــه بأعينـــهم ، ويسمعونه بآذانهم .

لكن عندما تقف هذه الأمة المرحومة للحساب ، فمن أجلّ رســـول الله ﷺ سيطبَّق عليهم هذا القرار :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَـٰبِ ٱلۡجَنَّةِ ۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الأحقاف

كيف يحدث هذا ؟ .... شرح ذلك ووضَّحه سيدنا رسول الله ﷺ : حيث بيَّن أنه عند تعرَّض الرجل من أمته للحساب : ....

﴿ يَعرِضُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهلِ المَوقِفِ حَسَنَاتِهِ وَقُرُبَاتِهِ وَيَقُصُّ مِن (صَحِيفَتِهِ) السَّيِّئَاتِ وَالذُّنُوبَ وَالمَعَاصِيَ ، فَتَقُولُ الخَلَائِقُ : أَيُّ نَبِيٍّ هَذَا ؟.. أَيُّ صِدِّيقٍ هَذَا ؟ - لأنهم لا يرون إلا كل عمل صالح : صوم ، تلاوة قرآن ، فكر ، ذكر ، بر الوالدين ، صلة الأرحام ، ولا يرون له ذنباً ولا إثماً قط - وَبَعدَ انتِهَاءِ حِسَابِهِ ، يَأخُذُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيُدنِي عَلَيهِ رِدَاءَ الكِبرِيَاءِ ، وَيُكَلِّمُهُ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَهُ بِغَيرِ تُرجُمَانٍ ... ﴾ (٩)

وهذا بالطبع مع التتريه الكامل للذات العليَّة ، فـإن ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ليـست كسائر الذوات ، وهيئته سبحانه لا تشابهها جميع الهيئات ، لأنه سبحانه وتعالى تتره عن اللحظات ، وتعالى عن الحركات .

ففي الحياة الدنيا لا يستطيع أحد أن يصف ذاته ، ولا يستطيع أن يصل إلى كنه صفاته ، لكن الأمر سيتغير في الدار الآخرة حيث يفيض الحق سبحانه وتعالى من نوره الذاتي على قلوب عباده الأبرار ، فيرون الواحد القهار بالنور الذي جعله الله فيهم منه سبحانه وتعالى .

ولذلك لما سألوا الإمام مالك رضي الله عنه : ...كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه مع تتره الله عَزَّ وَجَلَّ عن الحيطة والإدراك ؟ فقال رضي الله عنه :

" " مات محمدٌ ﷺ عن حسِّه ونفسه ، واحتيا بنور ربه ، فرأى ما فيه من نور الله ما يتحمل رؤيته من ذات الله في غيبة محمد بن عبد الله . " "

---

(٩) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه (وستأتى تتمته بالصفحات اللاحقة).

وكل واحد منَّا فيه قبس من نور الله :

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ الآية ٧٢ سورة ص

لكن أين نور الله بنا أو فينا ؟

.... لا أحد يعرف شيئاً عن ذلك .... ، بل العالم كله عاجزٌ عن معرفة ولو ذرة من ذلك ، فالذات الإلهية يرى أثرهـــا ..!!..، ولكن لا يستطيع أحد أن يدرك ذاتها ...!!!!!!.....

وقد نقلت وسائل الإعلام ، أن أحد رواد الفضاء الأمريكيين بعدما هبط مـــن الفضاء قال : أنا لم أر الله ...!!....، فرد عليه أحد العلماء قائلاً :

هل رأيت القمر ؟ ... قال: نعم ، ... قال :

ما الذي يمنعه من السقوط على الأرض ؟ ، ... قال :

الجاذبية الأرضية ، ... قال له :

هل رأيت الجاذبية بعينيك؟ ، ... قال : لا ، لكن أثرها ملموس ، ... فقال له : كذلك ذات الله عز وجل لا ترى في ذاتها ، ولكنك تستطيع أن تلمس أثرها .

وقس على ذلك الكهرباء ... ، والحب ... ، و البغض ... ، وكلها أشـــياء لا يستطيع أحد رؤيتها ... ، كما لا يستطيع أحد أن ينكر أثرها .

وإذا كانت هذه كلها أشياء حسِّيَّة ومخلوقة ، فما بالك بخالق المخلوقات جميعها عز وجل ؟.... !!!... ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أشار إلى هذه الحقيقة وقال :

﴿ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – وضَّح ذلك فقال – : هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ ؟ فَقَالُوا : لا ، قَالَ : هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ

الشمس في وضح النهار؟ ، قالوا : لا ، قال ﷺ : فكذلك سترون ربكم يوم القيامة ﴾ (١٠)

وهذا ما أيده القرآن حين يقول :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ سورة القيامة

.... ونعود لنكمل بيان رسول الله ﷺ ، .... حيث قال :

﴿ ثم يقرره بذنوبه فيقول : أنت فعلت هذا ، يقول : نعم . ، فيقول : و من الذي سترها عليك ؟ ، فيقول : أنت يارب ، فيقول عز وجل : أنا سترتها عليك في الدنيا ، و أنا أغفرها لك اليوم ، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ﴾ (١١).

وهذا كله ببركة رسول الله ﷺ .

النور الذاتي والنور الصفاتي

إن نور الله عز وجل ينقسم إلى قسمين :

نور حضرة الذات ، ونور الأسماء والصفات .

---

(١٠) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١١)رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه .

فالأسماء والصفات كالغفَّار ، والقهَّار ، والتوَّاب ، والحيّ ، والقيُّوم ، وغيرها من التسعة والتسعين إسما التى نعرفها .... ، وهناك أسماء أخرى غيرها لا نعرفها ، وإليها الإشارة بقول رسولنا الكريم ﷺ :

﴿ اللَّهُمَّ إني أسألك بأسمائك الحسنى ، ما علمت منها وما لم أعلم(١٢) ﴾

وهذه غير التسعة والتسعين اسماً التي قال فيها الرسول :

﴿ إن لله تسعة وتسعين خُلُقاً ، من تخلَّق بواحد منها دخل الجنَّة ، فقال سيِّدنا أبو بكر : أفيَّ واحدٌ منها يا رسول الله ؟ ، قال : بل فيك كلُّها يا أبا بكر(١٣) ﴾ .

والأسماء لها نور اسمه النور الصفاتي : .... وهذا الذي يشرق في عالم الملكوت ، ومنه خلق الملائكة ، ومنه نور الجنَّة ، ومنه كل شيء في عالم الملكوت .

لكن نور رسول الله من النور الذاتي :..... ولذا فلا يدرك كنهه ولا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى .

ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ تخطى سدرة المنتهى التي هي نهاية أنوار الملكوت ، وخاض في أنوار الذات ، بينما جبريل – لأنه من نور الملكوت – لم يستطع أن يتجاوز سدرة المنتهى ؛ لأن بعد سدرة المنتهى نور الذات ، ولذلك وقف وقال : .... " لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت "...... ، لكن رسول الله لأن نوره ذاتيٌّ من نور

---

(١٢) عن أنس ﷺ فى جامع المسانيد و المراسيل .

(١٣)رواه أحمد والبخارى ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الله ؛ اخترق ....، ومشى .... حتى وصل إلى قاب قوسين أو أدنى .

فهو وحده نور ذاتي ، ونحن وكل من بعده نور صفاتي ،
وكل المخلوقات الروحانية ..... فنورها صفاتي من أسماء الله الحسنى

سرُّ الحياة الآدميَّة

ولذلك عندما يتكون الجنين في بطن الأم ، وبعد أربعة أشهر :

يترل ملكٌ ليقوم بأمر الله ، ويظهر فيه أنوار الأسماء والصفات ، فيتجلَّى الله بنور البصير على العين فتضيء وتفتح العين بسر اسمه سبحانه البصير ، ويتجلَّى الله بنور السَّميع على الأذن فتسمع ، وبنور المتكلِّم على اللسان فينطق ، وبنور الحيِّ على الجسم فيتحرك ، وكلما أشرق نور الحيِّ على عضو فيه يتحرك بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ ، ويتجلَّى العليم على العقل ليتأهل للعلم .

وهكذا ..... فكل اسم من أسماء الله يعطى إشارة صغيرة بلمحة من الأنوار الإلهية التي اختصَّ بها هذا الإسم في هذا الإنسان ، فتظهر في الإنسان على الفور خصائص هذا الإسم على قدر الإنسان ، وليس على قدرالإسم .

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى عندما يسحب أسراره .... : فإن الإنسان تجده نائماً ، وعيناه كما هما ، وأذنه كما هي ، ولسانه كما هو ، ولكنه لا يتكلَّم ..! ولا يسمع ..! ، ولا يرى ...! ، ولا يتحرَّك ...! ، ..... لماذا ؟ ....

لأن صاحب السرِّ أخذ السرَّ ، وما دام السرُّ قد خرج ، فكيف يتكلَّم ؟ أو يتحرَّك ؟ أو يسمع ؟.......!!......

وهذا ما أبان عنه سيدنا على كرَّم الله وجهه حين قال :

"" يا ابن آدم تبصر بشحمة ، وتسمع بعظمة ، وتنطق بلحمة ، تؤلمك البقة ، وتنتنك العرقة ، وتقتلك الشرقة ، وأنت مع ذلك تواجه القوى سبحانه وتعالى بالمعصية ""

..... إذاً فأنت ضعيف .... وربما لا يوجد في الكون أضعف من الإنسان .!. ، فقد خُلق الإنسان من ضعف :.... تجده ماشيا فيقع ! ، أو جالسا يخرج منـــه الســـر بدون تعب ولا نصب ! ، ويموت ، .. يمشى يختال كالأسد .!. فيصاب بـــشكة إبـــرة يحتار فيها العلماء والأطباء ... ، ويمكن تكون فيها نهايته ! ، لأنه خُلق ضعيفا.

✳ فنور رسول الله ﷺ نور ذاتي من حضرة الله سبحانه وتعالى .

✳ وبعد ما خلق هذا النور كما ذكرنا....... ، ماذا كان يفعل هذا النور قبل خلق الكائنات ؟

.......كان يطوف حول عرش الله ...... إلى أن خلق الله منه أرواح الأنبياء ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم :

لقد كنت يا خير النبيين مفردا ✳ تطوف حوالى ذات مبدعك الأصلى
تشعشعت الأنوار منك مضيئة ✳ فأبدع أعلى والعوالم بالطول
تحن إليك الروح من بدء خلقها ✳ فأنت له المختار والكل في الكل
أقامك ربُّ العرش فضلا مقامه ✳ رؤوفا رحيما بالعناية والحول

✳ وما الحكمة من هذا الطواف بالنسبة لذاته الأحمديَّـــــة ؟

.... كان الله ﷻ يعلّمه علوماً خاصة به من علوم النبوة الوهبيَّة ....

✳ ولذلك فمن أول مخلوق تلقَّى العلم من العليم سبحانه وتعالى ؟

.... الرؤوف الرحيم ﷺ .... فقد علَّمه الرحمن علم القـــرآن ، وبعد ذلك خلق الإنسان .... ، ثم علَّمه البيان ....

فقبل خلق الإنسان كيف كان التعليم ؟

.... من الله لحبيبه ومصطفاه .... ، وهذا تعليم خــاص ، لأنــه علَّمه كل شيء : أسرار القدر ، وأسرار الوجود ، وأسرار الخلق ، وأســرار البــدء ، وأسرار الميعاد ، وأسرار القيامة ، وأسرار كل شيء ، حتى أن أصحابه قالوا في ذلك ، ولسان التعبير لسيدنا عبد الله بن مسعود :

﴿ لَقَدِ انْتَقَلَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ، وَمَا مِنْ طَائِرٍ يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ بِجَنَاحَيْهِ ؛ إِلا وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا (١٤) ﴾

يعنى لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، إلا بعد أن علمهم خصائص كــل شــيء ، وأسرار كل شيء بحسب قدراتهم واستعدادهم ، لأنه عرف هذه الأسرار كلها هناك في مواجهة العليِّ بعد أن اصطفاه للنُّبوة .

النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَة

هناك فرق بين النُّبوة والرسالة :

ويتضح الفرق بالمثال الآتى :....فأنت عندما تحتاج إلى طلب من شخص مــا ؛ تقول له : أنا سأرسل لك رسولاً وأبعث معه الطلب ،.... فالرسول هنا واسطة بينك وبينه ، وكذلك الأمر ، ولله المثل الأعلى ....

فالرسالة عبارة عن الأمر الذى يختصُّ به الله أحد العبيد ... ، ويكلفه بتبليغــه للخلق ... ، وهذا لابد أن يكون في الدنيا هنا .

---

(١٤) رواه الطبرانى فى مجمع الزوائد عن أبى الدرداء و ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر و هو بروايات و أسانيد .

لكن النُّبوة درجة من الصفاء ، ومن العلم ، ومن الكشف ، يهبـــها الله ﷻ للأنبياء بعد الاصطفاء ، وذلك قبل الخلق ، لكن الرسالة تبدأ من لحظة التكليف بتبليغ الدعوة على الرأى الأرجح ، أو من سن الأربعين على الرأى الآخر ، لأنه كلفه بتبليغ هذه الرسالة قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ آية ٦٧ سورة المائدة

لكن النُّبوة قبل الخلق ، ولذلك يقول فيها رسول الله :

﴿ إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ﴾ وفي رواية أخرى: ﴿ إني عند الله لخاتم النبيين وآدم بين الروح والجسد. ﴾ (١٥)

وهل هناك إنسان بلا روحٍ ولا جسد ؟.. بالطبع لا .. لأن الإنسان لابـــد أن يتكون من روحٍ وجسد ، وأما الذي لا هو روح ولا جسد ، فلا يكون شيئا إذن .... " وآدم بين الروح والجسد " ،، يعنى أن آدم لم يكن قد تمَّ خلقه وتكوينه الجسماني بعد ، فهو يريد أن يقول : أنا خاتم الأنبياء قبل وجود آدم ، بل وقبل نشأته ، لأنه هو الأوَّل ، كما أخبر الله عنه في القرآن :

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف

يعنى أنا أول من عبد الله ، ولم يكن هناك أحد قبلي ، فالله ﷻ يقول له : ... قل لمن يدَّعى ويزعم أن لله ﷻ ولد ، فأنا أولُ من عبد الله ﷻ ، فلـــو كـــان لـــه سبحانه ولد فلم لم أرَ هذا الولد ؟ .... إذن هذه دعوى كاذبة ... ، وليس عليها أي

(١٥) مسلم عن العرباض بن سارية ﷺ .

بيِّنـــة ، لأني أنا أولُ واحد عبد الله .

لكن كيف كانت هذه العبادة ؟.. وبأي حقيقة ؟

مع أننا على يقين أنه لم يولد إلا في عام الفيل ، لقد عبد الله بروحـــه وحقيقتـــه المصطفوية التي أعطاها له الله ، فلقد أعطاه النُّبوة قبل خلق الأنبياء ، فهو نبيٌّ وأعطـــى النُّبوة قبل الخلق ، بل قبل خلق الأنبياء .

ولذلك لما أخذ الله الميثاق على الأنبياء ، قال سبحانه :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ، ولم يقل المرســلين : لأنهــم لم يكلَّفوا بالرساله بعد ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ ، ولم يقـــل : " ثم جاءكم نبى " ، ولكن قال : ﴿ ثم جاءكم رسول ﴾ ، فهو وحده الرسول هنا ، ولذلك فهو رسول المرسلين ، يعنى أنه ﷺ يحدد لهم مهمتهم فيقول : أنتم مندوبون لحضرته ونواب عنه ﷺ في أممكم .

لكنه وحده كما قال ربُّنا :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ٢٨ سبأ

فكلمة كافة ليس لزمانه فقط ، بل للزمن كله من البداية إلى النهاية ، يعنى من أول آدم حتى قيام الساعة ، كلهم أمته وهو رسولهم ، فهو رسول الكلّ والأدلة علـــى ذلك كثيرة جداً ، ومنها عندما يقول القرآن لليهود :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ – مكتوب في التوراة

والإنجيل - ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ سورة الأعراف

فالقرآن يحكى هنا أن النبيَّ الأميَّ هو الذي يأمرهم بالمعروف ، وهو الذى ينهاهم عن المنكر ، لكن من الذى كان يأمرهم حقيقة في زمانهم ؟.. أنبياء الله موسى وعيسى ، وهذا يعنى أنهم كانوا يتكلمون بالنيابة عنه ، ولكنه هو الذى يأمرهم بالمعروف ن وهو الذي ينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ، ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم الأغلال والقيود ، لأنه ﷺ رسول المرسلين ، والرسل نوَّاب عن حضرته في تبليغ أممهم ، .... وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

الرسل من قبل الحبيب محمد ✲ نوابة وهو الحبيب الهادى
موسى وعيسى والخليل وغيرهم ✲ يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمد ✲ وبفضله فازوا بكل مراد
وبمحكم القرآن عاهدهم له ✲ أن يؤمنوا بسراجه الوقَّاد

ولذلك يقول الله :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) ﴾ سورة القصص

أي ألم تكن واقفاً وموجوداً عند الجبل الغربيِّ ؟ وكنت شاهداً على هذا الأمـــر وما كنت من الشاهدين ؟ .... وكما سمعنا قبل ذلك ، قال له :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾
الآية ٤٥ سورة الفرقان

وألم تنظر إلى ما فعله ربُّك بأصحاب الفيل :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ (٥) ﴾
الآية ١-٥ سورة الفيل

توسُّل آدم برسول الله ﷺ

وقد ذكر الله ﷻ لنا ذلك كله ليعرِّفنا أن الرسل السابقين كانوا مندوبين عن رسول الله ﷺ ، ولذلك لما فعل سيدنا آدم الخطيئة ، ربُّنا قال له : لا تأكل من هذه الشجرة ، وأكل منها ، وأخرج من الجنّة ، وبعدها تاب .. طلب التوبة .. ماذا كانت صيغته ؟. صيغته كانت عرضحال .... ، وعرض حال يعني بيعرض حاله فقال :

{ اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ يَأْتِ بَعْدُ ؟ - فقد تقدمت و استأخر -

فقال : يارب عندما أدخلتني الجنة ، وجدت مكتوباً على العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لا تكتب بجوار إسمك إلا أحب الخلق إليك ، – فربنا قال له – : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلي ، ولولاه يا آدم ما خلقتك ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك.﴾ (١٦).

من الذي يتوسَّل برسول الله ؟.. آدم عليه السلام .

وهل بعد ذلك نسمع كلام الجهَّال الذين ينكرون التوسُّل ويقولون كيف نتوسَّل بالرسول ..!!.... إذا كان الأنبياء توسَّلوا به ، فأبو الأنبياء وأبو البشر توسَّل به .... ؛ وربنا قبله في الحال .

وماذا أكون أنا حتى لا أتوسَّل برسول الله ﷺ ؟

ولذلك فأبو جعفر المنصور لما دخل مسجد رسول الله ، وناظر الإمام مالك في مسألة ورفع صوته ، قال له الإمام مالك :

يا أمير المؤمنين إن الله أدَّب قوماً فقال :

﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾

ولم يقل له لا ترفع صوتك – لأنه خليفة المسلمين – ولكنه قالها بصورةٍ لطيفة ، **ومدح قوماً فقال :**

---

(١٦) حديث صحيح رواه الإمام الحاكم ﷺ وأرضاه في كتابه المستدرك على الصحيحين – وهو كتاب قد جمع فيه الأحاديث على شروط البخارى ومسلم – ورواه الإمام الطبراني كذلك .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
الآية ٢-٤ سورة الحجرات.

– ولذلك لما نزلت الآية : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ، سيدنا عمر كان صوته عالٍ جداً (جهورى الصوت) .. قالوا بعدها : " ما كان يتكلم مع رسول الله إلا مساررة " يعنى بصوت خافت ، حتى كان رسول الله يستوضحه ما يقول ، لأن صوته أصبح لا يكاد يبين من الأدب ، وقد كان صوته مرتفع أصلاً ولكنه التزم بأدب القرآن – .قال له :

وذمَّ قوماً فقال :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الحجرات.

وعندما اتجه – أى الخليفة أبو جعفر المنصور – إلى زيارة رسول الله ﷺ التفت إلى الإمام مالك رضي الله عنه وقال له : ..... أأتجه إلى رسول الله وأدعو ؟ ، أم أتجه إلى القبلة وأدعو ؟..... فأجابه الإمام مالك قائلاً :

"" ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ، ووسيلة أبيك آدم إلى الجنة يوم القيامة ""

من الذي يشفع للخلق كلهم ليدخلهم الجنة ؟.. ومن الذى يخلصهم من أهوال الموقف جميعاً ؟........... لا شك أنه سيدنا رسول الله ﷺ ......!!.....

فلم يتحول المرء عنه ؟ وخاصة وأنه الكعبة الحقيقية ، كعبة الأرواح ، فسيدنا

آدم عليه السلام لما رأى أن كلّ شيء في الجنَّة مكتوباً عليه :

" لا إله إلا الله محمد رسول الله "، كل ورقة ، وكل شجرة ، وكل قصر ، وكل شيء مكتوب عليه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، عرف أن له منزلة كبيرة جداً عند ربِّنا وقال : يارب بحبِّ هذا الرجل عندك ، ومنزلته عندك ، اغفر لي ، فقال له : مادمت عرفت هذه الحقيقة ؛ غفرنا لك .

يوم الميثاق العام (ألست بربكم)

فنبوَّة رسول الله ﷺ كانت قبل خلق الخلق أجمعين ، كان نبياً في البدء ، ثم خلق الله الأنبياء ، وبعدما خلق الأنبياء خلق أرواحنا ، وأرواح المؤمنين ، وبنى آدم ، والجنّ ، والملائكة ، وغيرهم إلى قيام الساعة .

وبعدما خلق الأرواح كلّها ، عمل اجتماعاً عاماً لجميع الكائنات ، جمع الكلّ ونحن كنّا حاضرين كذلك ، ولكن حاضرين بالأرواح ، وفيه قال ﷺ :

﴿ إنَّ اللهَ أخَذَ المِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنُعْمَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَأخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَةٍ ذَرَاهَا ، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلَهَا قَالَ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ! قَالُوا بَلَى ﴾ (١٧)

ولذلك لما سألوا سيدنا عليّ : أتذكر يوم الميثاق (العهد) ؟ ، .. فقال :

" نعم واعرف من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن شمالي "

---

(١٧) رواه أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى في الأسماء عن ابن عباس

فجمع الأرواح كلها .... ، وعرَّف كل واحد منا ماذا سيحدث له حتى قيام الساعة ؟.. فأنت نزلت هنا وقد عرفت كل شيء ..!!.. ، ولكن الهيكل والحواس حجباك عن هذه المعرفة ..!!.. ، وإن كنت تشعر بها فتسمع كلام ترتاح له .. ، وهذا لأنك ارتحت له هناك .. ، وتسمع كلام لا ترتاح له ... ، وأيضاً لأنك لم ترتح له هناك ..!!.. ،. فقد تقابل إنساناً لأول مرة وتحس أنك أحببته ..!!.. ، وأحياناً تقابل إنساناً لأول مرة وتحس أنك غير مرتاح لرؤيته ..!!.. ، فالذي كان في مواجهتك هناك ترتاح له هنا ، والذي كان معرضاً عنك هناك تجد نفسك غير مرتاح للقائه هنا ، وهذا ما قال فيه رسول الله ﷺ :

﴿ الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكرَ منها اختلفَ ﴾ (١٨)

إذن فحقيقة التعارف من هناك ، وتطبيقه العملى هنا ، وقد جمعنا كلّنا وقال تعالى : (ألست بربكم) ؟، قلنا : بلى .،. من نبيكم ؟ قلنا رسول الله ﷺ ، وعرَّفنا ما علينا له سبحانه من واجبات بالتفصيل ، ثم سجَّل ذلك كله في كتاب ، وطلب من كل فرد منّا أن يوقع بالموافقة ، ثم أتى بحجر من الجنَّة ووضع هذا الكتاب في قلب الحجر .

ولما نزل آدم من الجنَّة ، أنزلت الملائكة له الحجر ، وأمرته بوضعه في ركن الكعبة ، حتى أن كل من يذهب للحجِّ يلتقط له الحجر صورةً بأنه وفَّي بالعهد الذي أخذه على نفسه هناك .

وهذا الكتاب مكتوب فيه :

---

(١٨) رواه الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾- ...وكل الأسماء موجودة ..!!..-
﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ (١٧٢) ﴾ سورة الأعراف

وهذا تحذير ...!!...: فكتب الله الأسماء كلها على حسب إقرارهم واعترافهم بالربوبية ، وقال : هؤلاء إلى الجنة ولاأبالى ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى ، فأصبح من ذلك اليوم فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير ، وفي ذلك يقول ﷺ :

﴿ إِنَّ اللهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ! قَالُوا بَلَى ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ فَقَالَ : هَؤُلاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَ لا أُبَالِي ، وَ هَؤُلاءِ إِلَى النَّارِ ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (١٩)

ولذلك فإن الرسول في الإسراء والمعراج :

وجد سيدنا آدم في السماء الأولى ينظر عن يمينه ، فيجد خلائق كثيرين فيبتسم ، وينظر عن شماله فيلقى خلائق ليس لها عدد فيبكى ، جهة اليمين يضحك ، وجهة الشمال يبكى – فسأل سيدنا جبريل .:

﴿ مَا هَذَا يَا أَخِي يَا جِبْرِيل ؟ ، فَقَالَ : هَذَا آدَمُ ، وَهَذِهِ نَسَمُ أَرْوَاح

---

(١٩) رواه البزار والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن هشام ابن حكيم بن حزام .

بَنِيهِ ، فَأَمَّا الَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ ؛ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ .... ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ فَرِحَ فَضَحِكَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَنْ شِمَالِهِ ؛ فَأَهْلُ النَّارِ .... ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ حَزِنَ فَبَكَى ﴾ (٢٠)

وهذا يعنى أن صورنا موجودة في الذين عن يمين آدم إن شاء الله ، ويعنى أيضاً أن ذلك تمَّ منذ اجتماع الأرواح بحضرة الكريم الفتاح ، وهو ما نسمِّيه "يوم الميثاق" ، أو يوم "ألست بربكم" ، وهو اليوم الذي أخذنا فيه العهد مع الله ، وأطلعنا فيه عَزَّ وَجَلَّ على كل شيء فلم يترك صغيرة ولا كبيرة ، وفي هذا اليوم أخذ الله العهد علينا أننا إذا جئنا إلى هذه الحياة :

١- نعبده ونوحِّده ، ونشكره ، ونذكره .

٢- ونقوم لنبيِّه صلى الله عليه وسلم ناصرين ، ومعينين ، ومؤيدين .

نُورُ الْمُؤْمِنِين

وقد أكرمنا الله عَزَّ وَجَلَّ بميراث الهداية منذ ذلك اليوم : .... لأنه ..... ما الذي جعل فريقاً يرضى عن أمر الله ، ويوقع هذا الميثاق برضى تام ؟...... وفريقاً آخر لا يوافق إلا مقهوراً بجلال الله ؟... ، وإن كان في نفسه يضمر غير ذلك .

وهذا ما يفسره حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول :

﴿ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ،

(٢٠)رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

فمن أصابه من ذلك النور وفّق واهتدى ، ومن لم يصبه ذلك النور ؛ ضلّ وغوى (٢١)

وهذا أساس ميراثنا الإيماني : ... فالذي أكرمه الله بقبسٍ من نور رسول الله آمن ، ولذلك عندما يحضر في الدنيا هنا :

يحنُّ إلى القرآن ، ويحنُّ إلى دروس العلم، ويحنُّ إلى رسول الله، ويشتاق إلى زيارته ، ويحنُّ إلى الحج ويحنُّ إلى أفعال الخير، وحتى وهو في المعاصي يندم ! ، ويلوم نفسه ! لماذا ؟ ... من النور الذي فيه من رسول الله ... ، فهو الذي يجذبه إلى هذا البر ، وهذا الخير .

أما الآخر ....:... فلو أحضرت له مشايخ الإسلام أجمعين ، والصالحين أجمعين ، فلن يستطيعوا هدايته ، لأنه ليس له سماعة داخلية تلتقط الموجات الإيمانية ؛ فالإذاعة إذا كان إرسالها جيِّداً ، لكن جهاز الإستقبال معطَّل ، فلن توصِّل إلى شيء ، وكذلك الكافرون ، لأنهم ليس لديهم الآذان الصاغية ، فحتَّى لما كان الرسول يدعوهم ، كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ، لأنهم لا يريدون أن يسمعوا شيئاً .!!!! ....لماذا ؟......... لأن هؤلاء الكفار ليس لهم سمَّاعة داخلية ، ومكتوب عليهم الشقاوة ، ولذلك فالله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ الآية ١٠١ سورة الأنبياء

فالذين – من هناك – لهم الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حتى

(٢١) أحمد و الترمذي وحسَّنه ، وابن جرير ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقي عن عبد الله بن عمر ، وفى بعضها عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين .

صوت جهنم ......﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ ..... وإلى أى مدى يبلغ صوت جهنم ؟ ..... صوت جهنم يسمع على مسيرة خمسمائة سنة ..... ، وهـؤلاء القوم لا يسمعون حسيسها ، لأنهم يخرجون من القبور إلى القصور .

✷ إذن السعادة من هناك ... ، والشقاوة أيضاً من هناك ... .

ولذلك قال رسول الله ﷺ :

﴿ إنّ أحَدَكُمْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النّارِ حَتّى لا يَكُونَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنّةِ ؛ فَيَدْخُلُهَا .... ﴾ أى أن حياته كلها معاصى وذنوب وفي آخر لحظه قبلها بحوالى ثلاثة أو أربعة شهور ربنا يتوب عليه ويدخل الجنة ، فالمهم الخاتمة ، الثانى : ﴿ وَإنّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنّةِ حَتّى لا يَكُونَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النّارِ؛ فَيَدْخُلُهَا ﴾ (٢٢)

✷ والقصص كثيرة في هذه المواقف :

✷ فهذا رجل وأخوه وهم من بنى إسرائيل ، أحـدهم جلـس في خلـوة للعبادة ، والثانى في المعاصى ، فالمتمرغ في المعاصى قال لنفسه :

أنت كبرت فارعوى ، واجلس مع أخيك وتب إلى الله تعالى لعله يقبل توبتك ، والثانى الموجود في الخلوة يتعبد ، قال لنفسه :

تظل طول حياتك في نكد ، وأخوك فرحان و مسرور ، أذهب إلى أخى وأتمتع بالدنيا ، حتى إذا اقترب ميعاد الموت أرجع وأتوب .

---

(٢٢) رواه البخارى ومسلم وعبد بن حميد عن سهل بن سعيد وأحمد ومسلم عن أبي هريرة ﷺ.

ويحكى سيدنا رسول الله ﷺ أمرهما أنهما التقيا على درج السلم الصاعد إلى الخلوة ، فالعابد نازل بنيته ، والآخر صاعد بنيته ، فاصطدما في بعضهما فوقعا ميتين ، فالنازل إلى جهنم ، والطالع إلى الجنة – وإن كان لم يعمل حسنة – والثاني لم يعمل سيئة ، لكنه ناوى على الشر ، والأول ناوي على الخير .

﴿ إنما الأعمال بخواتيمها ﴾ (٢٣)

وأيضاً في غزوة من غزوات الرسول :

رأوا رجلاً من المسلمين يجاهد ببسالة ، فقالوا :يا رسول الله ليس فينا إلا فلان هو الذي يفعل فيهم الأفاعيل .فقال ﷺ : *هو في النار* .

ورأوا آخر في صفوف الكفار يظهر براعة في القتال ، فقالوا يارسول الله ليس فيهم إلا فلان هو الذي يفعل فينا الأفاعيل ، فقال ﷺ *هو في الجنة* .

فالمسلم أصابته ضربة سيف ، فنقلوه وراء الصفوف ، والذين عندهم حبُّ استطلاع ذهبوا وراءه ليعرفوا جليَّة الأمر ، فأمسك الرجل بخنجره وقطع وريده ، فقالوا له : لم تقتل نفسك وقد أبليت بلاءاً حسناً ؟ ألا تريد الشهادة على الإسلام ؟.. فقال : أنا لا أحارب من أجل الإسلام ، أنا أحارب حميَّة لقومي ، ونزف دمه ومات ، فقالوا : صدق رسول الله ﷺ ، قتل نفسه ومات كافراً .

أما الرجل الثاني ، فقد أصابه المسلمون ، وأخذوه أسيراً ، فلما مثل بين يدى رسول الله ﷺ قال له ﷺ : *أما آن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله* ؟. فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم فارقت روحه الحياة ، فدخل الجنة ، ولم يتوضأ ، ولم يصلِّ ، ولم يفعل طاعة قط .

---

(٢٣)رواه ابن عساكر عن معاوية رضي الله عنه .

ففضل الله علينا أن الله ﷻ خصَّنا بنور رسول الله ، الذي بسببه آمنا وقلنا:

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا ﴾ الآية ١٩٣ سورة آل عمران.

وبسرِّ هذا النور صرنا نحبُّ الصلاة ، ونحبُّ الصيام ، ونحبُّ أركان الإسـلام . ونحبُّ النبي ﷺ ، ونبتعد عن الذنوب ...... إذن هذه الهداية التي فينا ما سـرها ؟.. وهذا الورع الذي فينا ما سره ؟.. وكل خير نعمله ما سرُّه ؟..

من النور الذي فينا وبنا من الله ﷻ ، فلو جلسنا نشكر ربَّنا حتى قيام الساعة على هذا النور !! هل نستطيع أن نقوم بحق الشكر لله ﷻ على هذه النعمة ؟. كلا ! فمن رحمة الله علينا برسول الله ﷺ أن رشَّ علينا من نور رسول الله ولذلك قال ﷺ:

{ أنا مِنَ اللهِ ، وَالمؤمنونَ مِنْ نُوري } [٢٤]

ولذلك فهو ﷺ حريص علينا ورؤوف رحيم بنا، فهو يبحث عن أمتـه يـوم القيامة حتى الذي عمل معاصي منهم ليشفع لهم عنـد الله ﷻ، وصـدق الله ﷻ إذ يقول :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾
الآية ١٢٨ سورة التوبة

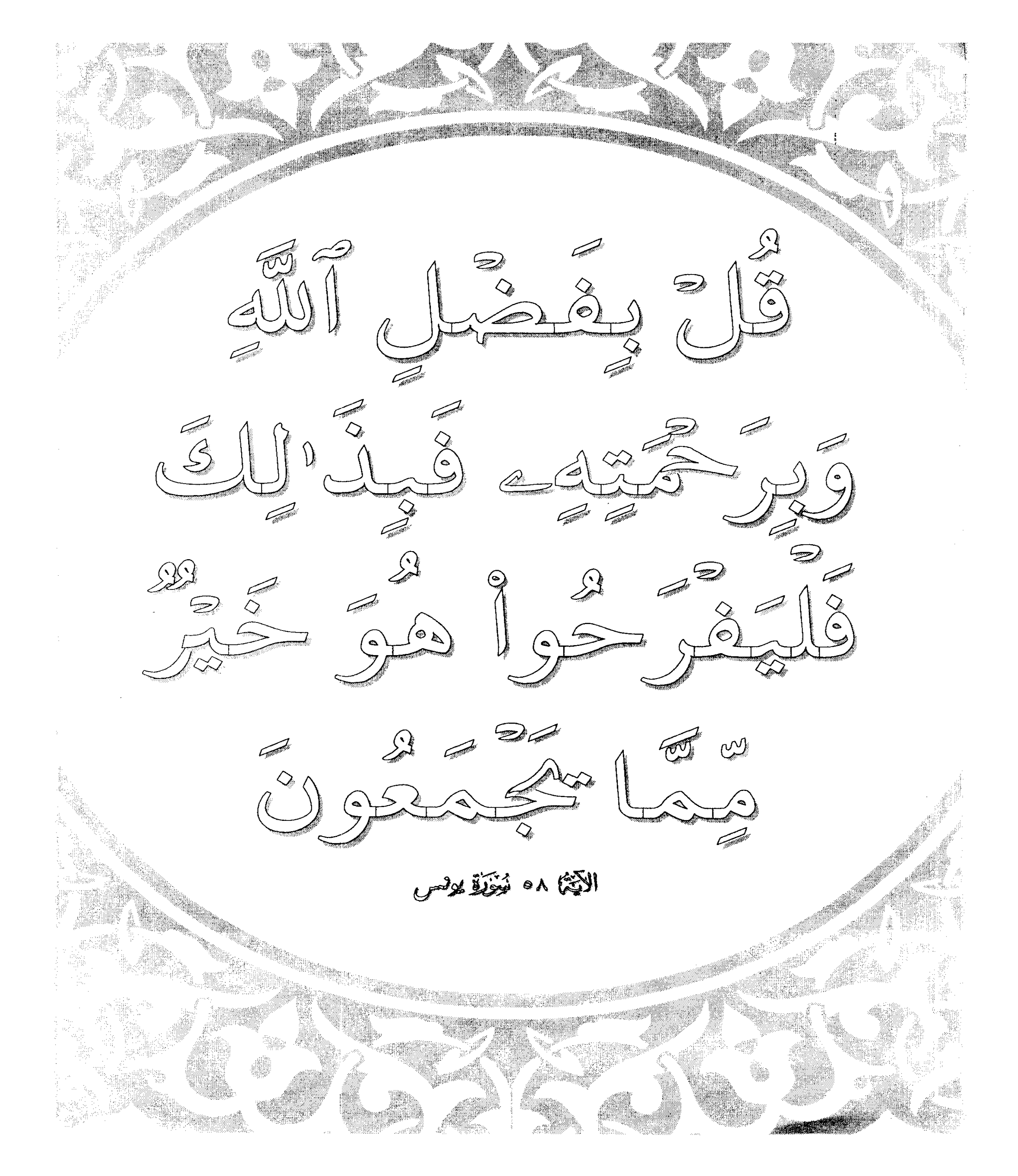
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

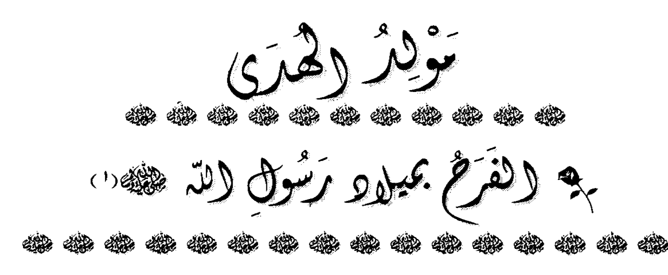
([٢٤]) رواه الديلمي عن أنس ﷺ.

الباب الرابع

مَوْلِدُ الهُدَى

- الفرح بميلاد رسول الله ﷺ
- فضائل الإحتفال بميلاده ﷺ
- ميلادُ النورِ المحمدي
- سر آدم عليه السلام
- تنقلُ النورِ المحمدي
- نورُ النبي في ظهرِ عبدالله
- ظهورُ نورِ النبي في الأكوان
- إيمانُ تبع بالنبي قبل بعثته
- نبوءة سيف بن ذي يزن ببعثته ﷺ
- البشارات بمولده ﷺ
- آيات ولادته ﷺ
- ميلادُ النبي السعيد


قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ
وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ
مِّمَّا تَجْمَعُونَ
الآية ٥٨ سورة يونس



مَوْلِدُ الهُدَى

الفرحُ بميلادِ رسولِ الله ﷺ[1]

أبشروا جميعاً بفضل الله وبرحمته ....

فإن الله أمر المسلمين بالاحتفال بميلاد رسول الله في نص كتاب الله فقال سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الآية ٥٨ سورة يونس

وفضل الله ورحمة الله هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه أعظم فضل أرسله الله إلينا وأعظم رحمة ساقها الله إلينا ولذا قال ﷺ :

{ ما اختلط حبّي بقلب عبدٍ مؤمنٍ فأحبّني ؛ إلا حرّمه الله على النّار، وأدخله الجنّة }[2]

يكفى أن الكافر الذي بشّر بميلاد رسول الله ، وفرح بهذا ، وقدم شيئاً لله وأطلق الجارية حرة لوجه الله ..... عندما رآه أخوه العباس في المنام وقال له :

---

(1) كانت هذه المحاضرة بمسجد سيدى عيسى الشهاوى بالجميزة – غربية بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله يوم ١٩٨٨/١٠/٢٢ م .

(2) رواه أبو نعيم عن ابن عمر والسيوطى وصحّحه .

ﷺ يا أبا لهب ماذا فعل الله بك ؟ قال : يا أخي أنا في عذاب شديد ، إلا أن الله يخفف عني كل ليلة إثنين ، لأني أعتقت ثويبة في هذه الليلة عندما بشرتني بميلاد محمد ﷺ ، ويضع الله لي في نقرتي هذه- أي بين الأصبعين - شربة ماء أشربها في هذه الليلة ، فلا أتناول غيرها بقية الليالي ﷺ (٣)

هذا من أجل أنه أحتفل برسول الله ، وعمل عملا كريما في ذكرى رسـول الله ﷺ ، وفي ذلك يقول القائل :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ✳ وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في ليلة الاثنين دائما ✳ يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي ظل عمره ✳ بأحمد مسروراً ومات موحدا

فضائل الإحتفال بميلاده ﷺ.

وهذا الذى جعل الأئمة الكرام يستحسنون الاحتفال بميلاد رسول الله ، ويستحسنون للإنسان أن يقدم فيه بعض الصدقات للفقراء والمساكين ، ويقوم فيه بتقديم بعض الخيرات لأصحاب الحاجات ، ولذا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه :

{{ من دعا إخواناً ، وصنع طعاماً ، وأوقد سراجاً ، وأنفق نفقة،

(٣) رواه الحافظ الشامي في سبل الهدى والرشاد وابن دحلان في السيرة النبوية .

إحتفالاً بميلاد رسول الله ﷺ ، فقد فاز بالأمان }} .

ويقول الإمام معروف الكرخى رضي الله عنه وأرضاه :

{{ ما قرىء ميلاد رسول الله ﷺ على شيء من برٍّ (قمح)، أو طعام ، أو ماء ، فدخل بطن إنسان ، إلا وتحرَّك واضطرب ولا يستقرُّ ، حتى يغفر الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان }}

فنحن نحتفل بميلاد رسول الله ﷺ في هذه الليلة المباركة التي قال فيها بعض الأئمة : .....إنها أفضل من ليلة القدر ! ، لماذا ؟ ..... قالوا :

{ لأنه لولا ميلاد رسول الله ما كانت ليلة قدر }.

فميلاد رسول الله سبب ليلة القدر ، وسبب نزول القرآن ، وسبب الخير الكثير الذى جاء به إلينا الله سبحانه وتعالى فهى أعظم ليلة في الوجود .

مِيلادُ النُّورِ المُحَمَّدِي

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، إذا احتفلنا بميلاده ما هو أصله ؟..، وأصحابه أنفسهم سألوه عن ذلك ، عندما سألوه عن أول ما خلق الله ...؟ فقد قال سيدنا جابر :..... يارسول الله ما أول شيء خلقه الله ؟ ، فقال ﷺ ..:

﴿ هو نورُ نبيِّكَ يا جابر من نورِهِ يا جابر ﴾

فأولُ شيء خُلِقَ من نور الله هو نور رسول الله ﷺ ، وهذا كان قبل خلق

الخلق جميعاً بما فيهم سيدنا آدم عليه السلام ..... بكم عام ؟ ...... يشير إلى ذلك حوار رسول الله ﷺ مع سيدنا جبريل ، وأحاديث أخرى فى هذا الموضوع (راجع بالتفصيل حديث سيدنا جابر و الأحاديث الأخر – الباب الأول : صفحة ٢٦–٣٠ بهذا الكتاب –) .فهو النور الذي خلقه الله من نور عظمته ، وأفاضه الله من جمال حضرته ، ليكشف للكون كله عن جمال الله ، وعن فضل الله ، وعن كرم الله ، وعن نعم الله على خلق الله .

سِرُّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام

وعندما خلق الله آدم عليه السلام : .... وضع ذلك النور في ظهره ، ولمع في وجهه ، وكان غرة في وجهه على هيئة الهلال إذا كان في أول الشهر ، ولذلك عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم : ....

فالذى رأى النور في وجه آدم سجد ، والذى لم يرالنور امتنع عن السجود ، وهو ابليس لعنة الله ، لأنه لم ير نور رسول الله في وجه آدم عليه السلام ؛ ولذلك يقول أحد العارفين وهو الشيخ على وفا رضي الله عنه وأرضاه:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره ✳ في وجه أدم كان أول من سجد
أو أبصر النمروذ بعض جماله ✳ عبد الجليل مع الخليل وما جحد
لكن نور الله جلَّ فلا يرى ✳ إلا بتخصيص من الله الصمد

فهذا النور لا يراه إلا من أحبَّه الله ..!!.. ، فقد ظهر في نفسه ..!!.. ، لكن من الذى رآه ؟ .... رآه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، ولم يره أبو جهل وأمثاله ..، و لذلك يقول الله في حقهم :

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ الاعراف

أي يرونك ، ولكن لا يرون النور الذي جمَّلك به ربُّ العالمين سبحانه وتعالى.

فنزل هذا النور مع آدم عليه السلام ، وقد رآه في كل شيء ، رأى عرش الجنة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ورأى أوراق أشجار الجنة .... وكل ورقة مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكذا صدور الحور العين ، وأبواب الجنة ، وقصور الجنة ، وكل شيء في الجنة مزين بزينة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فلما خالف أمر مولاه ، وفرَّحياءا من الله ..... ، قال له الله تعالى :

أفراراً مني يا آدم ؟ ! ، قال : بل حياءاً منك يارب ، فنزل إلى الأرض ، ...... نزل في أرض الهند .... ، وزوجته نزلت إلى أرض الهند في مكان آخر ... .فأخذ يبكى ويتضرع إلى الله أربعين سنة .... – وفى روايات ثلاثمائة سنة – حتى يتوب الله عليه من الذنب الذي ظهر منه بالجنَّة ..... إلى أن تذكر ..... كما يحكى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – راجع بالتفصيل صفحة ٤٢–٤٣ من هذا الكتاب)..فكان أن غفر الله لآدم لما سأل الله سبحانه و تعالى بحق محمد صلى الله عليه وسلم ، بل و أعلم الله آدم أنه لولاه صلى الله عليه وسلم ما خلق سموات ولا أرض ، ولذلك يقول جبريل لرسول الله على لسان الله . :

﴿ يقول لكَ اللهُ : يا حبيبي لولاكَ ما خلقتُ السمواتِ والأرضَ ، لولاكَ ما خلقتُ الأفلاكَ ، لولاكَ ما جعلتُ جنَّةً أو نارًا ﴾ (٤)

---

(٤) رواه الصناعى والديلمى عن ابن عباس رضي الله عنه .

فعرف آدم سر هذا النور :

فتزوج حواء ، وأنجب منها عشرين بطناً ، في كل بطن ذكر وأنثى ، وفي آخر الأمر أنجبت واحداً فقط في بطن ، فسموه " شيث " – عليه السلام – ، ولما جاء وحيداً ؟ .... لأن هذا سينتقل إليه نور رسول الله ، فأعطاه الله النور ، ووصَّاه آدم بهذا النور وقال له :

﴿ لا تضعه إلا في أرحام الطاهرات ، ووصِّ بذلك بنيك من بعد ، فلا يضعونه إلا في الأرحام الطاهرة النقيَّة ﴾ (٥)

تنقُّل النور المحمدى

فتنقل هذا النور في الأنبياء والمرسلين أجمعين :

فكان في ظهر نوح وهو في السفينة ، وكان في ظهر إبراهيم وهو في النار ، حتى وصل إلى عبد المطلب بن هاشم عليه رحمة الله ، وهذا النور كان لامعاً للجميع ، حتى أنه كان يلمع للحيوانات .

ونحن لن نحصى آباءه أجمعين ، لأن الإمام ابن الكلبى رضي الله عنه وأرضاه يقول :

{ كتبت خمسمائة أم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلهنّ طيِّبات طاهرات }

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٥) رواه ابن عساكر عن سلمان .

﴿ خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح منذ آدم عليه السلام ، إلى أن ولدني أبي عبد الله وأمي آمنة ﴾ [٦]

والعجيب أن هؤلاء الآباء حتى الذي كان يأتي منهم في فترة ليس فيها أنبيــاء كان يوجهه الله إلى الفطرة الإلهية .

فعبد المطلب لم يكن في زمانه نبي ، ولم يكن هناك في قومه شرع لنبي :

إلا أنه بإلهام من الله حرَّم على نفسه الخمر والغصب ، وحرَّم على نفسه وأهله الزنا ، وحرَّم على نفسه وأولاده أكل الحرام ، وحرَّم على نفس وأولاده أكل اللحوم التي لم يذكر عليها اسم الله – بخلاف أهل الجاهلية جميعاً – وحرَّم على نفسه السجود لصنم ....كيف تم هذا ؟..!!.........................

عناية من الله لرسول الله ﷺ في جده عبد المطلب .

﴿ ولذلك لما توجه إليهم أبرهة ، أرسل رسولاً له إلى أهل مكة يخبرهم بنبأ الجيش ، ويطلب من رئيس البلدة أن يسلمهم المدينة ، فسأل عن زعيم البلدة فقالوا له : إنه عبد المطلب ، فلما شاهد الرجل عبد المطلب – ولمح نور رسول الله في جبهته ، مع أن رسول الله كانت أمه حاملاً به ، وكان باقياً له خمسون يوماً ، ويولد فقد ولد بعد الفيل بخمسين يوماً ، حدث له ذهول – أي رسول إبرهة – ، وأخذ يصيح كما يصيح البقر المذبوح ، ثم

[٦] رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما والطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر .

أخذه ، وسار به إلى أبرهة ، فأتوا له بالفيل ليخوّفوه ، وعندما رأى الفيل عبد المطلب سجد بين يديه ، فتعجب أبرهة من هذا الأمر [٧]

ولم يدر أن الفيل في الحقيقة يسجد للنور الذي في وجه عبد المطلب رحمة الله عليه ، فأكرمه الملك من أجل هذا النور .

نُورُ النَّبي ﷺ في ظَهرِ عَبْدِاللهِ

انتقل النور بعد ذلك إلى عبد الله والد رسول الله ﷺ ، وحدث له مثل ما حدث ليوسف عليه السلام في فتنة النساء به وتعلمون كيف أن النساء فتنَّ ؛ حتى أنهنَّ لما تحدثنَّ بأن أمرأة العزيز شغفت بيوسف حبّاً ، دعتهنَّ ، وقدمت لهنَّ تفاحاً ، وأعطت كل واحده سكينا تقطع بها التفاح ، وأخرجت عليهنَّ يوسف وهن يقطعن التفاح .

فمن شدة جمال يوسف عليه السلام ، لم يتنبهنَّ ..!!.. وقطعنَّ أيديهنَّ بدلاً من التفاح ..!!.. ، ولم يتنبهنَّ إلا عندما نبهتهنَّ إمرأة العزيز .

وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز قائلاً :

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة يوسف

وهذا الذي حدث لسيدنا يوسف حدث لسيدنا عبد الله :

---

[٧] نقله صاحب المواهب عن الحافظ النيسابورى عن كعب الأحبار .

فكل واحدة من بنات قريش رغبت في الزواج من عبد الله ... !! ..، .. لماذا ؟ لنور رسول الله الموجود في وجهه ، وكان يتلألأ في وجهه وواضحاً وضوح الشمس :

﴿ حتى أنه لما فدى من الذبح وفداه أبوه بمائة جمل ، وبينما هو سائر في الطريق تعرضت له أربع نساء خلف بعضهن ، كل واحدة تقول : تعالَ قعْ عليّ الآن ..!!.. وأعطيك مائة جمل مثل الذى ذبح من أجلك ؟... فيقول لهن:

أما الحرام فالممات دونه ✳ والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ✳ يحمي الكريم عرضه ودينه

فخطب له أبوه آمنة بنت وهب ﴾ (٨)

وفي ليلة زواجه بها ، يحكى كتَّاب السيرة ؛ أن معظم نساء قريش مرضنَّ في تلك الليله ، وأن مائتى إمرأة منهنَّ رفضنَّ الزواج ، وظللنَّ بدون زواج حتى متنَّ ، لأنهن فاتهنَّ جمال نور رسول الله في عبد الله .

ظهور نور النبي في الأكوان

هذا النور المحمدى لما آن أوان ظهوره ....

هيأ الله سبحانه وتعالى الكون كله له ، فقد هيأ له الملكوت ، وهيأ له الأرض ،

(٨)رواه أبو النعيم والخرئطى وابن عساكر عن ابن عباس .

وهيأ له السموات ، وهيأ له حق الحيوانات ، وهيأ له حق الجمادات ، هيأها لهذا النور ، لأن هذا النور الذي سيسرج العالم كله ، فيهدى به الله من الظلمات إلى النـــور .... من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وربنا يقول عنه :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾
الآية ١٥ سورة المائدة

فلو كان النورهو الكتاب ؛ لقال : "قد جاءكم من الله نور كتاب مبين" ، لكن النور شيء ، والكتاب شيء آخر – لأن الواو تقتضى المغايرة – أى هذا غير هـــذا ، ومن ناحية أخرى :

فإن رسول الله ﷺ كان إذا مشى لا يرى له في ظل ، لا في شمـــس ، ولا في قمر – والذى لا يرى له ظل هو النور فقط ، هذا بالإضـــافة إلى أنـــه صـــلوات الله وسلامه عليه ، كان إذا تكلم كان النور يخرج بين ثناياه ، ويـــراه أصـــحابه ، ...... وتحكى في ذلك السيدة عائشة :

﴿ أنها كانت تخيط ثوباً ، فوقعت الإبرة ، وأنطفأ المصباح ، فأخذت تبحث عن الإبرة فلم تجدها ، فدخل رسول الله ﷺ فجأة ، فسطع نورمن وجهه من الأرض إلى السماء ، رأت على هذا النور الإبرة ، ووضعت فيها الخيط ، وأكملت خيطها ﴾ [٩]

هذا النور لما أراد الله سبحانه وتعالى ظهوره ...... ، هيأ له كل شيء في الزمان ..!!.. ، والمكان ..!!.. :

---

[٩] النيسابورى في تاريخه (شرف المصطفى) وابن عساكر عن عائشة .

فسيدنا موسى عليه السلام أخبر قومه بكل شيء عنه ، وسيدنا عيسى عليه السلام أخبر أمته بكل شيء عنه ، حتى كان أحبار اليهود وعلماء النصارى يعرفون كل شيء عنه ، فيعرفون الشهر الذى حملت به أمه ، والشهر الذى سيولد فيه ، والشهرالذي سيخرج فيه إلى الشام ، والشهر الذي سيخرج فيه إلى اليمن ، والسنة التى سيترل عليه فيها الوحى ، والوقت الذي سيهاجر فيه من مكة إلى المدينة .

إيمانُ تُبَّعٍ بالنَّبي قبْل بعْثتِهِ

حتى أن ملكاً من ملوك اليمن اسمه تبَّع (أسعد الحميرى) سمع عن يهود المدينة ، وكان يكره اليهود ، وذلك قبل ميلاد الرسول بثلاثمائة سنة ، فذهب إلى اليهود ليقضى عليهم .... :

فخرج له عالم من علماء اليهود - اسمه شامويل - ، وقال له :... يا جلالة الملك إنك لن تستطيع أن تقضي على هذه البلدة ، قال له : .... لماذا ؟ قال له :.... إن هذه البلدة ستكون مهاجر نبى آخر الزمان ، وتكون دار إقامته ، وأنصاره قوم من اليمن ، فرجع الملك عن رأيه في غزوهم ، وبنى بيتاً لرسول الله - حتى إذا هاجر يسكن فيه - وأحضر مجموعة من العلماء الذين معه - وعددهم أربعمائة عالم - وأعطى لكل عالم منهم جارية ، ونفقة ، وأمرهم أن يسكنوا في هذه البلدة ،

حتى إذا جاء هذا النبي ، آزروه ونصروه ، وترك لهم كتاباً يسلمونه للنبي ومكتوب فيه :

شهدت على أحمد أنه ✳ رسول من الله بارى النسمّ
فلو مدّ عمرى إلى عمره ✳ لكنت نصيراً له وابن عمّ
وجالدت بالسيف أعداءه ✳ وفرّجت عن صدره كل غمّ

فآمن بالنبي ، وذهب إلى الكعبة فغسلها ، وطاف بها - وهذا الإيمان برسول الله كان قبل بعثته بثلاثمائة عام ، ويمر الزمن - ويهاجر رسول الله إلى المدينة ، وكل واحد من أهلها يريد أن يأخذ رسول الله إلى بيته ، فيقول لهم : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فتأتي الناقة عند بيت أبى أيوب الأنصاري وتبرك (١٠).

فإذا بأبي أيوب الأنصارى هذا من سلالة كبير العلماء ..... ، وهذا البيت الذي يسكنه أبو أيوب ، كان بيت تبّع الذي بناه لرسول الله ﷺ ....

فلم ينزل صلوات الله وسلامه عليه إلا في بيته الذى بناه له الله سبحانه وتعالى من ثلاثمائة عام على يد تبع .



(١٠) رواها السمهودى في وفاء الوفا " تاريخ المدينة " ، وابن دحلان في " السيرة النبوية " ، وابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

نُبُوءَةُ سَيْفِ بن ذي يَزَن ببعثته ﷺ

فالكون كله كان يعرف كل شيء عن بعثته :

ولذلك فإن عبد المطلب لما ذهب إلى اليمن يهنىء سيف بن ذى يزن بانتصاره على الحبشة ، ومعه جماعة من قريش ، قابلهم وأدخلهم بيت الضيافة ، وقال لهم :

﴿ انتظروا هنا ، وتركهم لمدة شهر ، وفي يوم من الأيام دعا عبد المطلب وقال له : ..إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون الذى اخترناه أنفسنا وحملناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولك خاصة لله ، فقال عبد المطلب :... مثلك أيها الملك من سر وبر ، فما هو فداك أهل الوبر زمراً (جماعات) بعد زمر ؟ ، قال :... إذا ولد بتهامة غلام ، به علامة بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة ، فقال عبد المطلب : ... أبيت اللعن ! ، لقد أبت بخير ما آب به وافد قوم ، ولولا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله ، لسألته من بشارته إياي ما أزداد به سروراً ، قال سيف بن ذى يزن : ... هذا حين يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه محمد ، بين كتفيه شامة ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، قد وجدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً

، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزّ بهم أولياءه ، ويضرب لهم الناس عن عرض ، ويستبيح به كرائم الأرض ، يعبد الرحمن ، ويزخر الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسّر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهي عن المنكر ويبطله ، قال عبد المطلب : .... أيها الملك عزّ جارك ، وسعد جدك ، وعلا كعبك ، ونما أمرك ، وطال عمرك ، ودام ملكك ، فهل الملك ساري بإفصاح ؟ فقد أوضح بعض الإيضاح ، قال سيف بن ذي يزن : .... والبيت ذي الحجب ، والعلامات على النصب ، إنك يا عبد المطلب لجدّه بلا كذب ، قال فخرّ عبد المطلب ساجداً ، فقال سيف : .... ارفع رأسك ، فقد ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟ .... ، قال عبد المطلب :.... نعم أيها الملك ! ، إنه كان لي ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً ، فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهره ، فجاءت بغلام ، وسمّيته محمدا ، ومات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كل ما ذكرت من علامة ، فقال سيف : .... إن الذي ذكرت لك حق ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء

، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذي معك ، فإني لست آمن أن يدخلهم التحاسد من أن يكون لك الرياسة فيبغون لك الغوائل ، وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون ، أو أبناؤهم ، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه ، لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه ، فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق : أن يثرب استحكام أمره ، وموضع قبره ، وأهل نصرته [11]. ﷺ .

.... إلى آخر هذا الحديث الطويل .

البشارات بمولده ﷺ

قبل رسول الله ﷺ لعب الجن بعقول الناس ، والجن ينتشرون في فترة ضعف الإيمان ، وانتشار الجهل ، فالمدة التي بين سيدنا عيسى ورسول الله ﷺ تسمى (الفترة) :

وفي هذه الفترة طغا الجن وبغوا ، خاصة وأن الجن من طبيعتهم التي فطرهم عليها الله عَزَّ وَجَلَّ الخفة والطيش ؛ فحتى المؤمنين منهم على هذه الشاكلة ..!!..، ولذلك

([11]) رواه الإمام الماوردى في أعلام النبوة ، وأبو نعيم ، والبيهقى ، من طريق عفر بن زرعة ، بن سيف بن ذى يزن عن أبيه .

نسمع عن سرعة أذاهم للإنس .

فبعضهم كان يمسُّ الإنس في لحظات الضعف والخوف ، فيؤذونهم ويضربونهم ، وبعضهم كان الجن يتملَّك منهم فينطق على ألسنتهم ، ويخبر الناس بأشياء يخفونها ، ولم يطلعوا عليها أحد ، ولكن الجن يرونها من باب قول الله ﷻ :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

آية ٢٧ سورة الأعراف

فكان الذي ينطق الجنُّ على لسانه من الإنس يلقب بالكاهن ، والجنُّ الذي يأتى الكاهن يسمى التابع ، وقد ذاع صيت هؤلاء الكهان ، وفشى أمرهم في الجزيرة العربية قبل بعثته ﷺ لكثرة إنتشار الجهل والمرض ، وإيمان الناس بالخرافات والأوهام ، حتى أنهم أوهموا الناس أن أحدهم إذا أمسى عليه الليل في مكان قفر ، ويريد ألا يؤذيه أحد فعليه أن يقول : " أعوذ بكبير هذا الوادى " لأنهم صاروا يعتقدون أن لكل وادى شيطان يحميه .

ومنهم من كان يدخل في جوف الأصنام ليذيع نبأ استرقه من السماء ، ليضلَّ الناس ؛ ويجعلهم يعتقدون أن هذه الأحجار آلهة تسمع وتنطق وتعرف الغيب ، فيسارعون إلى إرضائها بعبادتها ، وتقديم الذبائح والأطعمة كقرابين لها ، فلعب الجنُّ بعقول الناس من هذه الطرق ، حتى خربوا العقائد ، وأضلُّوا الناس عن الطريق المستقيم .

منع الجن من استراق السمع

وعندما انتقل النور المحمَّدى ... إلى بطن السيدة آمنة المصونة ، التقيَّة ، النقيَّة ،

فالسماء جهزت مدافع تطلق صواريخ نارية مضادة للجنّ ، فتطلق على من يصل إليها من الجنّ شهابا رصدا أى صاروخاً يحرقه فورا ....

﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ الجن.

فحرموا من استراق السمع ، وضعفت شوكة الجن ، حتى أن كثيراً من النـــاس كان عندما يستعيذ بكبير الوادى كما هو المتّـــبع ؛ يسمع صوتاً يقول له :

﴿ إنّ نبيّ آخر الزمان قد ولد ، ولا يُستعاذ إلا بالله ﷻ ، فقل : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ﴾

ولذلك تروى لنا كتب التاريخ الإسلامى :

أن ما يزيد على المائتى رجل ؛ دخلوا الإسلام عن طريق الجن بهذا الأســـلوب الذي ذكرناه آنفاً ، وهكذا كان من البشائر بولادته ﷺ ...:

منع سطّوة الجنّ ... ، ومنع شروره ... ، ومنع استراق سمعه لخبر السماء .

رؤيا عبد المطلب

أيضاً من هذه البشريات : ...... ما رآه عبد المطلب جد الرســـول ﷺ في منامه ، وهو نائم في حجر إسماعيل :

﴿ أنه خرج نورٌ من ظهره ملأ المشارق والمغارب ، ثمّ نبتت شجرةٌ فامتدت أغصانها وفروعها من الأرض إلى السّماء ، فقام من نومه فزعا ، ولمّا قصّ رؤياه على الكاهنة ...، قالت له : ..سيخرج من

﴿ صلبك ولد يدين له أهل السماوات و الأرض ﴾ [١٢]

فعرف ذلك لرسول الله ﷺ فقرَّبه وأدناه ، وشمله بعطفه ورعايته :

﴿ حتى أنه كان لا يستطيع أحد أن يجلس على سجادته المفروشة بجوار الكعبة إلا هذا الغلام ، وقد هموا مرة بمنعه من الجلوس عليها ، فقال لهم : دعوا ابني هذا ولا تمنعوه ، فإنه سيكون له شأن ﴾ [١٣]

أصحاب الفيل

ومن جملة هذه البشائر ما حدث لأصحاب الفيل :

فقد ذهب أبرهة بجيشه ، وكان معه خمسة آلاف ، واتجه نحو مكَّة ، ومعه الفيل الضخم لكي يهدم الكعبة .

وقد كان أبرهة ومن معه نصارى ، وأما أهل مكَّة فقد كانوا مشركين ، فضربوا الحصار حول مكَّة ، وكلما وجهوا الفيل إلى مكَّة برك ولم يتحرك ؛ فإذا وجهوه إلى أي جهة أخرى سار مسرعاً ، فنخسوه بأسياخ الحديد المحمَّاة بالنَّار ، فلم يزده ذلك إلا إصراراً .

وبينما هم على ذلك ، إذا بطيور تأتي من جهة البحر الأحمر ، وكل طائر منهم معه ثلاث حصيات في حجم حبَّة السمسم ، إثنان بين قدميه ، وواحدة في منقاره ، فتنزل الحصاة على رأس أحدهم فلا تزل حتى تخرج من دبره فيموت في الحال .

---

(١٢) أخرجه أبو نعيم وابن هشام والسيوطي من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي أجهم عن أبيه عن جده .

(١٣) أخرجه البيهقي عن الزهري .

أرأيت كيف كانت هزيمة أبرهة وجيشه ؟

فأهل مكة لم يحاربوه ، وكان صاحب الدين الأعلى الذي يجب أن يحظى بتأييد الله ، ولكن كانت تلك عناية الله بحبيبه ومصطفاه قبل ولادته لأن أبرهة لو دخل مكة عنوة لأخذ أهل مكة عبيداً ، ومن جملتهم أم النبي ﷺ ، ولا يرضى الله ﷻ لحبيبه أن يولد في الأسر .

وهكذا حمى الله ﷻ مكان ميلاد حبيبه ، كما حمى مكان هجرته ، بل حمى الجزيرة العربية كلها من وطأة الفرس والروم ، ومن سطوة الجنّ.

وليس ذلك فقط ! ، بل هيأ الكون كله لاستقبال خير من وطأ الثرى بقدميه .

وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياء ✳ وفم الزمان تبسّمٌ وثناء

معرفة اليهود بمولده ﷺ

أما اليهود أنفسهم فقد هاجر منهم إثنان لمكة منتظرين رسول الله والجماعة الذين كانوا في مكة هاجروا إلى المدينة منتظرين رسول الله ، فأما اليهودى الأول الذي كان في مكة ففي شهر ربيع الأول قال لهم ::

﴿ يا أهل مكة سيولد في هذا الشهر نبيٌّ هذه الأمة ، فكلٌّ من يولد له مولودٌ يأتيني ويخبرني به ، فكلما ولد عند أحدهم مولود ، ذهب إليه فيقول له : ليس هذا ، ومن فضل الله على البشرية في العام الذى ولد فيه رسول الله ﷺ ، أنه جعل النساء في جميع بقاع الأرض يحملنّ

ذكوراً ...، إكراماً لرسول الله ﷺ [١٤] ﴾

أما عن الليلة التى ولد فيها الرسول فسيدنا موسى قد أعطاهم أوصافها ، فقال هم في هذه الليلة ستقوم النجوم بعمل مظاهرة كبيره وتــنزل إلى الأرض في مظـاهرة طالعة نازله ، وتستمر حتى أن الناس سيظنون أن القيامة اقتربت ، ولذلك فإن الكاهن اليهودى عندما نظر النجوم قال هم :

﴿ يا معشر قريش ظهر الليلة نجم أحمد ، من ولد له مولود الليلة فليخبرني ، فذهب كل رجل يسأل أهله ، فقالوا لا يوجد غير زوجة عبد الله هي التي ولدت هذه الليلة فذهب إليها ، وعندما رآه — وكان ما زال في مكان ولادته — أغمي عليه في الحال وقال : يا للهوان لليهود ، قالوا له : لماذا ؟ قال : ذهبت النبوة من اليهود إلى بني إسماعيل عليه السلام ﴾ .[١٥]

أما الرجل الثانى فقد ذهب إليه عبد المطلب ليخبره ، فخرج إليه ، وعندما رآه بالباب قال له :

﴿ هذه الليله ولد نبى هذه الأمة ،كن أباه ﴾ [١٦].

* * * * * * * *

([١٤]) رواه أبو نعيم ، والسيوطى ، في الخصائص عن عمرو بن قتيبة .

([١٥]) رواه ابن سعد ن والحاكم ، وأبو نعيم ، بسند حسن عن عائشة .

([١٦]) أخرجه أبو نعيم ، وابن عساكر، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

آيات ولادته ﷺ

وهكذا فكلهم كانوا يعرفون ميعاده ووقته وعلاماته صلوات الله وسلامه عليه ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما ولد كانت الآيات في ولادته واضحات جليات ليس فيها شك ، ففي الليلة التى ولد فيها كان أول الآيات التى ظهرت أنهم :

﴿ رأوا الكعبة ترتعش ، وترتجف ، وظلت ترتجف لمدة ثلاثة أيام ، وسمعوها وهي تقول : الحمد لله آن أوان خلاصي من الأصنام ، آن أوان اصطفائي بعبادة الواحد الأحد سبحانه وتعالى ﴾ (١٧).

في هذه الليلة أيضاً :

﴿ لم يوجد ملك من ملوك الأرض ، جالساً على كرسيه... ، إلا وزلزلت الأرض تحته ... ، وانكفأ من على كرسيه ...، وكلما يحاول الجلوس على الكرسي ينكفأ به الكرسي مرة أخرى. ، وهكذا ﴾ (١٨)

وكان هذا إيذاناً بأن الملوك انتهى زمانهم ، لأنه قد جاء زمان نور رسول الله ﷺ ، فملك الفرس سقط من إيوانه أربع عشرة شرفة مرة واحدة ، وكانت عنده نار منذ ألف سنة لم تنطفىء قط ، فانطفئت في تلك اللحظة ، وكلما أوقدوها تنطفىء ، وفي ذات الوقت كان عنده بحيرة ضخمة جداً مقدسة ، والطفل الذى يولد يذهبون

---

(١٧) أخرجه أبو نعيم ، والسيوطى في الخصائص ، عن عمرو بن قتيبة .

(١٨) أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس ﷺ .

به إليها ليغمسوه فيها ليصبح مباركاً ، وفي هذا اليوم مياه هذه البحيرة جفت فأصبح الصباح على الملك وهو مهموم ، فظلّ يسأل عن هذا السر العلماء والكهان ، وهم لا يجدون جواباً ، إلى أن ذهبوا إلى سطيح الكاهن فقال لهم :

إن نبى آخر الزمان ... ، الذي سيكون على يديه نهاية ملككم ظهر ، قالوا كم بقى له ؟ قال : ... سيجلس منكم ملوك وملكات بعدد الشرفات.... (١٩)

أى أربعة عشر ملكاً ، فقالوا : إلى أن يملك هذا العدد تمر قرون ، وتفنى أمم ، وتبيد دول ، ولكن من قدرة الله أن توّلى عشرة ملوك منهم في أربع سنوات ، والأربعة الآخرون ظلوا حتى عصر سيدنا عثمان ، حيث قضى فيه على دولة الفرس نهائياً ، وانتشر فيها نور النبى العدنان صلوات الله وسلامه عليه .

وفي هذه الليلة أيضاً ليلة ميلاد رسول الله ﷺ :

لم يوجد صنم في العالم أجمع ، إلا إنكفأ على وجهه ، حتى الأصنام التى حول الكعبة ، وكان عددها ثلاثمائة وستين صنماً ، وكانوا مشدودين بأوتاد من الرصاص في الأرض ، ومع ذلك فإنهم خروا على وجوههم ، وكلما أقاموهم خروا ثانية . (٢٠)

---

(١٩) رواه الإمام البيهقى ، وأبو نعيم ، والخرائطى في الهواتف ، وابن عساكر ، عن طريق مخزوم بن هانى المخزومى عن أبيه .

(٢٠) أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس .

وفي هذه الليلة أيضاً ركب الجبَّار سبحانه وتعالى مدفعية صاروخية مضادة للشياطين ، فكل شيطان يصعد إلى السماء ليستمع ، يخرج له صاروخ يجرى خلفه ، ولا يتركه إلا ويقضى عليه بأمر الله :

﴿ حتى أن الشياطين من دهشتهم، أتوا إبليس وسألوه ماذا حدث ؟ فقال لهم ولد الليلة مولود تكون نهايتنا على يديه ، فقالوا له : اذهب إليه وخلصنا منه ، فذهب إبليس إلى رسول الله - وقد ولد - وأراد أن يضربه ، فضربه جبريل برجله ضربة خرج منها من مكة حتى وقع في عدن في جنوب اليمن ، ونجّاه الله من هذا الشيطان ﴾ [21].

﴿ وقبل ولادته ﷺ أصاب مكة والجزيرة العربية كلها قحط شديد من جفاف الماء ، فذوى الزرع ، ونضب الضرع ، ولما ولد رسول الله ﷺ جاء الحيا ، فهطلت السحب بالماء ، وسحّت السماء بالخيرات ... ، فأنبتت النباتات ....، وشبعت الحيوانات ... ببركة رسول الله ﷺ ﴾ [22]

هذه الإرهاصات – أى المعجزات – كثيرة وكثيرة جداً .

والمعجزات التى بعد ميلاده أكثر وأكثر وأكثر ، لأنه نور الله وحبيب الله وصفى الله صلوات الله وسلامه عليه .

---

[21] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة

[22] أخرجه أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة

ولما آن الأوان لوضعه صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ نطقت الحيوانات التي في مكة كلها بلسان عربي فصيح ، وذهبت تبشّر بعضها بعضاً بميلاد رسول الله ﷺ ، فيقول كل : أبشر ، جاء رسول الأمان ، جاء رسول السلام ، جاء رسول الختام ، الذي يخرج الله سبحانه وتعالى به الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴾[٢٣].

وهذا الكلام شاهدوه ، وعرفوه ، ولذلك عندما قال رسول الله لأبي جهل :

﴿ ألا تعرفُ أنّي نبيٌّ ؟ ، قالَ : أعرفُ ونحنُ نعرفُ علاماتِكَ ، لكنْ نحنُ نكذّبُ بالذي جئتَ به ﴾.

وهذا ما أخبر عنه الله في قوله :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الأنعام

فالذي منعهم من الإيمان به الحقد والحسد ، وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ سورة الزخرف

---

[٢٣] أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس

ميلاد النبي السعيد

فلما آن أوان وضعه :

ﷺ رأت السيدة آمنة عليها السلام من يقول لها في المنام ، قولى إذا وضعتيه : أعيذه بالواحد من شر كل ذي حاسد وسمّيه محمدا ، وأعطاها صفيحة من الفضة مكتوب عليها هذه الكلمات : أعيذه بالواحد من شر كل ذي حاسد ، وقال علقيها في رقبتك حتى تضعيه فعلقيها له ﷺ [٢٤]

فلما جاء الأوان ، كان من إرادة الله أن يأتيها الميلاد في غفلة :

ﷺ وهي وحيدة بالمنزل ، وليس معها أحد ، ولكنها فوجئت بأربع نسوة ، واحدة أحتضنتها وقالت لها أسندى ظهرك إلىّ ، وواحدة أحضرت لها شربة ماء ، وقالت لها اشربى هذه الشربة ، قالت : فشربت هذه الشربة ، فوجدتها أحلى من الشهد وألين من الزبد وأبرد من الثلج ، فلما شربت منها قالت لها تزودى - أى اشربى مرة أخرى -... ، والثالثة وضعت يديها على بطنها ، وقالت : باسم الله أخرج سالما بإذن الله ، فقالت لهن من أنتن ؟ ، واحدة قالت : أنا مريم ابنة عمران ، والثانية قالت : أنا آسية

---

[٢٤] أخرجه الحاكم وصححه والبيهقى عن خالد بن معدان

بنت مزاحم ، ومن معنا هؤلاء من الحور العين ، جئن ليشهدن ميلاد رسول الله ﷺ في هذه اللحظة ، ونظرت في سقف الحجرة فوجدت نجوم نازلة من السماء ، ووجدت طيور خضراء واقفة مستعدة ترفرف بأجنحتها ، حتى لا تنزل قطرة من دمها على الأرض فتعلقها إذا نزلت مع سلا (خلاص) رسول الله ﷺ ، ونظرت أيضاً فوجدت طستا وبجواره إبريق من فضة ملئ بالماء ، وبجواره رجال يلبسون ملابس بيضاء... ، ويغطون وجوههم حتى لا تستحى منهم عندما تراهم ، لأنهم في انتظار مهمتهم التي بعد ذلك .....: وهي أنهم يغسلونه . . ، ويشقون بطنه . . ، ثم يطوفون به في ملك. الله وملكوته الأعلى ... ، فبعد مولده فوراً . . ، شقوا بطنه وغسلوها . . ، وأخذه سيدنا جبريل تحت جناحه . . ، وطار به في السموات والأراضين ، وسمعته هو وملك آخر... - وهو إسرافيل - يقول : طوفوا به في مشارق الأرض ومغاربها... ، وأدخلوه البحار ليعرفوه بنعته . . ، واسمه . . ، وصفته ... ، وأدخلوه الغابات لتعرفه الوحوش ... ، وأدخلوه الجنات ... ، وأدخلوه عالم الملكوت ... ، فطاف به في عالم الملكوت كله في ساعة من الزمن ﷺ (٢٥)

---

(٢٥) أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

كل هذه الأمور حدثت في لحظة ميلاده ﷺ، ولذا فالأئمة الكرام استحسنوا أننا عندما يذكر ميلاد رسول الله ، نقوم (وقوفا) تعظيماً لميلاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لأن هذا مسك الختام ، ونبيٌّ الختام : ......

فالسيدة آمنة رضي الله عنها وأرضاها ، وهي وحيدة في حجرتها ، منفردة كعادتها ، أتاها الطلق ، ثم رأت نوراً ، رأت على هذا النور مشارق الأرض ومغاربها ، وقالت : رأيت ثلاثة أعلام مضروبات ، علماً على رأس الكعبة ، وعلماً في المشرق ، وعلماً في المغرب ، ثم أخذني المخاض ...... فولدت محمدا ﷺ [٢٦]

وفي بيان هذه المعاني يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

وافى ربيع لنا بالخير والبشرى ✳ فيه لقد أشرقت شمس الهدى الكبرى

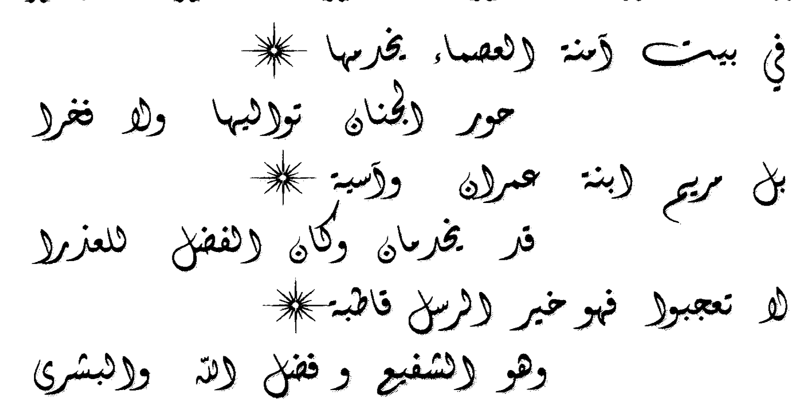
فيه لقد ولد المختار واتضحت ✳ آي الهدى والتهاني فيه قد تترى

قبل الولادة أملاك السما نزلت ✳ والنور يشرق دوماً ليلة الذكرى

---

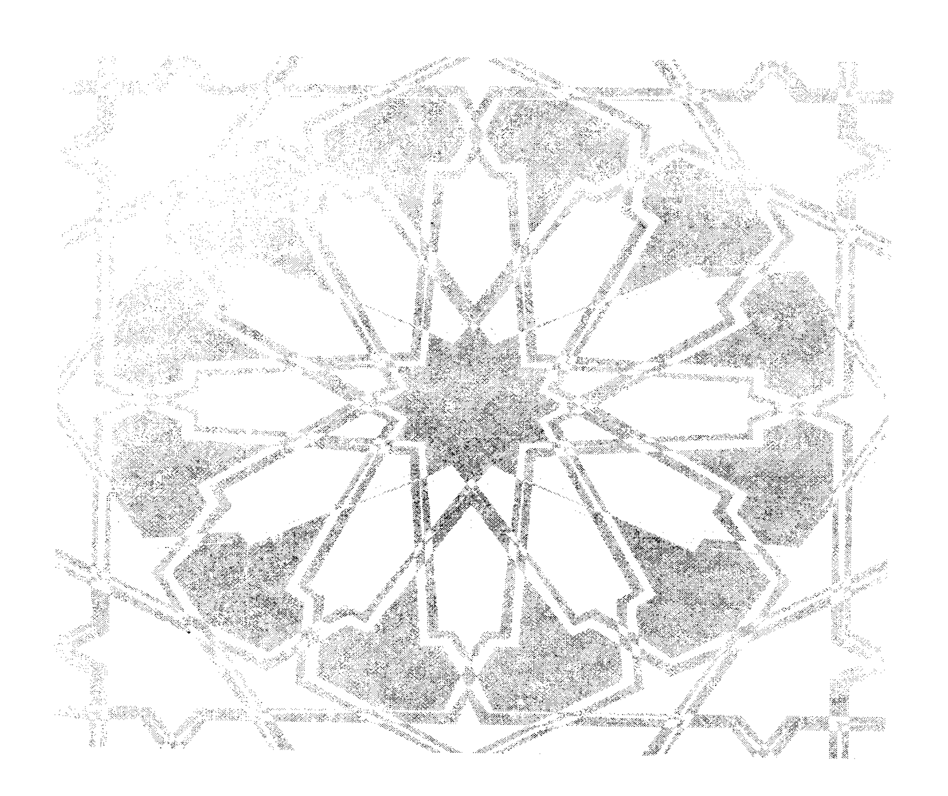
(٢٦) اخرجه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنه .

والبيت ظلل بالأملاك يقدمهم ✳
نور من الله من بجيبه أسرى
أبرزت شمساً تضي الكون أجمعه ✳
حتى رأت أمه من نوره بصرى
خرت على رأسها الأصنام خاسئة ✳
بل أخمدت نار إضلال لدى كسرى
والجن قد دحروا بالرجم واندحروا ✳
لم يسمعوا أبداً شعراً ولا نثرا
غاضت بحيرة طبريا بمولده ✳
فاضت بحيرة ساوى الماء ثم جرى
عن أعين الخلق في الملكوت غيبه ✳
جبريل لما به للعالمين سرى
أوما إلى القدس الأعلى بأصبعه ✳
رمز إلى أنه فضلا سما قدرا
قد جمل الملك والملكوت مولده ✳
أصل السعادة في الدنيا وفي الأخرى



في بيت آمنة العصماء يخدمها
حور الجنان تواليها ولا فخرا
بل مريم ابنة عمران وآسية
قد يخدمان وكان الفضل للعذرا
لا تعجبوا فهو خير الرسل قاطبة
وهو الشفيع و فضل الله والبشرى

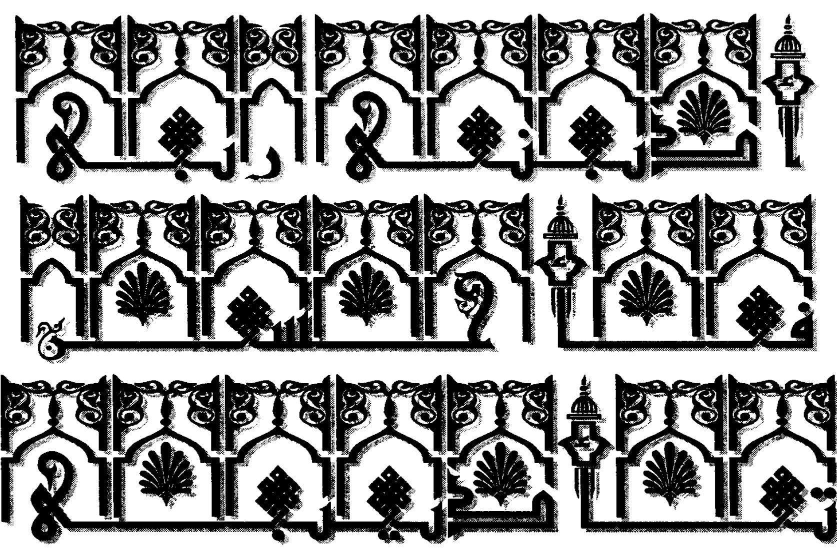




الباب الخامس

تَرْبِيَةُ اللَّهِ لِحَبِيبِهِ عَلَى عَيْنِهِ

- رِعَايَةُ اللَّه لرَسُوله طِفْلاً
- إغَاثَتُـه لأهْلِ مَكّـةَ وَالجزيـرةِ العَرَبِيَّة
- عِنَايَةُ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ بِهِ فِي بَيْتِ أبِي طَالب
- صِيَانَةُ حُرْمَتِه
- حِفْظُ اللَّهِ لَهُ في صِبَاه
- إذْعَانُ الحقَائِقِ لَهُ قَبْلَ نُبُوَّته
- طَهَارَةُ قَلْبِهِ
- أنْوَاعُ تَلَقِّي الْوَحْي الإلَهِي
- العِبْرَةُ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ
- طَهَارَةُ البَاطِنِ
- الطَّرِيقَةُ السَّدِيدَةُ لِطَهَارِةِ القَلْب



❋ أدبني ربي فأحسن تأديبي ❋

رواه السمعاني في أدب الإملاء، عن النواس بن سمعان

تربية الله لحبيبه على عينه [1]

الحمد لله الذي أنعم على الكون كله ببعثة سيِّـــدنا ومولانـــا رســـول الله ، والصلاة والسلام على سيِّد ولد آدم الذي خاطبه الله في عالم الذَّر فقال :

﴿ لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك [2] ﴾

صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أنجم الهدى ، وكل من علـــى آثرهم اقتفى واهتدى إلى يوم الندا ...... آمين آمين يارب العالمين .

وقفنا فيما سبق عند ميلاد رسول الله ﷺ ، وبيّنا كيف أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه واجتباه وطهَّره وقرَّبه وأدناه ، وواثق له جميع رسل الله .

رعاية الله لرسوله طفلاً

واليوم نبيِّن كيف صنعه الله على عينه ، سرَّ قوله سبحانه :

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة طه

كيف تولاه ربُّنا منذ الصغر ؟

سنجد أمراً عجيباً ..!!.. ، وسرَّاً غريباً ..!!.. ، وشأناً أى شـــأن ..!!.. .... فقد حفظ الله رسوله من لحظة ميلاده ، من كل ما يشين الإنسان ، ويعيبه ، ويقربه

---

(١) هذا الدرس كان بالمجلس بالجميزة – غربية ، يوم ١٩٨٨/١١/٩ م .

(٢) رواه الصناعى والديلمى عن ابن عباس رضي الله عنه.

إلى الشرور ، أو إلى المعاصي ، أو إلى الرجس ، أو إلى الدنس ، وجعله كما قال حسان بن ثابت :

خُلقتَ مُبرَّءا من كل عيب ✳ كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أجل هذا : ....

كانت الملائكة هي التى تتولى رعايته ، والإحاطة به في كل مرحلة من مراحله ، فإذا مشى فالملائكة من أمامه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، تحرسه وترعاه ، وإذا نام ؛ يقف جبريل عند رأسه ، وميكائيل عند قدميه ؛ يحرسانه ، ويحيطانه برعاية الله سبحانه وتعالى ....

ولذا تحكى السيدة حليمة السعدية أنه ﷺ ..... شبَّ ...... ليس كبقية الأطفال ، فتروى أنه :

﴿ جلس وعنده أربعة أشهر ، ووقف على قدميه وأستند على الجدران ، ومشي وعنده خمسة أشهر ، ومشي مشياً طبيعياً ، ونطق بجميع الألفاظ العربية وعنده ستة أشهر ، قالت : وكان من يراه وعنده ستة أشهر ، يظن أن عنده أربعة أعوام ﴾ [٣].

﴿ وعن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت يارسول الله ، دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك ، رأيتك في المهد تناغي القمر

---

٣ أخرجه ابن اسحاق ، وابن راهويه ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، عن طريق عبد الله بن جعفر .

وتشير إليه بإصبعك ... ، فحيث أشرت إليه مال .. ، قال : إنّي كنت أحدّثه ، ويُحدّثني ، ويُلهيني عن البكاء ، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش ﷺ (٤)

وقد حفَّه الله ﷻ بآيات فضله وإكرامه في طفولته ، وفي ريعان شبابه ، ليعلم من حوله قدره ، فيؤمنوا به عند إرسال الله ﷻ له .

إغاثته لأهل مكة والجزيرة العربية

فمن ذلك :

أن أهل مكة عندما كانوا يصابون بالقحط ، ويقل المطر عندهم ، كانوا يذهبون إلى جده عبد المطلب ، فيأخذه ﷺ وهو طفل صغير ، ويصعد به إلى جبل أبي قبيس المطل على الكعبة ، فيدعوا الله ﷻ وهو ممسك بيده ﷺ فيستجيب الله ﷻ لـــه وينزل المطر كأفراه القرب .

وكان السبب في ذلك أنه أصاب مكة والجزيرة العربية كلها قحـــط شـــديد ، فرأى نفر كثير من قريش رجالا ونساء أن الله ﷻ لن يأتى لهم بالحيا (المطـــر) ؛ إلا إذا دعا لهم رجل رأوه بهيئته ، وعرفوه بصفته ، ومعه ابن صغير له ، فلما قـــصُّوا مـــا رأوه ، وطبَّقوا ذلك على ما يعاينوه ، وجدوا أن تلك الصفه لا تنطبق إلا على عبـــد المطلب وولد ولده عبد الله :

---

(٤) أخرجه البيهقى والصابونى في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما عن العباس بن عند المطلب .

ﷺ فلما تيقنوا بذلك ذهبوا إليه ، وأخبروه ، وأخذوه معهم ، وصعدوا به الجبل ، فأمسك بالصبي (محمد ﷺ) ودعا الله عز وجل ، فنزل المطر على مكة ، ولم ينزل على ما حولها من بلاد العرب .، وعندما نما الخبر إلى العرب خارج مكة ، أسرعوا إلى مكة ، وذهبوا إلى عبد المطلب ، وطلبوا منه الدعاء لهم لينزل عليهم المطر ، مثل أهل مكة ، فأخذهم وذهب بهم إلى عرفات ، ومعه رسول الله ﷺ ، فأمسك بيده ﷺ ، ودعا الله عز وجل ، فهطلت السماء بالماء مدراراً ، وسقى الله الجزيرة العربية كلها ببركته ﷺ ﷺ (٥)

وقد قال في ذلك أبو طالب قصيدة طويلة مطلعها :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ✳ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

عناية الله عز وجل به في بيت أبي طالب

وقد استمر معه هذا الفضل الإلهى عندما انتقل إلى كفالة عمه أبي طالب ، فقد أوصاه به عبد المطلب عندما حانت منيته ، وقال له :

ﷺ أنتَ تعلمُ ما قاله الأحبارُ والرهبانُ بشأنه ، وإنّي أخافُ عليه

---

(٥) أخرجه ابن سعد ،وابن أبىالدنيا ، والبيهقى ، والطبرانى ن وأبو نعيم ، وابن عساكر ، عن مخزمة بن نوفل .

من اليهود ، فحافظ على ابن أخيك ﴾ [٦]

فنفذ وصيته ، وقد شجَّعه على ذلك ما رآه من رســول الله ﷺ : ....
فقد كان أولاده يقومون من نومهم شعثا وهيئتهم رثة ، ووجوههم متجهمة .....

﴿ بينما يقوم ﷺ نشيطاً ، كحيل العين ، مُسترسل الشعر ، كأنما مسّه بزيت ، طيّب الرائحة كأنه وضع عطراً ، وكان إذا اجتمع أولاده على طعام ، ومعهم رسول الله ﷺ ، يشبعون من الطعام - مع قلّته - ، فإذا افتقدوه عند تناول الطعام ، لم تمتلئ بطونهم ، ولم يدركوا الشبع مع كثرة الطعام ، وكذا كانوا في الشراب ، فكان إذا بدأ برسول الله ﷺ وناوله كوباً من اللبن ، يأخذ حظه منه ، ثم يناولهم فضلته فترويهم جميعاً ، ولا يحتاجون لغيره ، فإذا غاب عنهم ؛ شربوا حلاب إبلهم كلها ، وظلّوا عطاشا لما فقدوه من بركته ﷺ ، وهذا ما جعل أبا طالب يحرص ألا يأكل إلا معه ﷺ ويقول له : إنك لمبارك ﴾ [٧]

وكان رسول الله ﷺ في تلك الفترة :

﴿ لايشكو جوعاً ولا عطشاً ، حتى ولو مكث أياماً متوالية بدون طعام أو شراب ، ولا يطلب منهم ، أم من أحد طعاماً ... ، فإذا عرضوا

---

(٦) رواه أبو نعيم عن طريق الواقدى عن شيوخه .

(٧) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس

عليه الطعام أجاب ، وإذا تركوه ، أو نسوه ، صبر غير متبرّم ، ولا ضجر ﴾ .(٨)

صِيَانَةُ حُرْمَتِهِ

وقد حفظه الله ﷻ بحفظه ورعايته .....

.... حتى من الاشياء العادية ، والعادات المرعيَّة ....

فقد حدث أن سقط جزءٌ من الكعبة ، واجتمعت قريش ، وهمَّت لتجديد ما وَهَىَ من الكعبة ، وقاموا بتقطيع الأحجار اللازمة من جبل أبي قبيس المجاور للكعبة ، واشتركت بطون قريش كلها في نقل هذه الأحجار إلى البيت الحرام ؛ ليكون لهم جميعاً شرف القيام بهذا العمل العظيم ، فاشترك ﷺ مع عمِّه العباس في النقل ، وكان كل واحد يحمل حجراً من الحجارة البيضاء الكبيرة ، وكانت طريقة الحمل أن يخلع أحدهم جلبابه أو يطويها ويضعها على كتفه ويضع عليها الحجر :

﴿ ففعل رسول الله ﷺ مثل عمه ، وكان سائراً أمامه ، ففوجئ العباس بالرسول قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه ، وعندما أفاق ، قام وأنزل جلبابه ، فقال له : شمّر عن جلبابك ، فقال : لا ، قال : لماذا ؟ ، قال : لقد ظهر لي ملك ، وأمرني أن أستر عورتي ﴾ (٩)

---

(٨) رواه أبو نعيم عن أم أيمن رضى الله عنها .

(٩) أخرجه الشيخان عن جابر ، والبيهقى ، وأبو نعيم عن العباس رضى الله عنه .

وهذا الكلام وهو ما زال في شبابه لم يبلغ خمس عشرة سنة ، ومـــن يومهـــا لم تظهر للرسول ﷺ عورة .– والعورة ليس السوءة – لكن لم يظهر أي جـــزء مـــن جسمه الشريف ﷺ ، حتى أنه بعد أن تزوَّج السيدة عائشة قالت :

﴿ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْتَسِلُ ، وَ أَغْتَسِلُ مَعَهُ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ ، وَ لا يَرَى مِنِّي ، وَ لا أَرَى مِنْهُ ﴾ [١٠]

لأن الأنبياء عند الغسل يغتسلون من فوق القميص ، ولا يتعـرَّون ، فيخلـع الجلباب ، ولكنه يظلُّ بالقميص ، ويغتسل به .

حتى عند غسله ﷺ ، احتاروا ...!!.. ؟؟ ....كيف نغسِّله ؟ ، وقد قال :

﴿ يُغَسِّلُنِي عَلِيٌّ وَ الْعَبَّاسُ .. أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَاحْتَارُوا ..!!.. مَاذَا نَفْعَلُ ؟ ، فَسَمِعُوا نِدَاءً . يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَ لا يَرَوْنَهُ : (لا تُعَرُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَغَسِّلُوهُ مِنْ فَوْقِ ثِيَابِهِ) [١١] ﴾

فعرفوا أنه من الملائكة ، .. وكما قلنا سابقاً أن بنت النبى ﷺ السيدة فاطمة عند موتها ، استحمت ، واغتسلت ، ولبست ملابسها ، ونامت متجهة إلى القبلـة ، وقالت لسيدنا على :... سأموت الآن ، فلا أحد يغسِّلنى ، ولا يترع ملابسى ، فقـد غسَّلت نفسى ، وماتت ، وعلى هذا لم تغسَّل ، فما بالكم برسول الله ﷺ ؟

فمن هذه اللحظة ورسول الله ممنوع أن يتعرى أى جزء من جسده الـشريف صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١٠) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها .

(١١) رواه ابن سعد ، وأبو داود ، والحاكم ، والبيهقى ، وصححاه ، وأبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها .

حفظ الله له في صباه.

وكذلك تولى الله حفظه في صباه : ... حتى أنه عندما أراد أن يفرج عن نفسه ، وقال للغلام الذى يرعى معه :

﴿ أحرس لي غنمي ، لأذهب إلى هذا العرس لأشاهده ، فذهب إلى العرس ، وعندما جلس نام ، ولم يستيقظ حتى لسعته حرارة الشمس في اليوم التالي ، فعاد ، فقال له : رأيت العرس ؟ ، فقص له ما حدث ، وبعد عدة أيام ، أقيم عرس آخر ، فذهب إليه ، فحدث له ما حدث فيما سبق ، فلم يذهب إلى عرس بعد ذلك أبداً ﴾ (١٢)

فقد حرسه الله من اللهو البريء ، مع أنه ﷺ قد أمر به ، وقال :

﴿ أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف ﴾ (١٣)

لكنه حفظه الله حتى من هذه الأشياء :... فهو الذى حفظه حتى من اللـــهو ، ومن اللعب ، ومن السجود لصنم ، ومن شرب الخمر ، ..... حتى أن أعمامه غضبوا منه لأنه لا يذهب معهم إلى أصنامهم في أعيادهم :

﴿ فأرسلوا إليه عماته ليشددن عليه أن يذهب مع أعمامه ، فما زلن

---

(١٢) أخرجه ابن راهويه في مسنده ، وابن اسحاق والبزار ، والبيهقى ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، عن على بن أبي طالب ﷺ وكرّم الله وجهه

(١٣) رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها وحسّنه .

بِهِ حَتَّى أَرْغَمْنَهُ عَلَى الذِهَابِ وَ الحُضُورِ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إلى الصَّنَم رَأى سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ وَ قَالَ لَهُ (مَا جَاءَ بِكَ إلَى هُنَا ؟ إذْهَبْ) ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ رُؤْيَةِ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ ، وَعِنْدَمَا أَفَاقَ قَالُوا لَهُ مَاذَا حَدَثَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ شَخْصاً يَقُولُ لِي : لا تَسْجُدْ وَ ارْجِعْ ﴾ [١٤]

ومن يومها لم يرجع إلى صنم من هذه الأصنام ، ...... ومن هنا فقد كانت الملائكة تتولاه وترعاه وتحرسه برعاية الله .

إذْعَانُ الحَقَائِقِ لَهُ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ.

وكانت الأشياء مسخَّرة له قبل النُّبوَّة ، وهو في عمر الخمس عشرة سنة ، كان مسافراً مع أحد أعمامه ، وهو الزبير بن عبد المطلب :

﴿ ونزلوا في مكان فيه جمل هائج ، ولا يستطيع أحد أن يقف أمامه ، فاضطربوا وخافوا ، ولكن عندما رأى الجمل سيدنا رسول الله ﷺ ذهب إليه ، وسجد أمامه ، فركبه رسول الله حتى تخطُّوا هذه المنطقة وهذا المكان ، ونزل من عليه ، وأكملوا سفرهم ، وعند رجوعهم من هذا السفر ، كان يوجد وادي منخفض ، وقد نزل سيلٌ فامتلأ بالماء ، فقالوا :

---

(١٤) أخرجه ابن سعد وأبو النعيم وابن عساكر عن ابن عباس

ماذا نفعل ؟ قال لهم : {سِيرُوا خَلْفِي} فجمّد الله سبحانه وتعالى له الماء فمشى عليه وساروا جميعاً خلفه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا قبل النبوة - فلما ذهبوا إلى مكة قصّوا هذه القصة . قالوا : إن هذا الغلام سيكون له شأن ﷺ [١٥].

طَهَارَةُ قَلْبِهِ.

ودليل عناية الله به :

أنه تجرى له كل فترة عملية غسيل للقلب . ، فقد غسل قلبه أربع مرات : ..

مرة وعمره أربع سنوات :

وهو عند السيدة حليمة ، نزلت لجنة من الملائكة ، وأرقدوه ، وشقوا له صدره من غير مشرط ، وأخرجوا قلبه ، وغسلوه بماء زمزم ، وأخذوا منه قطعه سوداء ، وقالوا هذا حظ الشيطان ، وألقوها بعيداً ، ثم أرجعوه مرة أخرى ، ومروا بأيديهم على صدره ، فعاد كما كان .

والمرة الثانية : وعمره عشر سنوات :

وكان ماشياً فأخذوه ، وأرقدوه وشقوا صدره ، وقالوا : أخرجوا من قلبه الغل والحقد ، وأدخلوا في قلبه الشفقة والرأفة والرحمة ، فقال فقمت من بينهم وبي شفقة ورحمة لا توصف على جميع خلق الله .

---

[١٥] رواه ابن الجوزى في الوفا والحافظ الشامى في سبل الهدى والرشاد .

والمرَّة الثالثة : عندما نزل عليه الوحى :

وكان كلَّما نزل عليه الوحى يخاف ويجرى ؛ ظناً أنه من الجنِّ ، فيجرى ويقول (زملونى ودثرونى) وفي ذات مرة رأى سيدنا جبريل فهمَّ بالهروب فوجد سيدنا ميكائيل يسد عليه الطريق فأمسكوا به ، وأرقدوه ، وشقُّوا صدره وغسلوا قلبه بماء زمزم .

والمرَّة الرابعة وكلنا نعلمها في ليلة الإسراء والمعراج :

وكان هذا بجوار زمزم حيث كان نائماً في حجر إسماعيل فشقوا صدره وأحضروا طستا من الملكوت مليء إيماناً وحكمة ، وشقوا الصدر وغسلوه ، وملؤوه إيماناً وحكمة ! ، وهل الإيمان والحكمة يوضعان في طست ؟ لا ، لأنهم شيء معنوى .

فبهذا غسلوه (أى قلبه) أربع مرَّات :

وهو ابن أربع سنوات حتى لا يكون كالصبيان العاديين ، فلا يلهو ولا يلعب ولا يخرج منه كلمة بذيئة ، ولا يصدر منه فعل غير لائق ، ولذلك كانت كل حركاته من مشكاة النُّبوَّة حتى وهو طفل صغير ، ولذلك فقد قال سيدنا أبو بكر له :

﴿ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ عَاشَرْتُ الْعَرَبَ جَمِيعاً ، وَعَاشَرْتُ الْفُرْسَ ، وَعَاشَرْتُ الرُّومَ ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَ أَدَبِكَ وَخُلُقِكَ ! ، فَمَنْ أَدَّبَكَ ؟ ، فَقَالَ لَهُ : أَدَّبَنِى رَبِّى فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِى ﴾ [١٦]

وعندما أشرف على سن البلوغ ، وكان عنده عشر سنين ، جاءت الطهارة الثانية ، لأن فترة البلوغ كما نعرف فيها فورة الشباب ، فكانت الطهارة هنا تحصيناً كاملاً من ربِّ العالمين سبحانه وتعالى له ، ورزقه الله تعالى بها عصمة الأنبياء .

---

(١٦) رواه السمعانى في أدب الإملاء عن النواس بن سمعان .

وعندما جاء الوحى كان لابد أن يتأهل ، لأنه سيخاطب الناس ، وقد يؤذونه أو يشتمونه ، أو يضربونه ، أو يسُّبونه ، ولابد أن يسع هذا ! ، .... ولا يؤثر فيه ! ، .. فكان التأهيل الثالث .

وعندما كان سيناجى ملك الملوك في الحضرة ، فذلك يحتاج إلى تأهيل آخر وخاص ، حتى يذهب إلى هذه الحضرة العليّة ، ويخترق السموات ، ويخترق العرش ، ويخترق الكرسى ، ويذهب إلى قاب قوسين أو أدنى ، فاحتاج إلى تأهيل خاص ، فكان التأهيل الرابع .

ولذلك سيدى عبد الرحيم القنائى رضي الله عنه وأرضاه – وضريحه الآن بقنا – وكان يقول عن نفسه :

{{ لي مجلسان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس ليلة الأثنين ، ومجلس ليلة الجمعة ، يأتينى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فيحدثنى وأحدثه ، وأسأله عن كل شيء استشكل علىّ ، أو استعظم علىّ ؛ فيجيبنى عنه }} .

فهذا له مجلسان في الأسبوع

أما الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه ، فيقول :

{ ما بتُّ ليلة إلا ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام } .

وهذا كلّ ليلة ، وكلٌّ على قدره .

أما الإمام أبو الحسن الشاذلى فيقول :

{ بقى لى أربعون سنة ، لم يغب عنّى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ، ولو

غاب عني طرفة عين ؛ ما عددت نفسي من المؤمنين "

فالإمام عبد الرحيم القنائي ، كان يحضّر كل الأسئلة الصعبة ، وعندما يحضر المجلس الخاص به ، يسأله يا رسول الله ما رأيك في هذا السؤال ؟ ، وما إجابة هذا السؤال ؟ ، فهو لا يسأل العالم الفلاني ! ، فهو لا يحتاج إليهم ! ، لأنه يسأل الرسول مباشرة ، ففي إحدى جلساته قال لمريديه :

{{ عندما كنت بالمدينة المنورة مقيماً فيها سألت رسول الله ﷺ " مناما " ، وكان ذلك في رؤيا ذات ليلة فسألت فيها رسول الله ﷺ عن : كيف حدث شق الصدر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : لقد شقّ صدرى وأنا في اليقظة ما شعرت فيه بشيء من ألم ، وأتاني الله بقلب سليم ليتحمل نزول كلام الله على هذا القلب ، لأن القلب الذي خلقت به طفلا ، لا يتحمل هذا النزول ، وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذي قال جلّ شأنه : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الاية ٢١سورة الحشر) ، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (سورة الشعراء) ، فمن رحمة الله بى أن هذا القلب الذى أرتضاه ربى فيه قوة ، ونورانية ، ونقاء ، وصفاء ، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها ، تجرى فيه آيات الرحمن التى نزلت عليه ، لم يخالطها شيء من

قوة أخرى ، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة ، وقد حفظه الله من الزيغ والنسيان ، وليس للشيطان سلطان عليه ، ومتى جرى قول الله في مكان ، أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى ، وهذا معنى قوله تعالى عني : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) ، وهذا هو المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة الشورى) ، ولقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي ، وعلى قلبي ، وكان قلبي نوراً يهدى به الله من يشاء من عباده ، وأرسلني جلّ شأنه لهدى الناس إلى صراط الله المستقيم ، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم. }}

ثم بعد أن روى سيدى " عبد الرحيم " ذلك ، يقول في مستمعيه :

{{ يا عباد الله هذا هو ما وصل إليّ في وصف قلب رسول الله ﷺ من رسول الله ، وأنا هناك بالأرض الطيبة بالمدينة المنورة ، أنعم برضاء الله وحب رسوله العظيم . }}.

يا عباد الله قلب رسول الله ﷺ لم يخالطه حقد ولا حسد ، فقد عاش هذا القلب بقوة كلام الله الذي أنزل عليه ، وكلام الله غذاء للروح والجسم وحياة الإنسان ..، فكان سرُّ شق الصدر وتطهير القلب عناية من الله سبحانه وتعالى لرسوله

ﷺ حتى يستطيع تحمَّل الوحى الإلهى .

ولذلك عندما كان ينزل عليه الوحى في الليلة الشاتية ، شديدة البرد كان جبينه يتفصَّد عرقاً .... أى ينزل العرق منه بكثرة ؛ لأن الوحى له ثقل : ......

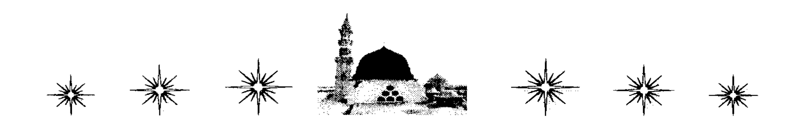
﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ المزمل

حتى أنه قيل عندما كان ينزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو راكب على جمل ، كان الجمل ينيخ برسول الله ، ولا يستطيع القيام ، إلا بعد أن ينتهى الوحى ، فلا يتحرك الجمل طالما الوحى موجوداً ، ... لماذا ؟ لأن الوحى نفسه كان شديداً وثقيلاً ، ولذلك كان عندما يأتى لرسول الله ﷺ فكل من حوله يؤخذ ! ، ولا يستطيع الكلام ! ، فكلام الله هذا الذى فيه الأنوار والأسرار .... كان لابد وأن يكون له تأهيل في قلب النبى المختار ﷺ ، ولذا قال الله فيه :

{ مَا وَسِعَتْنِي سَمَوَاتِي ..!..وَلا أَرْضِي .!. ،
وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِن } (١٧)

هذا القلب ، وسع ما لم تسعه السموات ولا الأرض ...!!...

فكان كل هذا فترة تأهيل ، فكل الفترة من ساعة الميلاد إلى ساعة نزول الوحى ؛ كانت فترة تأهيل وتدريب وتمحيص لرسول الله ﷺ .



(١٧) أخرجه أحمد في الزهد ، عن وهب بن منبه .

أنواع تلقي الوحي الإلهي

والوحى أنواع :

فمن الوحى ما كان يأتى لرسول الله ﷺ في صورة الملك وهو سيدنا جبريل : وكان أحياناً يأتى على هيئته ، وأحياناً يأتى في صورة شخص مثلنا ، فكان يأتى في صورة أحد الصحابة سيدنا دحية الكلبي – وكان جميل الصورة ، فكان يأتى في صورته ، فكانوا لا يعرفونه – ولذلك لما جاء وجلس ، وسأل الرسول : ما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟ وما الإحسان ؟ وكلما يجيبه يقول له : صدقت ، تعجب سيِّدنا عمر من الأمر ...يسأله و يصدِّقه .... فقد روي سيِّدنا عمر فقال ::

﴿ بينَا رَسُولُ اللَّهِ ذاتَ يوم جالساً، إذْ جاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ سَوادِ اللِّحيَةِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، فَوضَعَ رُكْبَتَهُ عَلَى رُكْبَةِ النَّبِيِّ، فقال: يا مُحمدُ، ما الإسلامُ؟ قال: شَهَادَةُ أنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ، وَإقَامُ الصَّلاةِ، وَإيتاءُ الزكاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحجُّ البَيْتِ ، قالَ: صَدَقْتَ. قالَ: فَعَجِبنَا مِنْ سُؤالِهِ إياهُ، وَتَصْدِيقِهِ إياهُ. ، قالَ: فَأخبِرنِي: ما الإيمانُ؟ ، قال: أنْ تُؤمِنَ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعدَ المَوتِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ ، قال: صَدَقْتَ. ، قال: فَعَجِبنَا مِنْ سُؤالِهِ إياه، وَتَصْدِيقِهِ إياه. ، قال: فَأخبِرنِي: ما الإحسَانُ؟ ، قال: أنْ تَعبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ ، قال: فَأخبِرنِي مَتَى

الساعة؟ ، قال: ما المسؤول بأعلم من السائل. ، قال: فما أمارتها؟ ، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان – وهذا ما حدث الآن – قال: فتولى وذهب. ، فقال عمر: فلقيني النبي بعد ثالثة ، فقال: يا عمر، أتدري من الرجل؟ ، قلت: لا. ، قال: ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ﴾ [١٨]

فقد جاء هنا في صورة رجل مثلهم .

و كان آنا يأتي على هيئتة ، كما يقول الرسول أول ما جاء له ، قال :

﴿ رأيت شخصاً في الفضاء بين السماء والأرض ، له ستمائة جناح لو ظهر جناح منها لحجب ضوء الشمس ﴾ [١٩]

أي أن الجناح الواحد يملأ الكون كله – ولذلك كما قلنا كيف تخلق الملائكة ؟ ..... كل يوم يذهب سيدنا جبريل إلى نهر الحياة ، ويستحم ، وينفض أجنحتـــه ، .... فكل قطرة تنزل من أجنحته ، يخلق الله منها ملك يسبح الله ﷻ .– فـالوحي كـان يأتي بطريقتين بالنسبة للملك إما أن يراه على حقيقته ، أو يراه في صورة شخص .

وكان أحياناً كما يقول الرسول :

﴿ كان يأتيني على هيئة صلصلة الجرس ﴾ [٢٠]

---

(١٨) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ .
(١٩) رواه أبو الشيخ في كتاب العظم .
(٢٠) رواه البخاري ومسلم .

فيسمعون له صوتاً كصلصلة الجرس ، لكن لا يعرفون شيئاً ، فـلا يعـرف إلا رسول الله ، لأنة يتكلم بلغة الملائكة ، ولا أحد من الجالسين يعرف لغـة الملائكـة إلا الرسول ، وكان ﷺ يغيب عن وعيه ، وعندما يفيق يقول لهم : نزل عليّ الـوحي بآيات كذا وكذا ، ويبلّغهم .

✵ وأحياناً كان يأتي وله صوت دويٌّ كدويِّ النحل .

✵ وأحياناً كان يأتيه مناماً ، ورؤيا الأنبياء وحى كما قال الرسول :

فالنبي إذا رأى رؤية منامية كانت وحياً :كما قال سيدنا إبراهيم : ....

﴿ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ آية ١٠٢ سورة الصافات ، وسيدنا إسماعيل لكونه نبي يعرف هذه الحقيقـة فقـال لـه : ...... ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ .

فهو يعرف أنه أمر لأنه يعرف أن رؤيا النبي وحي دائماً ، فهذه طريقـة مـن طرق الوحي وهو الوحي المنامي .

✵ وإما عن طريق الإلهام ، وفيها يلهمه الله ، ويلقي على قلبه ما يريـد ، وهذه مثل الأحاديث القدسية التي قالها الرسول ، ومثل غيرها التي قالها عـن طريـق الإلهام مثلما يقول :

﴿ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِي رِزْقَهَا ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوا شَيْئاً مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ ﴾ (٢١)

---

(٢١) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، والعسكرى في الأمثال عن ابن مسعود .

أما الطريقة الأعلى فهي المشافهة مع الحقِّ سبحانه وتعالى ، وهى الــتي كان يأخذ فيها من الله مباشرة دون واسطة ، وفيها قال له الله :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ النمل

فليس هنا وساطة جبريل .

وكانت أيضاً بأن يرى الحق في المنام أو في اليقظة في أى مكان كان فيه ، وإما في الحضرة القدسية وكانت ليلة الإسراء والمعراج وفيها قال تعالى :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة النجم

أين جبريل عليه السلام ؟ وقف في الخارج عند سدرة المنتــهى ، ولم يــستطع الدخول ، فكل ما حدث كان بينه وبين الحق سبحانه وتعالى بلا واسطة .

هذه طرق الوحى التى كان يتلقى بها رسول الله ﷺ الوحى من الله ســبحانه وتعالى ، وفي جميعها كان الوحى ثقيلاً ، فكان يغيب عن الوعى ، ويتزل عليه العرق ، حتى في الليلة شديدة الرطوبة ، ويحتاج إلى من يروّح عليه من شدة الحرارة ، ويفيــق من العرق مثقلاً ومتعباً ، ويحتاج إلى راحة لأن الوحى له ثقله .

العِبْرَةُ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ

إذا كان رسول الله الذي اصطفاه الله من الأزل ، وطهَّره في كل فترة من الزمن يشقُّ قلبه ويغسله :

فهذا يلفت نظرنا أن الذي يريد مقاماً من مقامات القرب ، أو يريد أن يصبح

من أهل الوصل ، أو يريد أن يكون من الصالحين ، فلابد أنه كل حين يفتح قلبـــه .!. وينظر ماذا فيه ؟ ويأخذ حظَّ الشيطان .!. ويرميه ....

.... وحظُّ الشيطان فىّ وفيك :............

هو ما في نفسك من الحقد ، والحسد ، والكبر ، والبغضاء ، والكراهية ، فكل هذا حظُّ الشيطان ، وطالما كان كل هذا موجوداً في القلب فـــلا يـــصلح ، ويـــصبح الإنسان كما هو ، لا يتقدم ...!... ولا يتأخر ...!.... ولذلك حتى الليالي الكـــبيرة التى يتجلَّى فيها ربُّنا على الصَّالحين ، أو على المسلمين مثل ليلة النصف من شـــعبان ، فالرسول قال فيها :

﴿ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيَغْفِرُ لأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ – وهى أكبر قبيلة عندها غنم ، وهل يستطيع أحدنا أن يحصى عدد شعر غنمة واحدة ؟..!.. – ثم قال : إِلاَّ لِمُشْرِكٍ، أَوْ مُشَاحِنٍ، أَوْ قَاطِعِ رَحِمٍ أَوْ زَانٍ أَوْ شَارِبِ خَمْرٍ أَوْ عَاقٍ لِوَالِدَيهِ ﴾ (٢٢)

والحديث الآخر قال فيه:–

﴿ إن الله يَطَّلِعُ على عِبادِهِ في لَيلَةِ النِّصفِ مِنْ شَعْبانَ ، فَيَغْفِرُ لِلْمُستَغفِرِينَ ، ويَرْحَمُ المُسْتَرْحِمِينَ ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقدِ كما هُمْ ﴾ (٢٣)

ولذلك قال بعض سلفنا الصالح (الحسود لا يسود) ، فالإنسان الذي يرغب في نعم ربِّنا الباطنيَّة ، ويريد المراتب العرفانيَّة ، ويريد التجلِّيات الإحسانيَّة ....:

---

(٢٢) رواه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها ، والطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل ﷺ .

(٢٣) رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعرى و الطبرانى عن أبي ثعلبة ﷺ

لابد وأن يطهِّر قلبه من الدُّنيا الدنيَّة ، ومن رغباتها ، ومـــن شـــهواتها ، ومـــن ملذَّاتها ، ومن حظوظها ، وبعد هذا يغسل قلبه من الحظوظ والشهوات ، وبعد هـــذا يغسل قلبه من الرياء ، والسمعة ، والصفات التي هي كصفات إبليس .... أي حـــب الظهور ، فلا بد للإنسان أن يوالي قلبه ، والعارفون عرفوا هذا الأمر ، وعرفـــوا أن ربنا لا ينظر إلي الجسم ، بل ينظر إلي القلب :-

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ﴾ (٢٤)

فقالوا نقف عند هذا الباب .... ، وكل حين نفتح هذا القلب ... ، وننظر مـــا فيه ... ، ونخرجه ... ، ولذلك فان رسول الله أوضح هذا الامر كما أخبر سيدنا عبد الله بن عمرو ، عندما قال ﷺ :

﴿ يَدْخُلُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ﴾ (٢٥)

فدخل رجل و هو سيدنا عبدالله بن سلام وجلس برهة ومشي فقال ﷺ :

﴿ قَامَ عَنْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ﴾

فسيدنا عبد الله بن عمرو قال في نفسه : ماذا يفعل هذا الرجـــل ؟ .، وكـــان يسهر طوال الليل ، ويصوم طوال النهار ، فتبع الرجل ودقَّ بابه ، ففتح ، فقال لـــه : لقد حدث خلاف بيني وبين أبي عمرو فطردني ، فقلت : لا يوجد غيرك يضيفني عـــدة أيام حتى ينتهي الخلاف ، فقال له : علي الرحب والسعة ... ، وهو في الحقيقة ذاهب

---

(٢٤) .رواه أحمد ، ومسلم ، و ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ.

(٢٥) رواه البيهقى فى الشعب و سنن النسائى الكبرى عن أنس ﷺ .

ليعرف ...؟؟.... ماذا يفعل الرجل ؟

وفي اول ليلة ، نام الرجل فقال : ربما يكون الرجل متعبا ، وانتظر ان يقوم قبل الفجر ليصلي التهجد ، فلم يقم الا قبل الفجر ، فاستيقظ ... وقال :... هيا لنصلي مع رسول الله بالمسجد ، ولما اصبح الصباح احضر له الافطار ، فقال : قد يكون متعبا هذا اليوم ، ولكنه في اليوم الثاني وجده علي نفس الحالة ، وكذلك في اليوم الثالث فقال : لا بد ان اساله ؟

فقال له الحقيقة ، انه لا يوجد خلاف بيني وبين أبي ، ولكن الرسول قال عنك كذا ..... فما حقيقة امرك ؟ ، قال :

كما رايت الا انني اذا جئت للنوم ، أحاسب نفسي ماذا فعلت اليوم ؟ ، وماذا قلت ؟ ، فاستغفر الله مما قلت ، واستحلله مما فعلت ، وابيت وليس في قلبي غلٌّ ، ولا غشٌّ ، ولا حقد لأحد من المسلمين .

فذهب عبد الله الي رسول الله ﷺ متعجبا ، فقال له ﷺ :-

﴿ يا بُنيّ ! إن قدرتَ أن تُصبحَ وتُمسيَ وليسَ في قلبكَ غِشٌّ لأحدٍ فافعلْ – وفى رواية : غل ولا غِشٌّ ولا حِقدٌ لأحدٍ من المسلمين– ، ثم قال ﷺ : يا بُنيّ ! وذلك من سُنّتي ، ومن أحبَّ سُنّتي فقد أحبّني، ومن أحبّني كان معي في الجنّة.﴾ (٢٦)



(٢٦) رواه الإمام أحمد عن على ، و الترمذى فى مشكاة المصابيح عن أنس ﷺ.

طهارة الباطن

فالذي يريد ان يدخل الجنَّة التي فيها رسول الله ماذا يفعل ؟

.... يفعل هذا ..... :........ينظِّف القلب كما ينظِّف الوجه ....

فإن الأمام أباالعزائم كان جالساً كما نجلس ، ودخل عليه عالم كبير من علماء الأزهر ، و حيىَ وجلس ، فقال : لأحد الأخوان غنِّ يا بنى قصيدة ؛ فغنى ، فقال العالم : ماذا يقول هذا ؟أنا لا أفهم منه شيئآ – و هو عالم ، و يلبس أفخر الثياب ، و الحذاء يلمع ، فقال له :لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك ! ، لفهمت هذا الكلام .

فمن كان كل همّه فى الملبس ، و الشعر ، و الحذاء ، و ترك القلب دنسا ..!!.. كيف يفهم هذه المعانى العليَّة...!!..???.....فربُّنا ربُّ قلوب ، و تجليَّاته للقلـــوب ، و نفحاته للقلوب ، و علومه و أسراره للقلوب ، و انواره للقلوب ، ورتبه للقلـــوب ، وقربه لأهل القلوب ، وتقريبـــه بالقلوب ، فهي الوصله بيننا وبينـــه ...!!... فمـــن يرغب أن يكون قريباً من القريب ؟ ، .... فعليه بالقلوب !!!!. ....

وهذا القلب كيف ننظِّفه ؟ ... أبالماء البارد أم الساخن ؟... لاهـــذا ولا ذاك يفعل شيئا للقلب ، .هل نستحم فى ماء البحر ؟ ....لا ينفع !... ، فالأمام أبو العزائم ذهب الى البحر المتوسط ، ووقف عنده ، و كان اسمه بحر الروم ، و قال له .... :

قليلك قد يطهر كل جسمى ✳ يطهر بحر روم كل رسمى

وقلبى لا تطهره بحـار ✳ يطهره العليم بنيل علمى



الطَّرِيقَةُ السَّدِيدَةُ لطهارةِ القَلْبِ.

فالذي يطهر القلب العلم ، لكن ليس آي علم ..!!.. ، و أنما العلم النازل من عند الله ، وليس علم الكتب ..!!..

فالعلم النازل من السماء ، كالماء النازل من السماء ، فكما أن كل ماء لم يترل من السماء لا ينفع !! ، كذلك كل علم لا يترل من سماء الفضل الإلهي لا يرفع !! .

فالماء الذي في البرك ؟ هل يصلح لرى الزرع ؟ ... لا.لماذا ؟ لأنهـا تعفنـت ، فهذه كالعلم الموجود في الكتب ، .....أذن ....ما العلم الرافع ؟

.... هو العلم النازل من سماء الفضل الألهى ....

لذلك فإن العلماء الذين تعجبوا من ذلك ، ذهبوا للشيخ أبي اليزيد البسطامي ، وسألو : كيف تؤثر في الناس بهذه الصورة ؟ وتصلح أحوالهم ؟ ونحن نتكلم كـثيرا ..!!.. وكلامنا لا يجدي ؟ ..... فوضح لهم السر فقال :

{{ أخذتم علمكم ميتاً عن ميت – فلاناً عن فلان ، وهذا مات وهذا مات – ، ونأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت ، فنأخذ علمنا في أي وقت شئنا.! ، وكيف شئنا .!..}}

وهذا من باب قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ آية ٢٨٢ سورة البقرة

فلم يقل الشيخ فلان أو كليَّة كذا ؛ لأن هذا العلم لايأتى إلا بالتقوى ، و ربنا

لم يقل ((واتقوا الله يعلمكم الله)) ، فلو قال هذا لكان علما واحدا و كل من يتق الله يأخذه ، و لكنّه قال ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، أي كلما تزيد في التقوى كلما تأخذ علوما اكثر وهكذا ...، حتي تصل الي ما قال عنه ﷺ - فى معنى حديثه الشريف :

﴿ إنّ الله يفيض على قلوب أهل المعرفة ، سبعين ألف علم من كتاب الله تعالى.. ﴾

أين هذه السبعون ألفا ؟وما حدودها ؟

هذه العلوم أسرار في صدروهم ، لكنها علوم ترفع الإنسان ، وتطهّر قلبه ، وتوصّله الى أنوار الله سبحانه وتعالى ، فهذه طريقة رسول ﷺ ، وضحّها لنا الله ، وأجرى عليه المثال ؛ ليعرفنا أنه ..... إذا كان هذا الرسول الكريم ، المبرأ من كل عيب ، قد شققنا صدره أربع مرات ..!!.. ، وأخذنا حظّ الشيطان وألقيناه ..!!.. ، وأخذنا الغلّ والحقد وألقيناهما ..!!.. ، وملأناه شفقة ورأفة ورحمة ...... فأنتم أولى بذلك ...... ، لأنكم أحوج إلى ذلك.

فأول مرة ..... : تشقه .... وتخرج حظّ الشَّيطان ، بعد هذا تملأ قلبك رأفة ورحمة لجميع خلق الله ، لأن الله يحبُّ العبد الشفوق الرفيق ، ولا يحبُّ الغليظ ولا الفظّ ، ولذلك قال له :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ الآية ١٥٩ سورة آل عمران

والمرَّة التالية : أخرج كل ما فيه ، واملاءه إيمانا وحكمة ...!!... ، إحشُ هذا

القلب بالإيمان ، وعلوم الإيمان والحكمة ، وعلوم الحكمة ، ولا تحشه من كلام الصحف ، ومن الغيبة ، ومن النميمة ...... ، ومشاكل التموين ..!..، ومشاكل السياسة ..!.. ، ومشاكل الكرة ..!.. ، فهذا لا يناسب ذاك .

فهذا رجل من كبار العرب – وهو لبيد بن ربيعة – وكان شاعرا من كبار الشعراء ، وقصائده كانت مكتوبة بماء الذهب ومعلقة علي الكعبة لأنه من أصحاب المعلقات ، لَمَّا أتاه ربُّنا بالإسلام جاءه نفر ، وقالوا له :نريد أن تذكر لنا قصيدة من شعرك فغضب ، فقالوا له :ما أغضبك ؟..!!.. ، فقال لهم :

ما كنت لأملاء قلبي بهذا القيح والصديد ....!!!.... ، بعد ان ملاءة الله بنور القرآن والإيمان .... ، فاصبح الشعر كالقيح والصديد بالنسبة له ، فلا يستوي هذا مع ذاك ، وتاب من الشعر.

فلا بد للإنسان لكي يملاء قلبه بعلوم الإيمان ، أن يفرغه مثل الكوب ، فلكي يكون الماء الذي سيصبُّ فيها نظيفاً ؛ لابد ان تكون هي نظيفة ، لكن إذا كان بالكوب بعض الأتربة ، فالماء الذي سيترل فيه سيتلوَّث ......

وهكذا علوم الله الالهاميَّة ، واحوال الله العليَّة ، والرؤيات والمكاشفات المناميَّة ، والعيانيَّة .... : لا تظهر ..!!.. ، و لاتعطي ..!!.. ، الا لمن طهَّر القلب بالكليَّة لربِّ البريَّة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب السادس

بشائر أهل الكتاب بنبوته وبصحبه الكرام

- أنواع المعجزات
- مبشرات النبوة عن اليهود
- تصديق علماء اليهود به ﷺ
- زيد بن سعنة
- مخيرق النضري الإسرائيلي
- يهود الشام
- بشائر النصارى
- إسلام سلمان الفارسي
- قصة بحيري
- البشائر لأهل السابقية
- بشارة الصديق
- بشارة الفاروق
- بشارة طلحة
- بشارة عبدالرحمن بن عوف

يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلايَزِيدُهُ جَهْلُ الجَاهِلِ عَلَيْهِ إلا حِلْمَاً

أخرجه الطبراني و أبو نعيم عن عبدالله بن سلام

بشائر أهل الكتاب بنبوته وبصحبه الكرام

أنواع المعجزات .

يؤيد الله عز وجل رسله وأنبياءه بالمعجزات والإرهاصات ، كمـا يؤيـد أحبابـه والصالحين من عباده بالكرامات .

وهذه الأشياء الثلاثة ، المعجزات ، والإرهاصات ، والكرامات ، تطلق علـي خوارق العادات ، أو الأشياء غير العادية ..... أي التي تخترق النـواميس الكونيَّـة ، والسنن الطبيعية ، والقوانين العلمية ، مثال ذلك :

نحن اعتدنا أن الشمس تغرب في الساعة الخامسة وعشر دقائق ، فإذا وجد من تتأخر الشمس لأجله ، أو بسببه للخامسة وعشرين دقيقة ، يكون ذلك شيئاً غريبـاً وغير عادي .

فإذا كان الذي يؤخرها نبيٌّ ، وقد أرسل إليه ، فتسمي في هذه الحالة " معجزة " ، أما إذا كان نبيٌّ لكن لم يأت أوان نبوَّته ، ولم يكلف بعد من الله بتبليـغ رسـالته فنسميها " إرهاصاً " ، وإذا كان الذي جرت علي يده رجل من الصالحين المـشهورين بالاستقامة ، نسميها " كرامة " ، لأنها تأييد من الله عز وجل له ، ...... فإذا ظهرت علي يد فاسق ..... :.. فهي استدراج من الله سبحانه وتعالي له من باب قوله عز وجل :

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة القلم

فكل ما ذكرناه في الأبواب السابقة مما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبـل نـزول الوحي عليه ، كسقوط إيوان كسري ، ووقوع الأصنام علي وجهها عنـد ولادتـه

وغيره ، فهي من باب الإرهاصات ، وكل ما أيده الله عز وجل به بعد بعثته فهي معجزات ، وهي كثيرة جداً .... وقد حاول بعض الأئمة الأعلام وهو الشيخ يوسف النبهاني رضي الله عنه أن يحصي معجزاته صلى الله عليه وسلم فعدَّ منها ثلاثة آلاف ، ثم عجز بعد ذلك ..... ، لأن كل أحواله صلى الله عليه وسلم بليل أو بنهار ..... من باب المعجزات .

مُبَشِّرَاتُ النُّبُوَّةِ عِنْ الْيَهُودِ .

يبقي عندنا المبشرات :

وهي العلامات والصفات التي ذكرت في الكتب السماوية عن صلى الله عليه وسلم ، وهي من الكثرة بحيث لا يستطيع بشر حصرها ، ولكننا سنذكر بعضها لتستبشر نفوس المؤمنين بفضل الله عز وجل علينا بهذا النبي الكريم .

ولنبدأ باليهود الذين جحدوه مع أنهم كما قال الله عز وجل فيهم :

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ آية ٢٠ سورة الأنعام

فقد عرَّفهم الله عز وجل في التوراة كل شيء عنه صلى الله عليه وسلم بالتفصيل ، حتى زمان ومكان مولده ، والموطن والوقت الذي سيهاجر فيه ، مما أدَّي ببعضهم وهم " بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير " لما عرفوا صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا أنه سيظهر في مكة ، ويهاجر إلي المدينة ، واسمها طيبة وعلاماتها واضحة .... (فهي بين جبلين ، وذات نخل) ، وعرفوا صفاتها بالتفصيل ، فذهبوا إلي المدينة وأقامو بها ، طمعاً أن يخرج منهم الرسول ، أو يكونوا أول أتباعه إذا ظهر .

ولذلك عندما كانت تحدث بينهم وبين القبائل المجاورة حروب كانوا يتوسلون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون :

{ اللهم بحق النبي المنتظر ، الذي قرب أوان ظهوره ... ، انصرنا علينهم ، .... فينتصرون }[١]

وذلك ما أخبر به القرآن في قول الله تعالي من (سورة البقرة - الآية ٨٩):

﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾

وكذلك عندما كان يحدث خلاف بينهم وبين الأوس والخزرج في المدينة كانوا يقولون لهم :

{ إن نبي آخر الزمان سيظهر عن قريب ، وسيكننا الله به منكم ، ولذبحكم ذبح عاد وإرم }[٢]

وهذا ما جعل الأوس والخزرج يسارعون إلى الرسول ﷺ ويؤمنون به ، لما علموا نبأظهوره في مكة ، لأنهم كانوا يسمعون عنه من اليهود ، وهذا أيضا ما دعاهم إلى دعوته للهجرة إلى مدينتهم ، لأنهم علموا من اليهود أنها مكان هجرته .

تصديق علماء اليهود به ﷺ

ولذلك لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ..... ، آمن كبار علماء اليهود بـه على الفور ، وأولهم في ذلك عبد الله بن سلام ، وكان رئيسهم في العلم ، ...فجاء إلى رسول الله ﷺ ، وقال له :

---

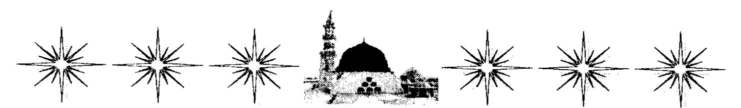
(١) أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن اسحاق عن قتاده .

يا رسول الله ! ، إن اليهود يعلمون صفاتك لأنها مذكورة عنهم في التـــوراة ، ولكنهم قوم بهت ((يعني يجادلون بالباطل مع علمهم أنه باطل ، وينكرون الحق مـــع يقينهم أنه حق)) ، فإذا أظهرت إسلامي فسيكذبونني ، لكن اجعلني أختبأ في مكـــان خلفك ، ثم أدعهم ، وسلهم عني ، وأنا أسمع ، لأتمكن من الرد على كذبهم .

{ فأرسل الرسول ﷺ إليهم فحضروا ، فقال لهم : ما رأيكم في عبد الله بن سلام ؟ .قالوا : عالمنا وابن عالمنا ، وحبرنا وابن حبرنا ، وعندئذ خرج عليهم عبد الله بن سلام ، وقال : يا معشر يهود تعلمون أن محمدا هو النبي الخاتم الذي بشّر به موسى عليه السلام في التوراة ، وذكره بصفاته ونعوته والتي منها : ((يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميّين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخّاب في الأسواق ، ولا قوال للخنا ، وأمدح الحامدون له ﷻ على كل حال)) . وإني أشهدكم أني آمنت بالله ورسوله } .[٣]

فما كان منهم لخبثهم وفساد طبعهم ؛ إلا أنهم كذبوه ، وسبُّوه بأقذع أنـــواع السباب ، غير أنه أقام عليهم الحجة ، وأبطل أقاويلهم ودعاويهم.



(٣) رواه البخاري والبيهقي ، عن أنس وأبي إسحاق وابن عساكر عن طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام.

زَيْدُ بن سَعْنَة

وهذا عالم آخر من علمائهم ، هو زيد بن سعنة ، قرأ صفات رسول الله ﷺ المذكورة في التوراة ، وتحقَّق منها كلها ، ولم يبق إلا صفة واحدة منها :

فلما أراد أن يتحقق منها ، أقرض رسول الله ﷺ تمراً لأجل محدد ، وحضر قبل الأوان المتفق عليه للسداد ، وذهب للنبي ﷺ وهو بين أصحابه وجذبه "شدَّه" من رداءه حتى أثرَّ الثوب في عنقه الشريف ﷺ وخاطبه بغلظة ، قائلاً :

إنكم يابني عبد المطلب قوم مطل (يعني مماطلين) — والمماطل هو الذي هرَّب من تسديد ما عليه — وكان يقصد بذلك إثارة سيدنا رسول الله ﷺ، فغضب سيدنا عمر ﷺ وقال له : كذبت ، أتقول هذا لرسول الله ﷺ؟ ، وهم أن يضرب عنقه بالسيف ،فقال له رسول الله ﷺ:

{ كِلانا كانَ أحوجُ إلى غيرِ هذا منكَ يا عمر ، تأمُرُهُ بِحُسْنِ المُطالبةِ ، وَ تأمُرُني بِحُسْنِ الأداءِ } .

إنما العدالة التي ورثها ﷺ من خلال النبوَّة ، حتى وهو طفلٌ ، فقد كان يعدل مع أخيه في الرضاعة ، حين التقم ثدياً واحداً ، ورفض أن يلتقم الآخر ، لمعرفته أن له شريكاً في الرضاعة ، فقد ألهمه الله ﷻ العدل ، ..... ثم قال ﷺ :

{ يا عُمَرُ ، خُذْهُ إلى البَيتِ ، فَأعْطِهِ حَقَّهُ ، وَزِدْهُ عِشْرينَ وَسْقاً مِنَ التَّمْرِ ، جَزَاءَ مَا رَوَّعتَهُ ، فلمَّا ذهب عمر مع الرجل ، ودخلا المنزل ، قال : يا عمر تدري لم فعلت ذلك ؟، قال : لا ، قال إني

تحققت من صفات رسول الله ﷺ في التوراة ، ولم يبق إلا صفة واحدة وهي ....: يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلما ، وقد تحققت منها اليوم ، وأشهدك بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله }.[٤]

مُخَيْرِقُ النَضْرِي الإِسْرَائِيلي

وهذا رجل آخر من اليهود ، وكان من أثرياءهم ، لما خرج المسلمون للقاء المشركين في أحد ، قال :

يا معشر يهود لم تجلسون هكذا ، وتتركون محمدا يحارب قريشاً ، وأنتم تعلمون أن محمدا هو النبي المذكور عندكم في التوراة ، والذي بيَّن لكم موسي عليه السلام صفاته وعلاماته ، وأمركم أن تؤمنوا به ، وتؤازروه ، وتناصروه ، فلم تتقاعسون عن نصرته ؟

فلم يجيبوه إلا بما تعودوا عليه من الإفك والكذب ، فقال لهم : يا معشر يهود إني ذاهب لنصرته ، والقتال معه ، فإذا قتلت ، فأشهدكم أن كل ثروتي تؤول إليه ﷺ يتصرف فيها كيف يشاء ، وأخذ سلاحة ، ودخل المعركة ، وظل يحارب في صفوف المسلمين حتي استشهد .

وأموال هذا الرجل هي التي كان ينفق منها رسول الله ﷺ في خاصة نفسه ، حتي لحق بالرفيق الأعلي .

---

(٤) أخرجه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام.

لأن من سنن الله ﷻ في إرسال رسله ، أن يفرَّغهم لتبليغ الرسالة ، ويتــولي عنهم تدبير معيشتهم ، حتى لا ينشغلوا إلا به ، فقيض الله ﷻ ﷺ هذه الأمـــوال ليعزَّه ، فلا يحتاج إلي أحد من خلقه ، وليكون شغله كله بالله ﷻ ، فلا يلتفت نفسا ولا أقل عنه إلي غيره .(٥)

يهود الشام

أما يهود الشام :

فقد اختاروا واحدا من كبار علمائهم ، و أرسلوه إلي مكــة عنـــدما علمـــوا اقتراب أوان ظهوره ﷺ ، لأنهم كانوا يعلمون أنه سيولد بمكة .

{ فسكن هذا الرجل في شعب خارج مكة ، وكان أهل مكة بعد أن شاع سبب مجيئه يعرضون عليه أطفالهم بعد ولادتهم ، فكلما ينظر إلي مولود ويتبينه يقول : ليس هو ، إلي أن ولد رسول الله ﷺ فذهب إليه جده عبد المطلب بمفرده ، فأول ما رآه قال له : أنت جده فقال : جد من ؟ ، فقال : نبي آخر الزمان فقد ظهر نجمه في السماء الليلة (وهناك نجم معين كبير الحجم جداً ولونه أحمر يظهر عند ولادة النبي) ، فقال له : أنا أبوه ، قال : لا ، مكتوب في التوارة أن أباه يكون قد مات - ونص العبارة (وما ينبغي لأبيه أن يكون حياً).،

---

(٥) عن سبل الهدي والرشاد بتصرف .

ثم طلب منه أن يذهب معه لرؤيته : فأخذه إلى بيت السيدة آمنة ، فلما شاهد الغلام أخذ يفحصه حتى وجد خاتم النبوة أعلى كتفه الأيسر ، وكان في حجم بيضة الحمامة ، ويشع نوراً ، ومكتوب فيه من الداخل ((لا اله إلا الله محمد رسول الله)) ، بشعيرات بارزة ، وتنطق من الخارج. ((توجَّه حيثُ شئتَ فإنك منصُور)) ، فلما تحقق منه ، آمن برسول الله ﷺ ، والتفت إلى عبد المطلب وقال : إني أخشي عليه من اليهود ، فأنهم إذا رأوه لابد أن يقتلوه ، فقال عبد المطلب : ولماذا ؟ ، قال : لأنهم لا يريدون أن تنتقل النبوة من ولد إسحاق إلى ولد إسماعيل .} [٦]

وهكذا فأخبار اليهود في هذا الباب لاتعدُّ ولا تحصي .

بشائر النصارى

أما النصارى فالأخبار عنهم في هذا الباب أكثر وأكثر .

منها ما ورد عن قيصر الروم في الرواية المشهورة التي تحقَّق فيها من صفات رسول الله ﷺ ، في الحوار الذي دار بينه وبين أبي سفيان قبل إسلامه .

وقد جاء في الأخبار أنه كان يمتلك خزانه من عهد آدم عليه السلام ، فيها صور الأنبياء جميعاً ، ومن جملتها صورة طبق الأصل لرسول الله ﷺ

---

(٦) رواه الحاكم عن عائشة رضى الله عنها .

إسلام سلمان الفارسي

ومن غرائب هذا الباب قصة إسلام سليمان الفارسي ﵁ :

وقد كان أبوه الكاهن الأكبر للنار في بلده ، وكان يخاف عليه لأنه وحيده ، فلا يسمح له بالخروج من البيت منفرداً ولو إلى مزرعته الخاصة .

وذات يوم كلفه بالذهاب إلى المزرعة ليباشر عملاً بها نيابة عنه لانشغاله ، وأوصاه ألا يتأخر ، فمر في طريق بدير للنصارى ، وسمعهم يصلون فأعجب بهم وجلس قريباً منهم معظم النهار ، فلما عاد أخر اليوم ، وكان قد أشتد قلق أبيه عليه ، سأله عن سر تأخيره فأخبره بخبره فقال له : لا تعد فأن دين آباءك خير من هذا الدين .

غير أنه أخذ يتردد على الدير سراً ، فلما علم أبوه بالخبر أوثقه بقيد ، وحبسه في المترل خوفاً عليه ، ولكنه أرسل إليهم ليسألهم عن أصل هذا الدين أين يكون ؟ فأخبروه أنه بالشام ، فطلب منهم عند حضور أحد من الشام أن يخبره ليتجهز للسفر معه ، فإذا أراد الرجوع إلى الشام يخبروه ليلحق بهم ....

ونتركه ﵁ ليحكي لنا بقية ما حدث قال :

هرب سلمان إلى الشام

فجاء نفر من الشام فأخبروني ، فلما هموا بالسفر أعلموني بالسفر ، ففككت قيودي ، ولحقت بهم ، وسافرت معهم ، فلما وصلنا إلى الشام ، قلت لهم : من أكبر رأس عندكم في هذا الدين ؟ قالوا الأسقف .

قلت : دلوني عليه ، فدلوني عليه ، فاعتنقت الدين على يديه ، وطلبت منه أن يجعلني أتولي خدمته ، فوافق على ذلك ، قال : ومكثت معه فترة فوجدته أسوأ الناس

سيرة ، يأمر الناس بالزكاة والصدقة ن فيجمعونها له ، فيأخذها لنفسه ، حتى ملأ سبع قلال كبيرة من ذلك ، فلما مات وأرادوا الصلاة عليه ، أخبرتهم خبره ، ودللتهم على موضع كنوزه ، فكرهوا ذلك ، وقالوا : والله لا ندفنه أبـــــداً وصـــلبوه ، ورجمـــوه بالحجارة ، وجاءوا برجل أخر فجعلوه مكانه .

سلمان والأسقف الصالح

قال سلمان :

فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس ، أري أنه كان أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلا ونهاراً منه ، قال : فأحببته حبًّا لم أحبَّه شيئاً قبله ، قال : فأقمت زماناً طويلاً .

ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما تري من الله تعالي ، فإلي من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟

قال : أي بني ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجل بالموصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

سلمان وصاحبه بالموصل

قال :فلما مات وغيب ، لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يـــا فـــلان ، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي : أقم عندي .

فأقمت عنده ، فوجدته رجل على أمر صاحبه .، فلم يلبث أن مات ... ، فلما

حضرته الوفاة ، قلت له : يا فلان ، إن فلاناً أوصي بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما تري ، فإلي من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال :

يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنصيبين وهو فـلان فالحق به .

سلمان وصاحبه بنصيبين (٧)

فلما مات وغيب ، لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمـرني بـه صاحبه ، فقال : أقم عندي .

فأقمت عنده على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فو الله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان ، إن فلانا كان أوصي بي فلان ، ثم أوصي بي فلان إليك ، فإلي من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال يا بني ، والله ما أعلمه بقـي أحـد على أمرنا أمرك أن تأتيه ، إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فأنه على مثل ما نحـن عليه ، فأن أحببت فأته ، فأنه على أمرنا .

سلمان وصاحبه بعمورية

فلما مات وغيب ، لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ; فقـال : أقـم عندي ، فأقمت عند خير رجل ، على هدي أصحابه وأمرهم .

قال : وأكتسب حتى كانت بقرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله تعـالي ، فلمـا حضر قلت له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصي به إلى فلان ، ثم أوصي بي فلان

(٧) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة على الطريق من الموصِّل إلى الشام .

إلى فلان ، ثم أوصي بي فلان إليك ، فإلى من توصي به ؟ وبم تأمرني ؟

قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين [٨] ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفي :....يأكل الهدية ....، ولا يأكل الصدقة .....، وبين كتفية خاتم النبوة .....، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فأفعل .

سلمان في المدينة

قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث .

ثم مرَّ بي نفر من "كلب"– قبيلة – تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا: نعم ، فأعطيتموها وحملوني معهم .

حتى إذا بلغوا وادي القرى ، ظلموني ، فباعوني إلى رجل يهودي عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي .

ولم يحق في نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة ، من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها .

وبعث رسول الله ﷺ ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأسي نخلة لسيدي أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا

(٨) الحرّة : كل أرض ذات حجارة سود من أثر احتراق بركاني .

فلان ، قاتل الله بني قيلة (الأوس والخزرج) ، والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني رعدة ، حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لإبن عمه ذاك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . قال : قلت : لا شئ إنما أردت أن استثبته عما قال .

سلمان بين يدي الرسول ﷺ

قال : وقد كان عندي شئ قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء فدخلت عليه .

فقلت له أنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة ، وهذا شئ قد كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال ﷺ لاصحابه : كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة .

قال ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية قد أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان .

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بالبقيع قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أري الخاتم الذي وصف لي صاحبي : فلما رآني رسول الله ﷺ استدرت خلفه ، عرف أني أستثبت

في شئ وصف لي ، فألقي رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فانكببت عليه أقبِّله وأبكي .

فقال لي رسول الله ﷺ : تحوَّل ، فتحوَّلت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي ، فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد .

خلاص سلمان من الرق

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كَاتِبْ يا سلمان ، فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة، وأربعين أوقية. (كَاتَبَ : أى اتفق مع سيده على ثمن عتقه، أو شراء نفسه منه) .

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية (الودية : النخلة الصغيرة) ، فقال لي رسول الله : أذهب يا سلمان فاحفر لها ، فإذا فرغت ؛ جئته فأخبرته ، فخرج الرسول ﷺ معي إليها ، فجعلنا نقرِّب إليه الودي ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، حتى فرغنا .

ويقال : أن سلمان غرس بيده ، ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرها فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان ، وفي رواية أن الذي غرسها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال : فأديت النخل ، وبقي علي المال ، فأتي رسول الله بمثل الدجاجة من ذهب ، فقال : ما فعل الفارسي المكاتب ؟ ، قال : فدعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدِّها مما عليك يا سلمان ؟ ، قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ ؟ ، فقال : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك .

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قلبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

وعتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً ، ثم لم يفتني معه مشهد .(٩)

قِصَّةُ بُحَيْرَى

روي البيهقي عن أبن إسحاق و الترمذى والحاكم وأبو نعيم عن أبي موسى الآشعري أن أباطالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير به رسول الله ﷺ ، فحمله معه ، فلما نزل الركب بصري من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيري في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام .

فصنع لهم طعاماً كثيراً ، لأنه رأي الرسول ﷺ ، وهو في صومعته ، في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم ، قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، وجلس رسول الله ﷺ في الشمس ، فتحول ظل الشجرة عليه ﷺ ، فلما رأي ذلك بحيري نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم ، فقال :

إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم .

فقال رجل منهم : ... والله يا بحيري أن لك لشأنا اليوم ؛ فما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيري :

---

(٩) رواه أبن هشام في سيرته كاملة عن عبد الله بن عباس ﷺ ، وأخرجه أبن سعد ، والبيهقى ، وأبو نعيم ، عن طريق أبن إسحاق .

صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا عليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيري في القوم لم ير الصفة التي يعرف ، ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ؛ قالوا له : يا بحيري ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سناً فتخلف في رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

{ فلما رآه بحيري جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيري ، فقال له : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزي إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيري ذلك ليختبره ، فقال ﷺ : لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ؛ قال بحيري . فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له : سلني عما بدالك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه ، وهيئته ، وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأي خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ ، أقبل على عمه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال له بحيري : ما هو بابنك ، وما

ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ؛ قال : فإنه أبن أخي ؛ قال : فما فعل أبوه ؟ ، قال : مات وأمه حبلي به ؛ قال : صدقت ، فأرجع بابن أخيك إلى بلده ، وأحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ؛ ليبغينه شرا ، فإنه لأبن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده . } .

وقد روي أن زريراً ، وتماما ، ودريا ، وهم نفر من أهل الكتب :

وصلوا قادمين من الشام أثناء هذا الحوار ، ورأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيري :

فأرادوه بسوء فردهم عنه بحيري ، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم أن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال .

فتركوه ، و انصرفوا عنه قائلين : لقد أرسلنا من خلفنا ، وقد علموا أنه خارج في هذا الوقت إلى الشام ، وما تركوا طريقاً بين بلاد العرب والشام إلا وأرسلوا عليه نفراً مثلنا .

فقال بحيري : اكفوه ما وراءكم ، وليس لكم شأن بغيركم ، فإن الله عز وجل حافظه .... ، وكافيه .[10]

ولا يخفي خبر نسطور الراهب ، حينما رآه ﷺ جالساً تحت شجرة بمفرده ،

---

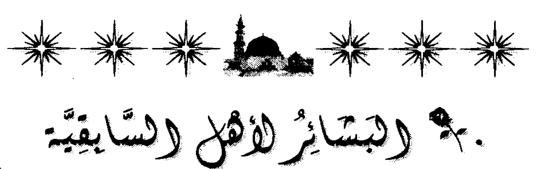
(10) رواه البيهقي عن أبن إسحاق .

بينما بقية القافلة في مكان بعيد عنه ، فقال : هذا الرجل نبي ، فسئل عن سبب ذلك؟ ، فقال :.... إن عيسي بن مريم جلس تحت هذه الشجرة وقال :.... لا يجلس تحتها بعدي إلا نبي [١١] .

وهكذا فاليهود والنصاري كانوا يعلمون كل شئ عنه وعن ولادته ، وعن دار هجرته ، حتى أسفاره وتوقيتها ، بل أنهم كانوا يعلمون أصحابه بصفاتهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وكان ذلك كله وغيره مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

ولكن ما الذي منعهم من الإيمان به ؟

حب الدنيا ، والخوف من ضياع نفوذهم ومنزلتهم ، والخشية من نقص مواردهم وأموالهم ، فقد كانوا يأكلون الدنيا بالدين ، هذا فضلاً عن غضب الله ﷻ عليهم لتحريفهم ما أنزل الله علي رسله ، وتعاميهم عن الحق مع معرفتهم به ، فأضلهم الله ﷻ على علم وختم على قلوبهم ، وجعل على أسماعهم وأبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم .



٩٠. البشائر لأهل السابقة

بل إن المرء ليعجب إذا علم كيف آمن أصحاب رسول الله ﷺ الأوائل ؟

فقد يظن بعض الناس أنها كانت جزافاً :ولكنها بهداية وعناية من الله سبحانه وتعالي ، فالسيدة خديجة رضي الله تعالي عنها ، لم طلبته زوجا لها ؟

روي السيوطى في الخصائص وابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما :

(١١) رواه إبن منده والسيوطي عن ابن عباس .

{ أن رجلا من اليهود عرف صفات سيدنا رسول الله ﷺ ، قذهب إلى مكة ، فوجد نساء قريش يطفن حول الكعبة ، فقال لهن : أنه سيظهر بينكن نبي ، يقال له أحمد ، نجده عندنا ، وصفاته كذا وكذا ، وذكرها كلها كما بينا سابقاً ، ثم أومأ إلى أن العاقلة فيهنّ هي التي تتزوجه ، فأخذت النسوة في نهره وشتمه ؛ والسيدة خديجة صامتة لا تتكلم ، فلما رجعت إلى بيتها ، فكرّت في هذا الكلام . . . ، وأضمرت في نفسها أن تكون هذه المرأة ، فأرسلت إليه ﷺ ليتاجر لها ؛ وأجزلت له العطاء ؛ لتختبره عن قرب ، وتقرّ عينها بما عزمت عليه . }.

* بِشَارَةُ الصِّدِّيق[١٢]

{ قال أبو بكر الصديق :خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب ، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين ، فقال لي : أحسبك حرميا ، قلت : نعم ، قال : وأحسبك قرشياً ، قلت نعم . قال :

(١٢) أخرجه ابن عساكر والسيوطي في الخصائص عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وأحسبك تيمياً ، قلت نعم . قال : بقيت لي منك واحدة ، قلت : ما هي ؟ قال : تكشف لي عن بطنك ، قلت : لم ذاك ؟ قال : أجد في العلم الصادق أن نبياً يبعث في الحرم ، يعاونه على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف ، على بطنه شامة ، وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك أن تريني فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي علي ، قال أبو بكر : فكشفت له عن بطني ، فرأي شامة سوداء فوق سرتي ، فقال : أنت هو ورب الكعبة .}

* بشارة الفاروق

وروي السيوطي في الخصائص عن الدينوري في المجالسة ، وابن عساكر عن طريق زيد بن أسلم قال :

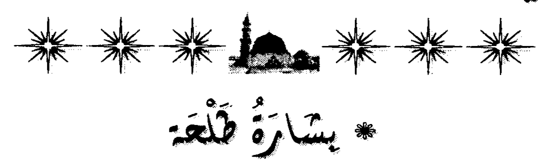
{ أخبرنا عمر بن الخطاب قال : خرجت مع ناس من قريش في تجارة إلى الشام في الجاهلية ، فلما خرجنا إلى مكة نسيت قضاء حاجة ، فرجعت ، فقلت لأصحابي الحقكم ، فوالله إني لفي سوق من أسواقها ، إذا أنا ببطريق قد جاء فأخذ بعنقي فذهبت أنازعه ،

فأدخلني كنيسة ، فإذا تراب متراكب بعضه على بعض ، فدفع إلي مجرفة وفأساً وزنبيلاً ، وقال : أنقل هذا التراب ، فجلست أتفكر في أمري كيف أصنع ؟ ، فأتاني في الهاجرة فقال لي : لم أرك أخرجت شيئاً ، ثم ضم أصابعه فضرب بها وسط رأسي ، فقمت بالمجرفة فضربت بها هامته ، فإذا دماغه قد انتثر ، ثم خرجت على وجهي ، ما أدرك أين أسلك ؟... ، فمشيت بقية يومي وليلتي حتى أصبحت ، فانتهيت إلى دير ، فاستظللت في ظله ، فخرج إلي رجل فقال : يا عبد الله ، ما يجلسك ها هنا ؟ قلت : أضللت الطريق عن أصحابي ، فجاءني بطعام وشراب وصعّد فيّ النظر وخفضه ، ثم قال : يا هذا قد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم مني بالكتاب ، وأني أجد صفتك الذي تخرجنا من هذا الدير ، وتغلب على هذه البلدة ، فقلت له : أيها الرجل قد ذهبت في غير مذهب ، قال ما أسمك ؟ قلت عمر بن الخطاب ، قال : أنت والله صاحبنا ! ، فهو غير شك فاكتب لي على ديري وما فيه ، قلت : أيها الرجل قد صنعت معروفاً فلا تكدره ، فقال : اكتب لي كتاباً في رق ، ليس

عليك فيه شيء ، فإن تك صاحبنا فهو ما نريد ، وان تكن الأخرى فليس يضرك ، قلت : هات ، فكتبت له ، ثم ختمت عليه ، فلما قدم عمر الشام في خلافته ، أتاه ذلك الراهب - وهو صاحب دير القدس - بذلك الكتاب ، فلما رآه عمر تعجب منه وأنشأ يحدثنا حديثه }

وأخرج ابن سعد عن ابن مسعود ، وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن طريق أبي إسحاق عن أبي عبيده قال :

{ ركض عمر فرساً على عهد النبي ﷺ ، فانكشفت فخذه من تحت القباء ، فأبصر رجل من أهل نجران شامة في فخذه ؛ فقال : هذا الذي كنا نجده في كتابنا ... يخرجنا من ديارنا } .

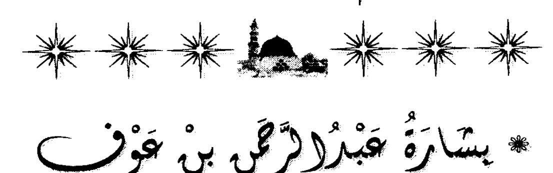


* بشارة طلحة

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن طريق إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال :

قال طلحه بن عبيد الله : حضرت سوق بصري ، فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم ؟ هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ ، قال طلحة : قلت : نعم أنا ، قال : هل ظهر أحمد بعد ؟ ، قلت

: ومن أحمد ؟ ، قال عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهوآخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم إلى نخل وحرَّة وسباخ ، . فإياك أن تسبق إليه ، قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعاً إلي مكة ، فقلت : هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين ، قد تنبَّأ ، وقد تبعه ابن أبي قحافة ، فخرجت ، حتي دخلت على أبي بكر ، فأخبرته بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر حتي دخل على رسول الله ﷺ ، فأخبره ، فسرَّ بذلك ، وأسلم طلحة .}



* بشارة عبد الرحمن بن عوف

وأخرج عساكر والسيوطي في الخصائص عن طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال :

{ سافرت إلى اليمن . . ، قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنة ، فنزلت على عسكلان بن عواكن الحميري ، وكان شيخاً كبيراً ، وكنت لا أزال إذا قدمت إلى اليمن نزلت عليه ، فيسألني عن مكة والكعبة وزمزم ، ويقول : هل ظهر فيكم رجل له نبأ ، له ذكر ؟

هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم ؟ فأقول : لا ، حتى قدمت القدمة التي بعث فيها رسول الله ﷺ ، فوافيته ، وقد ضعف ، وثقل سمعه ، فنزلت عليه ، فأجتمع عليه ولده وولد ولده ، فأخبروه بمكاني ، فشدت عصابة على عينيه ، وأسند فقعد ، وقال لي : أنتسب يا أخا قريش ، . فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، قال : حسبك يا أخا زهرة ، ألا أبشرك ببشارة وهي خير لك من التجارة ؟ ، قلت : بلي ، قال : أنبئك بالمعجبة ، وأبشرك بالمرغبة ، إن الله قد بعث في الشهر الأول من قومك نبياً ، أرتضاه صفياً ، وأنزل عليه كتابا ، وجعل له ثواباً ، ينهي عن الأصنام ، ويدعو إلى الإسلام ، يأمر بالحق و يفعله ، وينهي عن الباطل ويبطله ، فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من أزد ولا ثمالة ، ولا من السرو ولا بتاله ، هو من بني هاشم وأنتم أخواله ، يا عبد الرحمن أخفف الوقعة ، وعجل الرخعة ، ثم أمض ووازره وصدقه ، وأحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذي المعالي ... وفالق الليل والصباح
أنك في السرو من قريش ... يا ابن المفدي من الذباح

أرسلت تدعو إلي يقين ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى أنك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعي إلي مليك يدعو البرايا إلي الفلاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات ، وأسرعت في تقضي حوائجي ، وانصرفت ، فقدمت مكة ، فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر ، فقال : هذا محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله رسولاً إلى خلقه ، فأته فأتيته وهو في بيت خديجة ، فلما رآني ضحك وقال : أَرَي وَجْهاً خَلِقاً ، أرجُو لَهُ خَيراً ، مَا وَرَاءَكَ ؟ ، قلت : وما ذاك يا محمد ؟ قال : حَمَلْتَ إليّ وَدِيعَةً ؟ ، أمْ أرْسَلَكَ مُرْسِلٌ إليّ بِرِسَالَةٍ ؟ ، هَاتِهَا فَأخْبَرْتُهُ ، وأسلمت ، فقال : أمَّا إنّ أخَا حِمْيَرَ مِنْ خَوَاصِ الْمُؤمنينَ . ثم قال : رُبَّ مُؤْمنٍ بِي وَلَمْ يَرَنِي ، وَمُصَدِّقٍ بِي وَمَا شَهِدَنِي ، أُولَئِكَ إخْوَانِي حَقّاً }

وهكذا ....

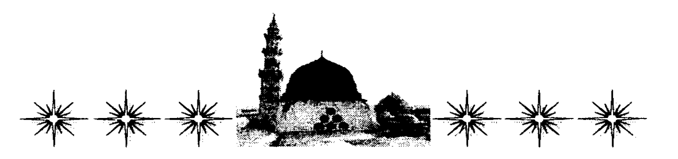
فكل هؤلاء وغيرهم ممن لم نذكرهم هنا – منعاً من الإطالة – ، إنما كانت الهداية بتوجيه من الله ﷻ لهم في البداية ، حتى نعرف أن الإيمان ليس بالجهاد أو الاجتهاد ، وإنما بسابقة الحسنى الأزلية من الله ﷻ كما قال عبد الله بن رواحه ﵁ :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلينا

ويقول في ذلك أيضا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

لولا العناية من أزل لنا سبقت
لما اهتدينا ولا أرواحنا عشقت
من جمَّل القلب منا بالهداية من
وهب النفوس الضياحتى له طلبت
ومن دعانا فلبينا لدعوته
وفيه أرواحنا بالذكر قد سكرت
عناية سبقت وألست مشهدها
والروح قد ولهت فيها وقد شهدت
وكل روح أجابت جمّلت بضيا
نور الهدي ولهذا الوجه قد نظرت
بشري لمن طلبوا لله فاتصلوا
لهم عنايته بالنور قد سبقت
سعدوا بمطلبهم فازوا بمقصدهم
ولهم بفضل الرضا أبوابه فتحت

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه و سلم .



الباب السَّابع

أوْصَافُهُ الذَّاتِيَّة

- مِنْ فَضْلِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْنَا.
- أوْصَافُ الذَّاتِ المحَمَّدِيَّة.
- هَيْبَتُهُ الرَّبانِيَّة
- أوْصَافُهُ الحِسِّيَّة
- جَمَالُ وَجْهِهِ
- نُورُ عَيْنَيْهِ
- تِرْيَاقُ رِيقِهِ.
- صَوْتُهُ النَّدى
- أذُانُ الخَيْرِ
- نَاصِيتُهُ المُبَارَكَة
- هَيْكلُهُ الشَّرِيف
- لِسَانُ الرَّبانِيَّة
- طِيبُ عَرَقِهِ.



مَنْ رآهُ
بَدِيهَةً هَابَهُ
وَمَنْ خَالَطَهُ
مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ

أخرجه الترمذي في الشمائل
عن الإمام علي رضي الله عنه

أوصافه الذاتية (١)

من فضل رسول الله علينا.

لكى يظهر لنا بعض فضل رسول الله علينا نذكر فى هذا المقام سـيدنا ابـراهيم عليه السلام ، وهو نبى كريم ، وأبو الأنبياء ، ومع ذلك كان دائمآ يدعو الله ويقول فى دعائه :

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سُورَةِ الشعراء

أى كل الذى أطلبه منك أن تسترنى ، ولا تفضحنى فى يوم الموقف العظيم ، لأن الفضيحه فى هذا اليوم على الملأ ....

أنت ؟ ومن ؟لم يقل ألا أنا وحدى ..!.. ، ولم يقل حتى أولادى ! ، أو أنا وأهل بيتى .! ، بل قال ولا تخزنى – أنا وحدى – يوم يبعثو ن ، يوم لاينفع مال ولابنـون ألا من أتى الله بقلب سليم .... أما الحبيب ....:

فحتى تعرفوا فضل الله علينا به ﷺ ، فقد قال ﷻ له من أول الأمر ، وبدون طلب ، لاتخف على نفسك ، ولا على من معك ...فى الآية ٨٧:٨٩ سُورَةِ الشعراء :

﴿ يوم لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾

والمؤمنون معه ليسوا الذين فى زمنه فقط ، و لكن الذين معه الى قيام الساعة ،

(١) درس بمسجد سيدى خميس بالجميزة غربية – ٢٣ أكتوبر ١٩٨٨.

وكيف حالهم فى هذا اليو م ؟ قال :

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ آية ٨ التحريم

نورهم ﷺ أمامهم ، ونور أعمالهم الصالحة فى أيديهم ، فهو أمـــامهم وهـــو خلفه ، والنور الثانى نور العمل الصالح سيكون فى أيديهم ، فمعهم نوران :

نور رسول الله ، ونور العمل الصالح الذى عملوه لله فى هذه الحياه ، ويظلـــو ن سائرين وهم يطمعون فى أكثر من ذلك ، من فضل الله ﷻ علينا الذى بشرنا به النبى ﷺ والذى منه:

﴿ إذا كان يوم القيامة ، تفسح الأمم لأمتى ، ويقولون لهم تقدموا ، فأنتم الآخرون الأولون . ﴾ (٢)

ثم يتساءلون فيما بينهم أأنبياء هؤلاء؟

لأن الناس لاتفسح إلا للأنبياء ، فالملائكه تأمرهم أن يوسعوا لهـــذه الأمـــه ، و أمامهم إمامهم ﷺ ، ونحن خلفه ، والخلائق ينظرون اليهم حتى يصلون الى العرش ، فنحن أول أناس يصلون عند العرش ، لأننا الحاجزون لهذه المقاعد التى فى منصة عرش الرحمن ، والتى فى ظل العرش ، فقد حجزها رسول الله لنا ، ولايوجد لأحد آخر غيرنا فيها نصيب .

فقسم لمن نشأوا فى طاعه الله ، وقسم لمن يحافظوا على الـــصلاه فى بيـــت الله ، وقسم لمن ينفقوا الصدقات والزكاه فى السر – فلا تعلم شمالهم ما أنفقـــت يمينـــهم –، وقسم لمن خافوا من الله فلو عرض على أحدهم مال أو أمرأه ، قال:أنى أخاف الله .

---

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما .

فالأقسام كلها ، وتذاكر المقاعد كلها محجوزة لأمة رسول الله ﷺ ، والدرجة الأولى الممتازة هناك ، هى التى تحت العرش ، فلا بد أن تفسح الناس للذين سيجلسون على مقاعد الدرجة الأولى ، ويقولون : أأنبياء هؤلاء؟..!!..؟؟ ، ...فيقولون لهم : ... . لا ، ولكنهم أمة محمد ﷺ .

وفور وصولهم هناك ، يكونون أول من يتكلم مع الله ، فيقولون له : نحن لانريد الذى أعطيته لنا هذا فقط ، بل نطمع فيما وعدتنا ! ، .... وما هو؟ ، .... فيقولون :

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ آية ٨ سورة التحريم

فيتمُّ نوره عليهم ، بأن يكشف لهم سبحانه وتعالى عن بديع وجهه ، فيرون وجه الله سبحانه وتعالى ، ومن شاهد وجه الله حرَّمت عليه النار.

فهذا الرجل الذى نحتفل بذكراه :...أليس المفروض علينا أن نعرفه ؟

إذا أرسلك رجلٌ ، لرجل فى القاهرة بطلب .. وأنت لا تعرفه ؛ فتقول له صفه لى ، حتى أذا رأيته أعرفه ، ونحن كلنا يوم القيامة محتاجون له ، فلا يوجد أحد منا إلا ويحتاج إلى رسول الله :

فالذى نال أعلى الدرجات فى الإيمان منَّا ،.... محتاج إلى رسول الله ، والذى درجاته دون ذلك ... يحتاج أيضاً لرسول الله ، حتى الذى سيترل منَّا فى النَّار ، وسيأخذ عقابا يحتاج لرسول الله ...... ، لأنه سيخفّف عنه .... ، ويرفع عنه العقاب ، ويخرجه من هذا السجن ....

فكلنا محتاجون لرسول الله ﷺ ، ونريد أن نعرفه .. ، نعرف صفاته ، ونعرف أوصافه ، حتى إذا ذهبنا هناك .!. لانتوه عنه صلوات الله وسلامه عليه .

ومن الممكن لو أننا وضعنا هذه الصفات فى عقولنا ، وأنشغلنا بها بعض الـــشيء يأتينا فى المنام ، ويعرفنا بنفسه ، حتى نصبح عارفين له مقدماً ، لأنه يقول :

﴿ مَن رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ (٣) ﴾

متى؟ ..... هناك يوم القيامه .!. ، أو ساعة خـــروج الـــروح ..!.. ، فالنـــاس الممتازون يحضر معهم ، ليسهل خروج الروح وينهى أوراقهم بـــسرعة ، ليطلعـــوا الى الجنَّات ، فلا سؤال الملكين ، ولاعذاب القبر ، لمن يحضرهم مولانا رسول الله ﷺ ، لأن لهم إستثناء فورى..........

أوْصَافُ الذَّاتِ المُحَمَّدِيَّة

فنريد أن نتمثَّل وصف رسول الله ﷺ ، وكأنه يعيش بيننا ، فانتبهوا معى لهذا الوصف ، حتى إذا ذهب أحدنا للنوم يستحضر هذا الوصف وهو نائم ، فينام فيجـــد فى أحضانه المصطفى عليه أفضل الصلاه وأتم السلام .

لأن البدايه تأتى من هنا ، أن يشتاق الإنسان ، ويستحضر هذه الذات المحمدية ، ويحاول أن يتعلق بهذه الأوصاف الكاملة المكمَّلة ، فينام وهو متعلّق بهـــا ، فيتعطـــف عليه حبيب الله وصفيُّ الله ، فيأخذ روحه إلى حضرته ويطلعها على جمال طلعته .

هَيْبَتُهُ الرَّبَانِيَّة

مع أن كثيراً من أصحابه صلوات الله وسلامه عليـــه مـــاتوا ولم يـــستطيعوا أن يتطلّعوا في وجهه الشريف ﷺ هيبة منه صلوات الله وسلامه عليه ، وهم الأبطـــال الكبار في مجال الحروب ، والذين كان الواحد منهم يقتل الفرسان بالمئـــات والآلاف ،

---

(٣)فى الصحيحين وأبو داود عن أبي هريرة ، والطبراني عن أبي بكر ، والدرامي عن قتادة رضي الله عنه على روايات .

بينما ياتي امام رسول الله ويضع عينيه في الارض ، و لايستطيع ان ينظر بهما الي وجه رسول الله حياءا منه صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان وجهه يأخذ بالابصار .

ولذلك فإن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه عند موته ، كان يبكي خوفا من لقاء الله ، مع ما قدَّمه من جهاد وفتوحات ، ومن تأييد للدعوة الاسلامية لكنه يخاف لقاء الله ، كما علَّمهم رسول الله

فقال له ابنه : لماذا أنت خائف ؟ ألا يكفيك أنك رأيت رسول صلى الله عليه وسلم ؟ وإبنه صحابي أيضا – سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص – ومِن الذين رأوا رسول الله وصاحبوه ، فقال له :

يا بني لقد عشت ما عشت ، وما استطعت أن أملاء عيني من وجه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حياءا منه ، فقد كان الذي يراه من أول مره يرتعش ويرتعد من هيبته ، ولذلك سيدنا عليّ وهو يصفه قال :

﴿ مَن رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ ﴾ (٤)

أي الذي يراه من أول وهلة يهابه ، ولذلك ذهبت سيدة لتزوره صلوات الله وسلامه عليه وتسأله ، فعندما رأت رسول الله ، وقعت علي الأرض ، وحدثت لها رعدة ، فهدأها ، وقال لها صلى الله عليه وسلم :

﴿ هَوِّني عَلَيكِ ...،... فإنَّما أنَا ابنُ امرَأةٍ مِن قُرَيش ، كَانَت تَأكُلُ القَدِيدَ...... ﴾ (٥)

وكانت هذه الهيبة تعتري حتي صناديد أهل الكفر، فعندما ذهب رجل إلي مكة،

---

(٤) رواه البخارى عن علي رضي الله عنه و كرم الله وجهه .

(٥) رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح علي شرط الشيخان – القديد : اللحم المجفف .

وكان تاجرا ، فأخذ منه أبو جهل تجارته ، ولم يعطه ثمنها ، فذهب للكفار وهم حول الكعبة ، وقال لهم : من الذي يأتيني بحقي من أبي جهل ؟ ، فأرادوا أن يستهزئوا به ، فدلُّوه علي الرسول ﷺ .

فذهب له : وبعد انتهائه من صلاته :قال له : أريد أن تأتي لي بحقّي ، قال له ﷺ : ماذا تريد ؟ ، قال له :

أبو جهل أخذ تجارتي ولم يعطني حقّي ، فقال له ﷺ : تعالَ معي .

وهم يمشون خلفهم لينظروا إلي هذا الموقف ، لأن أبا جهل ألد أعدائه ، وهو الذي يؤلب عليه الأعداء ، فذهب إليه ، ودقّ الباب ، قال : من ؟، قال ﷺ : محمد ، فإذا بأبي جهل يخرج مرتعدا ، ليقول له : ماذا تريد ؟ فقال له ﷺ : .... إعط هذا الرجل حقَّه ، فأجابه علي الفور : انتظر حتي أحضر له حقَّه ، ودخل الدار ، وجاء بحقّه فورا ، فتعجبوا ، وانتظروا حتي مشي رسول الله والرجل الذي معه ، وقالوا لأبي جهل : ما هذا الذي رأيناه منك الآن ؟

ولم يدركوا أو يعرفوا أنها هيبة رسول الله ﷺ التي كساها له الله ، لأنه نبيُّ الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .[٦]

أوصافه الحسيّة

كان رسول الله ﷺ :

✵ ليس بالطويل المفرط في الطول ، ولا بالقصير البيِّن قصره ، بل كان بين الطول والقصر ، فهو وسط في وضعه العادي ، لكن مع هذا كان سيدنا عمر يقول :

---

(٦) اخرجه ابن اسحاق ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، عن عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي .

﴿ ما مشي ﷺ مع قوم طوال إلا كان أطولهم ، مهما كان طولهم ، ولا جلس مع قوم إلا كان أعلاهم كتفاً مهما كان طولهم [٧] ﴾ .

فربُّنا أعلاه لأنه له العلوُّ في الدنيا والآخرة .

جمال وجهه

أما وجهه صلوات الله وسلامه عليه : فكان مستديراً ، وعندما سـألوا سيدنا البراء ﷺ ...: أكان وجهه مثل السيف ؟..،.. قال :

﴿ لا بل مثل القمر ﴾ [٨]

مستديراً ، ولونه أبيض مشرَّبٌ بحمرة (بياض مختلط بحمرة) ، وهذه ألوان أهل الجنَّة ، بياض مختلط بحمرة .

لكن هذا الوجه لرسول الله ﷺ ، كان لايطلُّ علي شئ الا ويظهر فيه نـوره ﷺ ، حتي أن بعض أصحابه كانوا يرون أنفسهم في وجهه كأنه مرآة ، وحين يواجه أحدهم وجه رسول الله ... يري نفسه في وجهه صلوات الله وسلامه عليه ، ولـذلك يقول سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ وأرضاه :

﴿ ما رأيت رسول الله ﷺ مع شمس ولا قمر ، إلا وكان أنور من الشمس وأضوء من القمر .[٩] ﴾

---

(٧) اخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه ، والبيهقي ، وابن عساكر ، عن عائشة رضى الله عنها .

(٨) رواه البخاري .

(٩) رواة ابن الجوزي في الوفا .

أي نوره أشد وألمع من نور الشمس ، ومن ضوء القمر ، وقد قال سيدنا جابر بن سمرة رضي الله عنه :

﴿ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ والقمرُ طالعٌ ، فتارةً أنظرُ إلي وجهِهِ ، ومرةً أنظرُ إلي القمرِ ، فواللهِ إنهُ لأحلَي في عينَيّ من الشمسِ والقمرِ ﴾ (١٠) .

وهذا ليس جمال حسيٌّ ، ولكنه جمل معنوي ، ويكفي أن سيدنا يوسف وقد أعطاه الله جزءاً من جمال رسول الله ، فالنساء عندما رأونه قطعن أيديهن بالسكاكين وهم لا يدرون ، والذي معه من جمال رسول الله يقول فيه رسول ﷺ :

﴿ أعطِيَ يوسفُ شطرَ الحُسنِ ﴾ (١١)

نصفه ...، أي أعطي نصف حسن رسول الله ﷺ ، لان رسول الله ﷺ هو الحسن كله ، والنساء قطعن أيديهن عندما رأينه وهم لا يدرون ، فما بالك بجمال رسول الله نفسه ؟

ولذلك فإن حسان بن ثابت عندما رآه أول مرة وكان شاعرا للرسول قال له :

واجمل منك لم تر قط عيني ... واحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

فهو ﷺ المبرأ من كل عيب في الذوات البشرية ، لانه هو الكامل ، ولا يوجد كامل الا سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .



(١٠) رواه ابن اسحاق .

(١١) رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي يعلي ، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

نُورُ عَيْنَيْهِ

فإذا تطلَّعنا في الوجه بعض الشئ .... نجد أول شئ العين .... :

وعين رسول الله ﷺ :

كانت واسعة ، وكان شديد بياض العين ، شديد سواد الحدقة ، وتوجد بعض العروق الحمراء في عينيه ، والرموش طويلة وكثيفة ، والحاجبان مقوسان كأنهم مرسومان بقدرة ربِّ العالمين ، فكان تقويسهم بطريقة معينة بحيث يكاد يلتقيا عند التقاء العينين ، فيهئ للناظر إليه أنهما يلامس بعضهما بعضا ، بينما هما لايتلامسان ، بل بينهما خط رفيع ، هذه هي العين الظاهرة لرسول الله ﷺ .

وله بعد ذلك عينٌ ليست كأعيننا ، فأعيننا تري ما أمامها فقط ، لكن عينيه هاتين كانت لهما خواصٌ أخري منها :

أنه كما يري من أمامه فانه يري من خلفه ، فعند وقوفه في الصلاة ومع شدة انشغاله بالله ﷻ ، فانه كان يلاحظ من خلفه بعينيه ليوجههم إلي ما ارتكبوه من أخطاء أثناء الصلاة ، وذلك في بداية فرض الصلاة فكان يقول ﷺ : .... يا فلان أنت اخطأت في كذا ، ويا فلان أنت اخطأت في كذا ، والصح كذا ، فيقولون له : كيف رأيتنا ، ونحن خلفك ؟ ..... فيقول لهم ﷺ :

﴿ إنِّي أرَي مِنْ خَلْفِي كَمَا أرَي مِنْ أمَامِي ﴾ [١٢].

وليس هذا فقط ، فعيوننا لا تري إلا في النور ، ولكن عين رسول الله ﷺ تقول فيها السيدة عائشة :

([١٢]) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ، ومسلم له روايه أخري عن أنس ﷺ .

﴿كان يرى في الظلام كما يرى أحدكم في النور التام﴾ [١٣]

فليس عنده ظلام ولا نهار ، بل كله واضح أمام النبي المختار ﷺ .

وهذا إلي جانب أن عينه كانت تري ما في القلوب ، وتعرف ما تخفيه ، وتري الغيوب ، فتري الجنَّة وتصفها ، وهو عند وصفة للجنَّة لا يصفها كما نصفها عما قرأناه ، فقد كان ذات يوم يصف الجنَّة .... ، ولما رأي اندهاش الكلّ وعجبهم من دقة الوصف ..!!.. ، قال لهم موضّحا جليَّة الأمر :

﴿لقد رأيت الجنة في عرض هذا الحائط﴾ [١٤]

أي أنا أصف الجنَّة وهي أمام عيناي ، فعين رسول الله ﷺ تري كل شئ ، لانه قال الله عنه سبحانه وتعالي :

﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه ، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به﴾ [١٥]

فهو يبصر بنور الله سبحانه وتعالي .

بعد هذا في الوجه : كان عريض الفم ، وكانت العرب تفتخر باتساع الفم ، ومعناه أنه رجل فصيح فيتكلم بفصاحة ، وبلاغة ، وطلاقة ..عريض الفم .

وأسنانه الوسطي الأمامية ، بينهما وبين بعضها فتحات ، ونقول عنها ((مفلّج الاسنان)) ، أي بين كل سنة وأخري ... فتحة .

---

(١٣) رواه البيهقي عن عائشة والبخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(١٤)رواه الحكيم الترمذي عن انس ﷺ

(١٥) متفق علي من حديث ابي هريرة ﷺ .

أما أنف رسول الله ﷺ : .... فكان محدبا من أعلي ، لكنـــه لـــيس بالطويل أكثر من اللازم .

والخدين كانا منبسطين (سهل الخدين) ، فليس فيهما ارتفـــاع أو أي شئ مما يعاب ، فهو كامل من كل شئ ....

هذا هو وجه رسول الله ﷺ .

ترياقُ ريقِهِ

أما ريقه ﷺ فهذا شئ غريب ..!!.. ، لا يعلمه إلا الحقُّ سبحانه وتعالي .

وهو عنده سبع سنين أصيب برمد ، فجده عبد المطلب جاء له بعلاج من مكَّة ، فلم ينفع معه هذا العلاج ، فكرر العلاج ولم ينفع كذلك ، وفي النهاية قالوا له :

إن أردت أن يشفي ولدك فإنه يوجد راهب عند عرفات موجود في دير هناك ، وهو متخصص في علاج العيون ، فذهب به جدُّه عبد المطلب ، ونادي عليه من ثلاث إلي أربع مرات فلم يرد الراهب ، فحدث زلزال في الدير ، فخرج الراهب يجري ، و أول ما رأي رسول الله ﷺ ، قال : هذا نبيُّ هذة الأمة ، ولو لم أخرج إليك لانهدم الدير وتهدَّم عليَّ ، فقال له : أنظر إلي عينيه ففيهما رمد ، قال له : علاجه معه !!.، قال له : كيف ؟، قال : خذ من ريقه ، وضع في عينه ... يشفي ، فأخذ من ريقه.، ووضع في عينه ، فشفي بإذن

الله ، وأصبح هذا شأنه بعد ذلك .ﷺ [١٦]

وعندما جاء ليفتح خيبر :

ﷺ وقال لهم :غداً سأعطي الرَّاية لرجل يُحبُّ الله ورسوله ، ويُحبُّه الله ورسوله – ففي الصباح كان كل رجل منهم ، يطمع ان ينال هذا الشرف – فقال ﷺ : أين عليٌّ ؟ ، قالوا : إنَّه أرمد – أي عينيه فيهما رمد – فقال ﷺ : إئتوني به ، فلمَّا جاء ، أعطاه الرَّاية ، فقال : يا رسول الله إنِّي اشتكي عيني ، فقال ﷺ : لابأس عليك . ثُمَّ أخذ من ريقه ، ووضع على عينيه فشفي في الحال ﷺ [١٧].

وليس بعد ساعة ، أو يوم ، أو يومين ، بل في الحال بل فورا ، شفيت بـإذن الله وببركة رسول الله ﷺ .

ﷺ وكانوا يأتون إليه ويقولون له : هذه البئر ماؤها مالحٌ – وقد حدثت هذة الواقعة عشرات المرات – فيقول لهم ﷺ : احضروا لي بعض الماء ، فيتمضمض ببعضه ، ويردُّه في الإناء بعد أن اختلط بريقه ﷺ ، ويقول لهم : ضعوا هذا الماء في البئر ، فيصبح عذباً فراتاً .ﷺ [١٨]

---

(١٦) رواه ابو نعيم ، وابن عساكر ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(١٧) رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد .

(١٨) رواه أحمد وابن ماجه ، والبيهقي ، وأبو نعيم عن وائل بن حجر ، وعن أنس .

وتوجد الآن آبار باليمن ، وآبار بالحجاز ، وآبار بالشام ، كلها عذب ماؤها بريق المصطفي ﷺ ، فعندما يلقون هذا الجزء من الماء يجدون ماء البئر قد صارت عذبة وحلوة من ريق المصطفي صلوات الله وسلامه علية .

وهذه إمراة من الانصار تحكي وتقول :

﴿ ذَهَبْتُ إلي رَسُولَ اللهِ ﷺ أنَا وَأخَوَتِي البَنَاتُ ، وكُنَّ خَمسُ بَنَاتٍ ، فَوَجَدْنَهُ يأكُلُ لَحمَاً ، فَأمسَكَ قِطعَةً وَمَضَغَهَا بِأسنَانِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَأعطَاهَا لِيَ ، وَقَالَ ﷺ : اعطِ لأخَوَاتِكَ كُلَّ وَاحِدَةٍ قِطعَةً ، فَأعطَتهُنَّ ، وَلأنَّ فِيهَا رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدْ قَالَتْ : لَقَدْ مِتنَ جَمِيعاً وَلأفوَاهِهِنَّ رَائِحَةٌ أطيَبُ مِن رِيحِ المِسكِ . ﴾ [19]

فلم يحتاجوا للبان أو معجون أسنان ، حتي ولو أكلوا بصلا أو ثوما ، لأهم أخذوا من معجون الأسنان الرباني .... من ريق المصطفي ﷺ .

وهذا رجل آخر من الأنصار عتبة بن فرقد وكان متزوجا لأربع نسوة ، فقلن :

﴿ كنَّ نأتي بأفضل الطيب ، ونضعه علي عواتقنا ، وعلي ثيابنا حتي تضوع منا رائحه طيبة ، ومع ذلك كان ينتشر منه رائحة أفضل من عطرنا ، مع أنه لا يضع عطرا أبدا ، ومع ذلك فرائحته أفضل من غير شيء ، قلنَّ :.. فلما عجبنا سألناه عن السبب

([19]) رواه الطبراني .

في ذلك ؟ ، فقال : وأنا طفل صغير ، أصبت ببشرات في ظهري كثيرة ، فذهبوا بي إلي رسول الله فكشف جسمي ما عدا عورتي ، وأخذ من ريقه الشريف علي يده الشريفة ، وظل يدلك به ظهري ، وبطني ، فشفيت من هذه البثرات ، ومنذ ذلك اليوم وهذا العطر لا يفارقني ﴾ [٢٠].

وأيضا من بركة ريقه ﷺ :

﴿ أنه كان جالسا في يوم ما يأكل ، وكانت امراة في المدينة مشهورة بسلاطة وبذاءة اللسان.... ، وكانت معروفة في كل المدينة بذلك ... ، فدخلت عليه ، فأعطاها من الطعام الذي أمامه ، فقالت : أريد من فمك ، فأخذ جزءاً من الذي في فمه ، وأعطاه لها ..... فكأنما ألجم لسانها ، وبعد هذا لم تنطق بكلمة خبيثة أبدا .﴾ [٢١]

وهذا بسبب ريق الرسول ﷺ .

وفى غزوة بدر اصيب أحد أصحابة بضربة سيف قطعت ذراعه وصار معلقا علي قطعة جلد صغيرة بعد قطع العظام ، واللحم ولم يبقَ إا قطعة جلد صغيرة فوضع يده علي الأرض وحاول قطعها بقدمية ، حتي لاتمنعه عن الحرب فلم يستطع فذهب إلي رسول الله ﷺ فوضع من ريقة ولحم الذراع في الحال ، والعضلات

---

(٢٠) رواه البخاري في التاريخ ، والطبراني وأبو الحسن ابن الضحاك .– بثرات : دمامل .

(٢١) رواه الطبراني عن ابي أمامة .

عادت ، والعروق عادت ، والعظام عادت ، كما كانت في الحال ، ولم تجرَ له عملية جراحية ، أو بنج ، أو تخدير .... ، فكل هذا أغني عنه ريق رسول الله ﷺ .

وكلكم تعلمون أن الصديق لدغته الحيَّة ، فلم يخرج السمُّ إلا بريق المصطفي ﷺ ، فكان ريق المصطفي ﷺ شفاءاً من كل داء .

وهذا الريق أيضا غذاءٌ وشراب :

﴿ فعندما كانَ طفلٌ تغيبُ أمه .. ، أو تمرضُ .. ، كانوا يذهبُونَ بهِ إلي رسُول الله ﷺ ، فيضعُ لسانَهُ في فمِ الطّفل ليمصَّهُ ، فيشبعُ الطّفلُ طوالَ يومهِ بإذنِ الله ﷻ . ﴾ [٢٢]

﴿ وقد عطشَ سيّدُنا الحسنُ ذاتَ مرّةٍ وهوَ طفلٌ صغيرٌ ، وكانَ في سفرٍ فبحثُوا عن ماءٍ ، فلمْ يجدُوا ، فذهبُوا بهِ إلي رسُول الله ، فأعطاهُ لسانَهُ ومصَّ ريقَهُ فمكثَ ثلاثَ أيامٍ لا يحتاجُ إلي ماءٍ ﴾ [٢٣]

وكان في ريق رسول الله ﷺ له غناء ، ولذلك قال رسول الله ﷺ :

﴿ سؤرُ المؤمنِ شفاءٌ ﴾ [٢٤]

سؤر المؤمن : يعني ما تبقي منه ، فانه يعتبر شفاءاً ... لأنه اختلط بريق المؤمن ، فما بالك بريق رسول الله ﷺ .

---

(٢٢) رواه البيهقى عن محمد بن ثابت .

(٢٣) أخرجه الطبراني ، وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ

(٢٤) رواه الدارقطني عن ابن عباس ﷺ .

صَوْتُهُ النَّدي

ماذا عن صوته ﷺ ؟

صوته لم يكن قوياً ، قالوا : وكان به بحة بسيطة .

وعندما كان يتكلم كان صوته هادئاً لكن به رقة وفيه رحمة ، ومع هذا :

﴿ فقدْ كانَ يَخطُبُ علَى مِنبَرِهِ ، يُسْمِعُ جَمِيعَ سُكَّانَ المدِينَةِ في بُيُوتِهِم بِهذا الصَّوتُ الهَادِئ ، حتَّى العَوَاتِق في خُدُورِهِنَّ ﴾ (٢٥)

كذلك وهو في الحج عنما نزلوا مني ، وقد نصبت الخيام الكثيرة ، لأنـه كـان يحج معه مائة ألف ، وكل جماعة في خيمتهم ....:

﴿ فجلَسَ علَى نَاقَتِهِ يَشْرَحُ لَهُمْ مَناسِكَ الحَجِّ ، فَكُلُّ جمَاعَةٍ وَهُمْ جُلُوس في خَيمَتِهِم ، سَمِعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَشْرَحُ المنَاسِكَ ﴾ (٢٦)

بلا مكبرات للصوت ، أو تسجيلات أو اذاعة أو تليفزيون ، لكن الذي كـان يوصّل هذا الصوت .... هو الذي يقول للشئ كن فيكون .

أُذُنُ الخَيْرِ

أما أذن رسول الله ﷺ فكانت أيضا وسطا ، ولكنه كان يسمع بـه أصوات كل شئ ....!!!... ففي يوم ما كان جالسا مع أصحابه ، فقال لهم :

---

(٢٥) رواه أبو نعيم والبيهقي عن البراء .

(٢٦) رواه ابن سعد وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن معاذ التميمي .

أتسمعون ما اسمع ؟.... قالوا : لا ، ...وماذا تسمع ؟ قال ﷺ :

﴿ أطّت السّماءُ وحقّ لها أن تئطّ - لماذا ؟ ،- قال : مافيها موضعُ شبرٍ إلا وفيه ملَكٌ لله سبحانه وتعالى راكعٌ أو ساجدٌ . ﴾ (٢٧)

وكان جالسا معهم في يوم ما فقال لهم : ...اتسمعون هذة الوجبـــة ؟ ، ...... قالوا : نعم ، ...... فقال ﷺ :

﴿ هذه صخرةٌ ألقيت في جهنّم من سبعين سنةٍ ، والآن استقرّت في قعرها ﴾ (٢٨)

وفي يوم آخر وكان راكبا بغلته ، وفجاءة ارتجفت البغلة ، فقال ﷺ : أيوجد هنا مقابر ؟ ، ..فقال رجل : بلي هنا مقابر فلان وفلان من الكفار ، فقال ﷺ :

﴿ والذي نفسي بيده ، لولا أنكم لا تدفنوا موتاكم لأسمعتكم من عذاب القبر ما أسمعُ ﴾ (٢٩)

أي انه سمع عذاب القبر الذي يتعذبون به .

فأذن رسول الله ﷺ تسمع ملائكة السموات ، وانتم تعلمون انه كان يأتيه الوحي فيسمع ، ومن حوله لايسمعون ، فأذنه تـــسمع الملائكـــة ..!.، وتـــسمع تسبيح كل شئ .!. ، وتسمع جميع اللغات .!. ، لغة الطيور .!. ، ولغة الحيوانات .!. ، ولغة الحشرات .!. ، ولغة الجن .!. ، وكل اللغات تسمعها أذن رسول الله ﷺ .

---

(٢٧) رواه أبو نعيم عن حكيم بن حزم والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر ﷺ – أطت : أي اخرجت صوتا ضخما
(٢٨) رواه مسلم عن ابي هريرة ﷺ.
(٢٩) رواه مسلم عن زيد بن ثابت ﷺ .

ناصية المباركة

أما شعر رسول الله ﷺ فأيضا كان وسطا ، فليس ناعما جدا ، وليس خشنا جعدا ، لم يبيض من شعرة طوال عمرة إلا سبعة عشر ة شعرة .

ويروي أن سيدنا خالد بن الوليد كان في إحدي المعارك مع الروم (يـــوم اليرموك) ، وعلي راسة عمامة ، وأثناء المعركة سقطت العمامة وسط جيوش الاعداء ، فأمسك السيف وحارب بتهور ، كالذي يريد أن يقتل نفسه إلي أن التقط العمامة مرة اخري .... فقالوا له :

لماذا تفعل هذا والله ﷻ يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١٩٥ البقرة) ، لماذا تلقي بنفسك الي التهلكة بهذة الصورة ؟

فقال لهم : أتعرفون لماذا كنت أحارب ؟ ... ، .... قالوا : لا ؟ ... قال : ليس من اجل العمامة ...:

﴿ ولكن هذه العمامة بها خصلة من شعر ناصية رسول الله ﷺ وأعتقد أنهن سبب نصري في كل معركة أدخلها ، فخشيت بفقدهن ألا يحالفني النصر بعد ذلك أبدا ﴾ [٣٠]

فشعر رسول الله ﷺ ليس كالشعر العادي ، لانه كان سببا للنصر في المعارك الحربية التي قادها أصحاب رسول الله ﷺ .



(٣٠) أخرجه سعيد بن منصور ، وابن سعد وأبو يعلي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن خالد.

هيكله الشريف صلوات ربي وسلامه عليه

نأتي بعد هذا لجسم رسول الله ﷺ :

❋ فكان عريض الصدر ، مستوي البطن ، ليس به سمنة .

❋ وعظام الساعد منه مثل عظام الأسد ، متينة جدا وقوية جـدا : فهـذا ذراع رسول الله ﷺ .

❋ أما كفُّه فكانت عريضة وخشنة ، وكذلك كانت أصابعه ليست طويلة ، ولكن كانت عريضة قوية ، ومع ذلك فان سيدنا أنس يقول :

﴿ مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ ﴾ (٣١)

ﷺ ، وهذا الكفُّ كان له أمور غريبة جدا :

﴿ اذا وَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ أي شَخْصٍ يَظَلُّ العِطْرُ في رَأْسِهِ ثَلاثَةَ أيامٍ ﴾ (٣٢)

❋ ليس هذا فقط ، ... بل إن الجزء الذي لمستة أصابع رسول الله ﷺ يحفظ صبغتة الشعرية :

﴿ فالشعر كله يشيب ما عدا موضع أصابع رسول الله ﷺ تكون واضحة ، وكان الناس بعد انتقال رسول الله ﷺ يبحثون عن الذي وضع رسول الله يده علي رأسه ، وإذا أصاب بهيمة أو إنساناً ألم أو ما

---

(٣١) رواه الإمام أحمد والشيخان عن أنس – الديباج : القطيفة أو الحرير الثقيل – و إكمال الحديث للفائدة (وَلا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) .

(٣٢) رواه الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر .

شابهه ، يضعون يداً مكان موضع يد رسول الله ﷺ ، لأي شخص وتوضع هذه اليد على مكان الألام فيشفي بإذن الله ﴾ (۳۳)

وهذه ليست يد رسول الله ﷺ ، لكنه مكان كفِّ رسول الله ﷺ بعد عشرات السنين ، وهذا الأمر كان حي وهو طفل صغير عند السيدة حليمة ، فقد عرفه من حوله ، فاذا كان عند أحدهم مريضا فانهم يقولون :

﴿ احضروا ابن حليمة الصغير ، فيضع يده عليه فيشفي بإذن الله ﴾

وهذه الكفُّ كان لها دور كبير في الحروب ، وخاصة عند نفاذ المـــاء ، فقد كانوا يذهبون إليه ويقولولن ..:.. نفذ الماء يا رسول الله ..!!..فيقول ﷺ ..:

﴿ ألا يُوجَدُ ولو قدرَ كفٍّ مِنَ المَاءِ ؟ ، فَيَقُولُونَ: بَلَى ، لايُوجَدُ إلا قَدْرُ مَا يَرْوِي شَخصاً وَاحِداً ، فَيَقُولُ ﷺ : إئتوني بِهِ فَيَضَعُ ، يَدَهُ فِيهِ ، فَيَجِدُونَ الأَصَابِعَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ صَنَابِيرَ مِيَاهٍ ، فَيَأْتِي الجَيْشُ كُلُّهُ لِيَشْرَبَ ، وَيَمْلَئُونَ القِرَبَ وَيَسْقُونَ الحَيَوَانَاتِ ، وَلا يَنتَهِي المَاءُ ﴾ (٣٤).

ولم يحدث هذا مرة بل عشرات المرات ، وكلهم يشرب من أصابع رسول ﷺ، وماذا في هذه الاصابع ؟ .....!!!.... ليس فيها إلا لحم ، ودم ، وأعصاب ، ..... فمن أين جاءت المياه ؟ ......!!!.... لكنها أصابع رسول الله ﷺ في كف الكرم والجود . هذه الكف التي لم تمتد الا بعطاء الله ، وفضل الله ، وبكرم الله ، إلي عباد الله .

يمناك تهمي بالعطا وتجود وسما بنسبته إليك الجود

---

(۳۳) رواه أحمد والبخاري في التاريخ وأبو يعلي عن حنظلة بن جذيم .

(٣٤) رواه البخاري عن البراء ومسلم عن سلمة بن الأكوع ، والبيهقي عن عروة ، وأبو نعيم عن ابن عباس وأحمد والطبراني .

ولذلك هنيئا للذي سلَّم علي هذه الكف ، فالذي يسلّم علي هذه الكفَّ نـــال السعادة والحسني وزيادة .

✵ وهذا الكلام ليس لمن كانوا معه فقط ، لكنه لنا نحن أيضا ، فالشيخ أحمد الرفاعي ﷺ وأرضاه كان رجلا فقيرا ، ولم يجد ما يحج به ، وكان كلما ذهب أحـــد الي الحج يقول له : بلغ سلامي لرسول الله ﷺ وقل له :... أحمد الرفـــاعي يـــسلم عليك ، ولا يستطيع الحضور لفقره ، فتقبل منه السلام ، فلما أكرمه الله بالحج ، وقف أمام الروضة الشريفه .... وقال :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   نقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

رأو رسول الله ﷺ يمد يمينه من الروضة الشريفة له ، فسلَّم عليه وقبَّلها ومن حوله ينظرونه .

من الذي يسلم علي كف رسول الله ﷺ ؟ – ولله المثل الأعلي ... من الذي يسلم علي رئيس الجمهورية ؟ الذي ينال وساما او مكافأه كبيره أو هديـــة عظيمـــة ، كذلك فالذي يسلّم علي رسول الله ﷺ المحبُّون والعاشقون الذين هـــاموا في ســـيِّد المرسلين والذين أخلصوا في الدنيا وفي الدين .

فالذي يسلّم علي رسول الله ، ولو في المنام ، لا بد وأن يأخذ بيده يوم الزحـــام حتي يدخله الجنة بسلام ، هذا وعدٌ من رسول الله ﷺ لكل من سلَّم علي يديه هنـــا يأخذ بيده حتي يدخله جنَّة المأوي ، ويقول له :

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سُورَةُ الحجر

فهذه كفُّ رسول الله ﷺ .

لِسَانُ الرَّبَّانِيَّة

أما لغته ﷺ فهي العربية الفصحي حتي انه سئل عن سر فصاحته :

﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ أَفْصَحُنَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ؟ قَالَ: كَانَتْ لُغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرَسَتْ ، فَجَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفِظْتُهَا – أى اللغة العربية – وفى رواية : فَأَتَانِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفَّظَنِيهَا ﴾ (٣٥)

✳ وكان بالإضافة إلي ذلك يكلّم العرب بلغتهم ولهجاهم حتي قال له سيدنا أبو بكر : يارسول الله قد عاشرت العرب ، وعاشرت الروم ، وعاشرت الفرس فلم اري افصح منك فمن علمك ؟ فقال ﷺ :

﴿ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ﴾ .(سبق تخريجه)

✳ ولم يكن ﷺ يعرف العربية فقط ، بل كان يعلم لغات الأمم المجاورة ، ولذلك فعندما جاءه وفد فارس وأحضر رجلٌ من اليهود ليترجم بينهم ، لاحظ ﷺ أن هذا الرجل اليهودي يلحن في قوله ، ويغير مقاصد الكلام ، فلفت نظره إلي ذلك وصحَّح خطأه للوفد ، ثم طلب من زيد بن حارثه أن يتعلم الفارسية ، وقال في ذلك :

﴿ مَنْ تَعَلَّمَ لُغَةَ قَوْمٍ أَمِنَ مَكْرَهُمْ ﴾ (٣٦)

✳ وكذلك كان يعرف لغة الطير ، ولغة الحيوانات ، ولغة الملائكة ، و لغة الجنّ ، ولغة جميع الآدميين ، ومن أجل هذا .... كانت الطيور تأتي وتشتكي له ، والحيوانات تأتي لتشتكي له ، ... لماذا ؟........لأنه يعرف لغاهم ....!!!!........

---

(٣٥) أخرجه أبن منده ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن بريده عن عمر بن الخطاب ﷺ .

(٣٦) رواه ابو نعيم في الحلية والحاكم عن انس بلفظ (من تكلم بالفارسية زادت في حبه ونقصت من مرؤته

فبينما هو جالس مع أصحابه إذا بطائر جاء من السماء ، ووضع منقاره عند إذن رسول الله ﷺ ... فقال :

﴿ مَنْ فَجَّعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا، قَالَ أَحَدُ الحَاضِرِينَ : أَنَا يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ ﷺ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ﴾ .[٣٧]

وهذا يدل علي معرفته لغتها ، وأيضا بينما هو جالس .....:

﴿ إذا بجمل يجري مسرعا متجها نحوه ، حتي وقف عند رأسه ﷺ ووضع فمه علي إذنه ، والرغاء ينزل علي رقبته ، وإذا بنفر يجرون خلفه ويقولون : يارسول الله هذا جملنا ، قال لهم : أعَرفُ إنَّهُ جاءَ ليَشتكِيَ مِنكُمْ ، فقالوا : مَاذا يقول ؟ ، قال ﷺ : يقول إنكم رَبيتُمُوه وهوَ صغيرٌ إلي أن كبُرَ ، ولما كبُرَ استَسْنَتُمُوه وجَعلتُموهُ فحلا ، فأخرَجَ لكم إبلاً كثيرَةً ، وكنتُم تركبونَهُ إلي مَواطِن الدِّفءِ في الشتاءِ وإلي أماكن الرَّخاوةِ في الصَّيف ، فلمَّا كبُر وهَزُلَ لحمُهُ .. أردتم ذبحهُ ، . قالوا : لقد صدق فيما قال يارسول الله ، ثم قالوا لن نذبحه يا رسول الله ، قال : لا ، بلْ أشتَريهُ مِنكم ، فقالوا : بل نهبه لك يارسول الله ، قال : لا ، لابدَّ مِنْ دفعِ الثَّمن ، فأعطاهم مائة دينار ، فقالوا : رضينا يارسول الله ، فأخذوا المائة دينار وتركوا الجمل ، فقال ﷺ للجمل : أنتَ حُرٌ لوجهِ

[٣٧] عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه ، فى مسند الإمام أحمد و سنن أبي داوود و مسند الطيالسى و غيرها .

الله تعالي ، قالوا : فرفع الجمل رأسه وأخذ يرغي وكأنه رجل يتكلم ، والرسول يقول آمين ثلاث مرات ، وبعد ذلك وضع فمه علي خد رسول الله ﷺ كالذي يقبّله ثم أخذ طريقه في الصحراء ، ومشي ، فسألوه : ماذا قال يا رسول الله ؟ ولم سمعناك تقول (آمين) ثلاث مرات ؟، فقال ﷺ : لقد أراد أن يكافئني ؛ فدعا لي بثلاث دعوات ، في المرّة الأولي قال : (سكّن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكّنت رعبي) ، فقلت : آمين ،وفي المرّة الثانية قال : . نصرك الله وأمتك علي عدوك وعدوهم) ، فقلت : آمين ، وفي المرّة الثالثة – وكان الرسول بكي عندها – قال : (لا جعل الله بأسهم بينهم) ، فقلت : أمين ، قالوا ولما بكيت يا رسول الله ؟ قال : لأن هذه الدعوات كنت سالت ربي فيهن ، فأجابني في اثنتين ، ولم يجبني في الثالثة ﴾[38]

فالجمل يشتكي لرسول الله ﷺ ، و الطيور تشتكى لرسول الله ، و الحيوانات كانت تشتكى لرسول الله ﷺ ، وكانت تبشر به ، فعندما ظهرت الرسالة كان رجل من الكفار يرعي الغنم :

﴿ فجاء ذئب وعدا علي واحدة من الغنم ، فجري إليه ليقتله ،

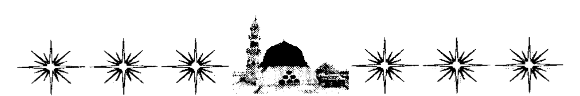
(٣٨) رواه ابن ماجه عن أبي أمامه ﷺ ، والمنهاج مختصر شعب الإيمان للحليمى .

فقال الذئب : أتمنعني رزقي ؟ ، فتعجب الرجل وقال : أذئب يتكلم ؟ فقال الذئب أتعجب من هذا ؟ ، بل الأعجب من ذلك أن محمد ﷺ خلف هذه الحرة (يقصد المدينة) يدعوا الناس إلي الله وأنت لا تدري ، قال : وأنا أريد أن أذهب إليه ؟ لكن من يحرس لي غنمي ؟ قال له الذئب : أنا .﴾ [٣٩]

فالذئب يحرس الغنم حتي يؤمن الرجل بالله ..!!.. ، أي أنه يريد أن يـدعوه إلي الله ..!!.. ، فاين نذهب نحن ؟ لتعرفوا فضل الدعوه إلي الله ...!!...

﴿ فذهب الرجل إلي رسول الله وآمن ، وحكي له ما حدث – وكان شاكا في كلام الذئب وغير واثق به – فقال له الرسول : لا تخف ، فلن يفعل الذئب بهم سوءا ، فذهب بالفعل ، ووجد الذئب حارساً للغنم ، فذبح الرجل له نعجة ، وقال له : هذه هدية لك لأنك حرست الغنم حتي رجعت ﴾

فحتي الحيوانات تعرف رسالة رسول الله ، وكانت تشتكي إليه وكانت تتوسـل به ، وكانت تدعو إليه صلوات الله وسلامه عليه .



[٣٩] رواه أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

طيب عرقه ﷺ

أما عرقه ﷺ ، فحدِّث عن طيبه ولا حرج :

فقد كان ينام ظهرا (يقيل) عند السيده أم سليم (أم سيدنا أنس بن مالك) وكان كثير العرق ﷺ ، فكانت تحضر مناديلا وتجمع العرق في المناديل ، وتعصره في زجاجة حتي تمتلئ الزجاجة ، وتأتيها النساء المسلمات فتأخذ كل واحدة منهن قطرة من عرقه .....:

﴿ فاستيقظ رسول الله ﷺ في يوم وهي تنشف بالمنديل ، فقال : ماهذا يا أم سليم ؟ ، فقالت : يا رسول الله نساء الأنصار جئن بالمناديل يطلبن عرقك ، فقال لها : سليهن ماذا يصنعن به ؟ ، فسألتهن .. فقلن : نصلح به طيبنا ﴾ .[40]

أي نضع منه علي طيبنا ، فيصبح من أصلح الطِّيب .

ولم يكن ذلك فقط ، بل كان ﷺ إذا سلَّم علي أحد تظل رائحته الشريفة في يده دهرا ، وذلك لأن رائحته ﷺ رائحة خاصة غير كل الروائح التي تصنع في أمريكا أو باريس أو غير ذلك ، وانما صنعت في الجنَّة ، في جنَّة الخلد ...... ونحن سنكون كذلك ان شاء الله ، فنحن بعدما ندخل الجنَّة ، والجنَّة ليس بها دورات مياه ولا فيها بول ولا غائط ، فكيف تخرج فضلات اللأكل ؟ قال ﷺ في ذلك :

﴿ ستخرج علي هيئة عرق رائحته كرائحة المسك ﴾ [41]

([40]) رواه مسلم عن أنس ﷺ .
([41]) رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذي عن عمر بن الخطاب

وهذا ما سيحدث لنا جميعا في الجنَّة ، لكن هذه الخاصية كانت لرسول الله ﷺ خاصة في الدنيا ، فكان عرقه أطيب من رائحه المسك ، لذلك ....:

{كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَي أَحَدٍ مِنْهُم تَظَلُّ الرَّائِحَةُ فِي يَدِهِ أُسْبُوعَا ، بَلْ إِنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا سَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، يَتَعَرَّفُ عَلَي مَكَانِهِ مِنْ رَائِحَتِهِ ، فَحَيْثُ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، كَانَتْ الرَّائِحَةُ تَمْلأُ الطَّرِيقَ ، فَيَذْهَبُ إِلَيْهِ ﷺ} [٤٢]

وفي الحقيقه يا إخواني .... :

أوصاف رسول الله ﷺ الحسية ، والمعنوية ، لا يستطيع أحد أن ينعتها ، ... أو يصفها علي حقيقتها .....حتي أن رجلا من كبار التابعين ، ورسول الله قد بشر بـه وقال لهم في شأنه :

{يَأْتِيكُمْ مِنْ بَعْدِي خَيْرُ التَّابِعِينَ أُوَيْسُ القَرَنِي ، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِ ، مَنَعَهُ مِنَ المَجِيءِ إِلَيَّ بِرُّهُ بِأُمِّهِ - فكان كلما يقول لها أذهب إلي رسول الله ﷺ تقول له : لمن تتركني وأنا وحيدة ، وليس لي غيرك ، فيسلّم أمره الي الله ويبعث السلام لرسول الله ﷺ ، فرسول الله قال عنه خير التابعين - فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ ، فَبَلِّغُوهُ سَلامِي وَسَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكُمْ ، فَإِنَّهُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، وَيَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ} [٤٣]

---

(٤٢) أخرجه البزار وأبو يعلي عن أنس ﷺ .
(٤٣) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله ابن ابي الجدعا ﷺ .

وكانا أكبر قبليتين في الجزيرة العربية ، فسيدنا عمر كان في كل سنة ينـــادي في موسم الحج : يا أهل اليمن أيوجد بينكم أويس ؟ يقولون : لا ! ، إلي أن جاء في عام ، وقالوا : يوجد معنا راعي غنم أسمه أويس ، فلم يعرِّفهم أنه يقصده ، وذهب إليه ومعه سيدنا علي ، فسلما عليه وبلغَّاه سلام رسول الله ﷺ ، وقالا له :... أدع لنا ... ، قال لهم : .... هل رأيتم رسول الله ﷺ ؟ ..!!.. ، قالوا : نعم ، قال لهـــم : ..... ما وصفه ؟ ، فوصفوه له الأوصاف التي سمعناها الان ..!!.. ، فقال لهم :.......

إنكم لم تروه علي حقيقته ،..!!..

فاحتاروا ..!!.. ، حتي أن سيدنا عمر سأل كبار الصحابة عن هـــذا الأمـــر ، فتنبَّهت السيده عائشة ....،.... وقالت :

﴿ لَقَدْ رَأَيْتُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَقَدْ كُنْتُ يَوْمًا أَخِيطُ ثَوْبًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَانْطَفَأَ الْمِصْبَاحُ ، وَوَقَعَتْ الإِبْرَةُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ فَخَرَجَ نُورٌ مِنْ وَجْهِهِ أَضَاءَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَي الأَرْضِ ، رَأَيْتُ عَلَي ضَوْئِهِ الإِبْرَةَ ، وَوَضَعْتُ فِيهَا الْخَيْطَ ﴾ (٤٤)

فقد رأت رضي الله عنها ، قبساً من النور الذي أودعه الله سبحانه و تعالى هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلي آله وصحبه وسلم .



(٤٤) رواه النيسابوري في شرف المصطفي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها وابن عساكر بزياده : ((فأخبرته فقال : يا حميراء الويل ثم الويل لمن حرم النظر الي وجهي)) .

الباب الثامن

الرَّحْمَةُ العُظْمَى لِجَمِيعِ العَالَم

- النُّبُوَّةُ و الرِّسَالَةُ و الخُصُوصِيَّةُ المُحَمَّدِية
- التكليف بالنُّبُوَّة - وَظَائِفُ النُّبُوَّة
- مَقَام الشَّاهد :

١ : شهود الجمَال والكمَال * توحيد الشهود

٢ : شاهداً لأحوال الآخرة ٣ : عَرضُ الأعمَال عليه

٤ : شهودُ خصَائص الأشياء

- مَقَامُ البِشَارة والإنْذَار
- مَقَامُ الدَّعْوة إلى الكمالات الإلهيَّة
- مَقَامُ السِّـراج المُنِير
- مَقَامُ الفَضْـل الكبير - مَهَامُ الرِّسَالة
- الرَّحمَة العُظْمي لجمِيع العَالم
- النِّعْمَـةُ الكُبْـرى - شُكْرُ النِّعْمَة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا
وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ
وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا

الآية ٤٥-٤٧ سُورَة الأحزاب

الرحمة العظمى لجميع العالم

النبوة و الرسالة والخصوصية المحمدية [1]

عندما يشكل رئيس الجمهورية وزارة جديدة ، يصدر لها خطاب تكليف :يبين لها المهام المنوطة بها ، والأعمال المكلفة بها في فترتها المقبلة .

ولله المثل الأعلى ، فتجد الحقَّ سبحانه وتعالي كلفَ كل رسول برسالة محددة وخطاب تكليف بيّن له فيه مهامه التي كلَّفه بها ، فمثلا سيدنا شعيب كان تكليفه بأمرين أثنين بعد التوحيد ، وضَّحهما في خطابه لقومه مبيِّنا مهمته بينهم ، حيث قال :

﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ سورة الشعراء

ومهمة سيدنا لوط كانت أخلاقية كلُّها ، بيّنها في قوله لقومه:

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ الشعراء

أما مهمة سيدنا موسى فكانت رفع الظلم عن بني إسرائيل ، استجابة لتكليف الله عز وجل له بذلك ، حيث يقول له :

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الشعراء

---

[1] راجع تناولنا لهذا الموضوع من الزاوية العامة بالباب الثالث ، تحت مبحث " النبوة و الرسالة " في لقاء آخر.

وهكذا بقية الأنبياء .

لكن مهمة سيدنا محمد ﷺ ، تشعبت إلى ناحيتين : الرســالة ، و النبــوة ، فهناك مهمة كلف بها في منصب الرسالة ، وأخري كلف بها في منصب النُّبوَّة .

لماذا ؟....: لأن سيدنا محمد ﷺ اختلف عن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامة علية أجمعين ، من حيث أن كل نبي ورسول كانت له فترة محــدودة ، وزمــان معلوم ، و أرسله الله إلى قومه فقط ، لكن سيدنا رسول الله ﷺ له رسالتان :

رسالة عامة الي جميع الخلق ، وهذه من وظائف النبوة ، فهو ﷺ ليس نبيُّنــا فقط ، و إنما نبي لآدم و أمته ، ونبي لنوح وقومه ، ونبي لعيسي ومن معه ، وكذلك نبي لجميع الأنبياء والمرسلين وأممهم .

فوظيفة النبوة مهيمنة علي جميع مقامات الأنبيــاء ..... تغــذيها ، وتربيهــا ، وتواليها ، وتمدها بمدد النبوة من سيد الأنبياء ﷺ ، ..... فهي وظيفة شــاملة مــن البدء إلى الختام ، أما وظيفة الرسالة فهي لنا معشر أمته خاصة .

فالأنبياء السابقون الذين أشار إلى جملتهم في حديث أبي ذر حين سأله قائلا : كم عدد الانبياء والمرسلين يا رسول الله ﷺ ؟..، فقال ﷺ :

﴿ مِائَةُ أَلفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلفٍ نَبِيٌّ ﴾

فقال أبو ذر : كم عدد المرسلين منهم ؟ ..، فقال ﷺ :

﴿ ثَلاثُمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَةَ رَسُولٍ ﴾

هؤلاء جميعا كانوا نوابا عن حضرته ﷺ في أممهم قبل بعثة ﷺ ، وكذلك العلماء أهل الخشية ورثته في أمتة بعد بعثته ﷺ ، ولذلك يقول فيهم ﷺ :

ﷺ علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ﷺ ، (سبق تخريجه) .

لكنه وحده نبيُّ السابقين ، ورسول اللاحقين ، والمرسل للخلق أجمعين ، فهو نبيُّ الإنس ، ونبِّي الجنِّ ، ونبيُّ الملائكة ، ونبيُّ جميع الكائنات ، فهو وحدة صاحب النبـــوَّة الجامعة الكاملة .

وقد شرَّف الله ﷻ بعض الأفراد ، فنابوا عنه في تبليغ الرسالة قبـــل بعثتـــه ، وزاد في تشريفهم ، فنسب رسالتهم إليهم ، وخصَّ قوما فحفظ فيهم مقام التبليغ عنـــه ﷺ ، في أمته لأنه لا نبيَّ بعده ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

الرسل من قبل الحبيب محمد نوَّابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمد وبفضله فازوا بكل مراد
وبمحكم القرآن عاهدهم له أن يؤمنوا بسراجه الوقاد

وهكذا فرسول الله ﷺ : ...... هو وحده الذي يظهر عنده واضحا تماما ، الفرق بين مقام النبوَّة ومقام الرسالة : ... حيث أن نبوَّته قبل خلق الخلق ، أمَّا رسالته فمنذ نزول الوحي عليه ﷺ .

التكليف بالنُّبوَّة

متى كان التكليف من الله ﷻ لحبيبه ومصطفاة بالنبوَّة ؟

سأل سيدنا ميسرة رسول الله ﷺ هذا السؤال...، فقال : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟...، فقال ﷺ :

﴿ وآدم بين الروح والجسد ﴾ (٢)

وهل هناك شئ لا هو روح ولا هو جسد ؟ ، ..لا .. ، لأن أي كائن لا يخلو أن يكون روحا ، أو أن يكون جسدا ، أما الذي لا يكون روحا ولا جسدا فهو لاشـــيء وهذا يعني انه يريد أن يقول أنه كان نبيا قبل خلق آدم ، وقد وضح ذلـــك الحـــديث الأخر الذي يرويه سيدنا العرباض ابن سارية عن رسول الله ﷺ حيث يقول :-

﴿ إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ،
وإن آدم لمنجدل في طينته (٣) ﴾

وذلك لانه أصل النبيين والمرسلين ، وسر أنوارهم ،

فخطاب التكليف له بالنبوّة .... ، ....هو قول الله تعالي:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الاحزاب

أما خطاب التكليف بالرسالة ، ..... فقد جاء في قول الله تعالي:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا

---

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم عن ابن عباس ، وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن ميسرة الفجر .

(٣) أخرجه الحاكم والبيهقي واحمد عن العرباض بن سارية .

لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ سُورَة البقرة.

فلو نظرنا لخطابات التكليف الموجهة للأنبياء السابقين ، نجد أن الله عز وجل لم يفتتح أيا منها بالنبوة وإنما خاطب الانبياء فيها باسمائهم :

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾
الآية ٧٦ سُورَة هود

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ سُورَة النمل

﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾
الآية ١١٦ سُورَة المائدة

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾
الآية ٢٦ سُورَة ص ،

ولكن عند خطاب زعيمهم وإمامهم صلوات الله وسلامة عليه ، افتتحه بالتعظيم في قوله عز وجل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ) .

وكلمة (إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ) تفيد معاني كثيرة ، غير ما تفيده عبارة (كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ) ....: ....فهي تدل علي أنه أرسل للإنس والجنّ ، والملائكة ، وحملة العرش ، والكروبيين ، والروحانيين ، بل وجميع مخلوقات الله عز وجل المكلفة ، فقد أرسل صلوات الله وسلامة علية للجميع .

ولذا فقد سمعت من رجل من الصالحين أنه صلوات الله وسلامه عليه عند عروجه الي الملاء الأعلي مر علي رجل في كوكب الثريا ، يبشر قومة ببعثة رسول الله ، وإذا برسول الله ﷺ يدخل عليهم ...، ...فقال الرجل عندما رآه : هاهو محمد ﷺ قد دخل عليكم .

وهذة الرواية إن صحت ، تدل علي أن التبشير برسالتة ﷺ لم يكن في عالم الأرض فقط بل في العوالم العلوية أيضا .

ومما يؤكد معرفة الملائكة به قبل بعثته : ... ما ورد أن جبريل عليه السلام عندما نزل لإبراهيم عليه السلام لتنفيذ أمر الله في إبنه إسماعيل وأمه .... :

أركبه البراق وركب إبنه أمامه ، وزوجته خلفه ،ومشي سيدنا جبريل وهو ممسك بلجام البراق ، وكلما رأي سيدنا ابراهيم أرضا بها ماء وخضرة ، يقول له : أنتزل ها هنا يا جبريل ؟ فيقول : لا ، حتي تأتي مكة ، فلما وصل إلي مكة ، قال له : إنزل ها هنا ، فقال إبراهيم : أنتزل ها هنا يا جبريل ، ولا زرع ولا ماء ؟ ، فقال جبريل : لابد لك من النزول هنا ، لان هنا سيولد النبي الذي يخرج من ولدك هذا ، والذي يتم الله به الأمر .

وَظَائِفُ النُّبُوَّة

فوظائف النبوة التي شملتها الآية الكريمة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الأحزاب

وهي خمس وظائف :

١. أنه ﷺ : " شاهداً ".

٢. أنه ﷺ : " مبشرا ونذيراً ".

٣. أنه ﷺ : " داعياً الي الله ﷻ بإذنه ".

٤. أنه ﷺ : " سراجاً منيراً ".

٥. أنه ﷺ : "يبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ".

هذه الوظائف الخمسة كُلِّف بها رسول الله ﷺ من قِبَل الحقِّ للقيام بها ، لجميع طوائف الخلق من قبل آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

مَقَامُ الشَّاهِد

وهذا المقام له اختصاصات واسعة جدا .... ، .... سنقصر حديثنا علي أربعة منها فقط طلبا للإيجاز .... :

أولا : شاهداً لكمالات الله ، وجمالات الله ، وغيوب حضرة الذات .

ثانيا : شاهداً لأحوال الآخرة .

ثالثا : شاهداً في الآخرة علي أعمال المؤمنين في الدنيا .

رابعا : شاهداً لخصائص الاشياء .

.... وبعد ذلك فهو شاهد علي أسرار اللوح المحفوظ ، وشاهد علي نعيم الجنَّات ، وشاهد علي الدرجات ، وشاهد علي تصريف القلم ، وشاهد علي مرموزات العرش ، وشاهد علي خفايا الكرسي ، وشاهد علي كل شئ يجريه الحق سبحانه وتعالي

في ملكه وملكوته ، ليخبر أمته عن هذه الأمور ، وذلك من باب قول الله ﷻ :

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ سورة الجن.

وسنوجز الحديث عن الكمالات التي أشرنا إليها ، فنقول :

أولا :* شهود الجمال والكمال

فهو شاهد لجمالات الله ، وكمالات الله ، لأنه لم يطلع علي هذا الجمال أحد سواه ، لا من الأنبياء السابقين ولا من الأولياء اللاحقين ، فهو مقام خاص به ﷺ .

لأن موسي خص بالكلام ،وإبراهيم خص بالخلّة ، وعيسي بالروح ، وهو ﷺ بالرؤية :

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة التكوير

وكان ذلك في مقام أو أدني ، ولم يصل أحد إلي مقام ﴿ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ ... سواه وكانت الرؤية كما يقول العارف بالله تعالي الشيخ محمد علي سلامة في كتابة ((الاسراء معجزة خالدة)) ص٢٣ :

{{ رؤية من غير تكييف ، ولا تشبيه ولا زمان ، ولا مكان ، ولا كم ، ولا انكسار آشعة ، ولا غير ذلك مما يتوهمه الواهمون ، تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا ، فقد رآه ﷺ كشفا وعيانا من غير مسافة ولا حجاب ، ومن غير إحاطة ولا شمول }}.

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

قد جاوز الملكوت مرتقيا إلي   قدس النزاهة راقياً أعلي مقام
شاهدت ربك بالنزاهة جل عن   كمٍّ وكيف عن حدود وانقسام

وقد أورد الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في كتابه ((شـــجرة الكـــون)) ص٢٥ ، تحت عنوان :

{{ المقام الذي خُصَّ به ﷺ وهو مقام رؤية المعبود جلَّ وعلا ، وهو مقام قوسين أو أدني }}

وهو كلام أهل الاشارة بلسان الحال ، لأنه مستمد من عالم المثال في حالة الغيبة عن الهياكل والظلال :

{{ لمَّا كان ثمرة الكون ، ودرة صدفة الوجود وسره ،ومعني كلمة كن ، ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها و إنما كانت مرادة لثمرتها ، فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها واستجلاء زهرتها ، فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ، وزفها إلي حضرة قربه ، والطواف بها علي ندمان حضرته ، قيل له يا يتيم أبي طالب : قم فإن لك طالب قد ادخر لك مطالب ، فارسل اليه أخص خدام الملك ، فلما ورد عليه قادما وافاه علي فراشه نائما ، فقال له يا جبريل إلي اين ؟ ، فقال : يا محمد ارتفع الأين من البين ، فإني لا أعرف في هذه النوبة أين ؟ ، لكني رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم ، وما نتنزل الا بأمر ربك ، فقال يا جبريل : فما الذي يراد مني ؟

قال : أنت مراد الإرادة ، مقصود المشيئة ، فالكل مراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، وأنت مختار الكون ، أنت صفوة كأس الحب ، أنت درة هذه الصدفة ، أنت ثمرة هذه الشجرة ، أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف ، ما مهدت الدار إلا لرفعة محلك ، ما هيئ هذا الجمال إلا لوصلك ، ما روق كاس المحبة الا لشربك ، قم فان الموائد لكرامتك ممدودة ، والملاء الأعلي يتباشرون بقدومك عليهم ، والكروبيون يتهللون ورودك إليهم ، وقد نالهم شرف روحانيتك ، فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك ، فشرفت عالم الملكوت كما شرفت عالم الملك ، وشرِّف بوطء قدميك قمة السماء كما شرفت بهما أديم البطحاء .

فقال : يا جبريل الكريم يدعوني ، فماذا يفعل بي ؟ ، قال : ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : هذا لي ، فما لعيالي وأطفالي ؟ فإن شر الناس من أكل وحده ، قال : ولسوف يعطيك ربك فترضي ، فقال : يا جبريل الآن طاب قلبي ، ها أنا ذاهب إلي ربي .،.فقرب له البراق ، فقال مالي بهذا ؟ ، قال : مركب العشاق ، قال :

أنا مركبي شوقي ، وزادي توقي ، ودليلي أنا لاأصل اليه إلا به ، و لايدلني عليه إلا هو ، وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من أثقال محبته ، ورواسي معرفته ، وأسرار أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال ؟

وكيف تطيق أن تدلَّ بي وأنت الحائر عند سدرة المنتهي ، إلى حضرة ليس لها منتهى ، يا جبريل أين أنت مني ؟ ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي ، يا جبريل إذا كان محبوبى ليس كمثله شئ ، فأنا لست كأحدكم ، المركوب ويقطع به المسافات ، والدليل يستدل به إلي الجهات ، وإنما ذلك محل الحدثات ، وأنا حبيبي مقدس عن الجهات ، منزة عن الحدثات ، لا يوصل إليه بالحركات ،ولايستدل علية بالإشارات ، فمن عرف المعاني عرف ما أعاني علم أن قربي منه مثل قاب قوسين أو أدني .

فوقعت هيئة الوقت علي جبريل ، فقال :

يا محمد ! ، إنما جئ بي إليك لاكون خادم دولتك ، وصاحب حاشيتك ، وجئ بالمركب إليك لاظهار كرامتك ، لأن الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيبا ، أو استدعوا قريبا ، وأرادو ظهور كرامتهم واحترامهم ، أرسلوا أخصَّ خدامهم ، وأعزَّ نوَّابهم لنقل أقدامهم ، فجئناك علي رسم عادة الملوك وآداب السلوك .

ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالي يوصل إليه بالخُطَا وقع في الخطأ ، ومن ظن أنه محجوب بالغطاء ؛ فقد حرم العطاء .

يا محمد ! ، إن الملاء الأعلي في انتظارك ، والجنان قد فتحت أبوابها وزخرفت رحابها ، وتزينت أترابها ، وروق شرابها ، كل ذلك فرحا بقدومك ، وسرورا بورودك والليلة ليلتك ، والدولة دولتك }} ...إنتهى .

وقد وردت الرؤية في روايات كثيرة منها ما رواه أبو الربيع بن سبع في كتابه ... " شفاء الصدور من حديث ابن عباس " ... ، أن رسول الله ﷺ قال :

﴿ أتاني جبريل وكان السفير بي إلي ربي ، إلي أن انتهي إلي مقام ، ثم وقف عند ذلك ، فقلت : يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله ، فقال : إن تجاوزته احترقت بالنور ، فقال النبي ﷺ : يا جبريل هل لك من حاجة ؟.، فقال : يا محمد سل الله أن أبسط جناحي علي الصراط لأمتك حتي يجوزوا عليه ، فقال النبي ﷺ : ثم زج بي في النور زجاً ، فخرق بي إلي السبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً ، و انقطع عني حس كل إنسي وملك ، فلحقني عند ذلك استيحاش ، فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر : قف إن ربك يصلي ، فبينا أنا أتفكر في ذلك ! فأقول هل سبقني أبو بكر ؟ ، فإذا النداء من العلي الأعلي :

أدن يا خير البرية ، أدن يا أحمد ، أدن يا محمد ، ليدنو الحبيب ، فأدناني ربي حتي كنت كما قال تعالي ((ثم دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو أدني)) ، قال و سألني ربي فلم أستطع أن أجيبه ، فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ، ولا تحديد ، فوجدت بردها بين ثديي ،

فأورثني علم الأولين والآخرين ، وعلمني علوماً شتى ، فعلم أخذ علي كتمانه ، إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري ، وعلم خيرني فيه ، وعلمني القرآن)) .[٤]

وقد كشف القسطلاني في المواهب (الجزء الثاني ص٣٣) ســر رؤيــاة ﷺ للجمالات الذاتية حيث يقول :

{{ ولبعض أهل الإشارات كأنَّ الله قال له : يا محمد قد أعطيتك نورا تنظر به جمالي ، وسمعا تسمع به كلامي ، يا محمد إني أعرِّفك بلسان الحال معني عروجك إليَّ يا محمد ، أرسلتك إلي الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا ، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فأريك جنَّتي لتشاهد ما أعددت فيها لاوليائي ، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائي ، ثم أشهدك جلالي ، وأكشف لك جمالي ، لتعلم أني منزه في كمالي عن التشبيه والنظير والوزير والمشير ، فرآه ﷺ بالنور الذي قواه من غير إدراك ولا إحاطة ، فردا صمدا ، لا في شئ ، و لا من شئ ، ولا قائما بشئ ، ولا علي شئ ، ولا مفتقرا الي شئ ، ليس كمثله شئ ، فلما كلَّمه شفاها ، وشاهده كفاحا ، قيل له يامحمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ، ورمز لا يشاع ، فأوحي الي عبده ما أوحي ، فكان سرا من سر ، لم يقف عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وانشد لسان الحال:

---

(٤) وقد نقله عنه صاحب المواهب في الجزء الثاني ص٢٩ .

بين المحبين سر ليس يفشيه ✵ قول ولا قلم في الكون يحكيه
سر يمازجه أنسي يقابله ✵ نور تحيَّر في بحر من التِّيه
.. }} إنتهى ..

* توحيد الشهود

وعلي ذلك فهو الوحيد الذي حصل علي هذا المقام الفريد ، والذي يقـــول الله عز وجل له فيه :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾ سورة الضحى

أي وجدك فريدا في خصالك ، فريدا في صفاتك ، فريدا في صفائك ، فريدا في بهائك ، فريدا في وفائك ، فآواك إلي حضرته .فأنت الوحيد الـــذي آويـــت إلي هـــذه الحضرة ، وأنت الوحيد الذي كوشفت بهذة السدرة ،وأنت الوحيد الذي نلت هـــذه المراتب لدي القدرة ، فأشهدك خالص التوحيد ، لتصير أنت الأستاذ الوحيد في علـــم التوحيد لجميع الأنبياء والمرسلين ، والمقربين والصالحين ، والموقنين والمحسنين ، والمؤمنين والمسلمين ، من بداية الدنيا إلي يوم الدين ، فلا يمكن لأحد أن يصل إلي كمال التوحيد إلا بك ، فالتوحيد بدايته توحيد اللسان ، ونهايته توحيـــد القلـــب والجنـــان ، وهـــو المشاهدة ، والأستاذ الأعظم في ذلك كله هو رســـول الله ﷺ ، فكـــل المـــصطفين والأخيار لكي ينالوا رتبة التوحيد العظمي المشار إليها في قول الله تعالي فى آل عمران :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾

لابد أن يخضعوا لصاحب هذه المنزلة العليا ، ويسجدوا علي أعتابـــه ، ويقفـــوا علي بابه حتى يفتح لهم الرحاب ،ويكشف لهم الجناب ، ويدخلهم إلى حضرة الوهاب ، فهو الشاشة الوحيدة التي يتجلَّي الله عَجَلَّ عليها بصفات ذاته ، ولذلك لما خلـــق الله سبحانه آدم عليه السلام ، دعا الملائكة ليشهدوا جماله وكماله تعالي في هذه الـــسبُّورة الإلهية والشاشة النورانية ، فلما اجتمعوا أظهر حبيبه ومـــصطفاه في ظهـــر آدم عليـــه السلام ، وعندما شاهدوا نوره خروا جميعا ساجدين ، وطلبوا أن يعلمهم الأسماء ، وإن كان بعض العلماء قال إن الأسماء هى أسماء الأشياء وقد عرَّفها الله لآدم حتي القـــصعة ليعرِّفها للملائكة ، إلا أننا نري أنها أسماء الله وصفاته ، لقول الله عَجَلَّ :

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ الآية(٣١) سورة البقرة

والعرض يعني المشاهدة ، ولذلك لم يقـــل ((علَّمهـــم)) ، ولأن الملائكـــة لا تستخدم الأشياء التي ذكروها ، فلا تحتاج لمعرفة أسمائها ، بينما هي في أشد الحاجة إلى معرفة الله عَجَلَّ بأسمائه وصفاته .

إذن فالملائكة قد شاهدوا في شاشة آدم عليه السلام أنـــوار الأسمـــاء الإلهيـــة ، وأسرار الصفات الربانية ، وقد انبلجت بسر شعشعان نور المصطفي ﷺ في ظهره ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

فلو أن السجود كان يقينا ✳ لأبيه لم يهبطا من عليه

ويقول أيضا الشيخ علي وفا رضي الله عنه :

لو أبصر الشيطان طلعة نوره ✳ في وجه آدم كان أول من سجد
أو أبصر النمروذ بعض جماله ✳ عَبَدَ الجليل مع الخليل وما عند
لكن نور الله جلَّ فلا يري ✳ إلا بتخصيص من الله الصمد

ثانياً : شاهداً لأحوال الآخرة

حيث أنه ﷺ يخبرنا عنها عن شهود عيان ، فيخبرنا مثلا عن العرض يوم القيامة ، وأنه يشتمل علي مائة وعشرين صفاً ، ثمانين منها لإمته ،والباقي لجميع الأمم ، ويصف الميزان ، والصراط ، وتطاير الصحف ، وكيفية الحساب ، والشفاعة ، .... عن شهود عياني وهذا من باب قول الله تعالي :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾
الآية ٥-٦ سورة التكاثر

وكذا يصف الجنَّة كي نشتاق إليها ونحنُّ لدخولها ، ونعمل للوصول إلي ذلك المقام ، وعندما يري ﷺ شدة أخذ بيانه لأفئدتهم ، يبيِّن سرَّ ذلك فيقول :

﴿ لقد رأيتُ الجنَّة في عرض هذا الحائط ﴾ (٥)

ثالثاً: عرض الأعمال عليه ﷺ

ومن الرحمة الشديدة له ﷺ بنا ، أنه إذا أصاب أحدنا ألم في راسه أو شاكته شوكة في الطريق في قدمه ، فإن رسول الله ﷺ يحس به لقوله فى معنى الحديث:

﴿ مَا مِنْ أَلَمٍ يُصَابُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فِي نَفْسِهِ أَوْ بَدَنِهِ حَتَّي الشَّوْكَةِ يُشْتَاكُهَا ، إلا وَأَجِدُ أَلَمَ ذَلِكَ عِنْدِي ﴾

يعني عندما تتأوه أو تتوجع ، يحسُّ بك في الحال ، من العطف والشفقة والحنان

---

(٥)رواه الحكيم الترمذي عن انس ﷺ

الإلهي التي جعلها الله ﷻ في هذا القلب الكبير الذي وسع العالم كله الصغير والكبير رحمة واسعة صلوات الله وسلامه عليه .

وكذلك تعرض عليه أعمال العباد جميعا ، لكي يشهد لهم ، أو عليهم يوم الحساب لقوله ﷻ :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ آية ٤١ سورة النساء

وهذا يلزمه أن يطلع علي أعمال جميع الأمم السابقة ، و أمته اللاحقة ليري أعمالهم ، وينظر إلى أحوالهم ويطلع علي أخلاقهم ومعاملاتهم لأنه يشهد عليهم ، أو لهم ، ولذا فقد طلب من الله أن يطلع علي الملف الخاص بك كل ليلة فكل ليلة لابد وأن يري يوميتك في هذا اليوم ، وكم فيها من الحسنات ، وكم فيها من السيئات ، فإذا كان فيها سيئات يستغفر لك الله وفي ذلك قال :

﴿ فإن أعمالكم تعرض عليّ كلّ ليلة فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه، وما رأيت منها سيّئاً استغفرت الله تعالى لكم ﴾ (٦)

فأنت نائم ورسول الله يستغفر لك ، وهذا الأمر يخجل ....: إذا وقع في ذنب ويقول في نفسه كيف تعرض صحيفتي علي رسول الله ؟ ، ويجد فيها أنني ضربت واحداً من أمته ! ، أو أنني تكلمت في حق واحد من أمته ! ، أو أنني سببت فلانا ! ، أو إنني فعلت منكرا ! ، أو معصية ! ، هذا شئ لا يليق ..... !!!!!!!!... والديوان سيعرض علي رسول الله ﷺ .

---

(٦)رواه الطبراني عن أنس ، و له أوجه عديدة للرواية و الإسناد وبألفاظ متنوعة .

إن أحدنا لو عرف أن رئيسه في العمل يقوم بمتابعته يمشي مستقيما ، وربنا قال :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

آية ١٠٥ سورة التوبة

فربنا يشاهد العمل ، والرسول يشاهد العمل ، والمؤمنون الذين أنت تعيش معهم يشاهدون العمل ، حتى يشهد علينا يوم القيامة ....: أولا رسول الله ، وبعد هذا نشهد علي بعضنا ، ولذلك إذا مات أحدنا وشهد له أربعون رجلا دخل الجنة .

كيف نشهد له وعلي أي أساس يا رسول الله ؟ قال :

﴿ إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ﴾ (٧)

فإذا كان عمله غير ذلك وأنا لم أره ، فأنا لي الذي أراه ، لقول الله ﷻ:

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾

آية ٨١ سورة يوسف

فإذا رأيت شيئا مخالفا لا أشهد ، لكن أنا أراه يدخل المسجد ليصلي ويخرج من المسجد مستقيما ، فيجب أن أشهد له بالإيمان وبالتقوي وبالصلاح. ﴿ فاشهدوا له بالإيمان ﴾ ، فإذا شهد أربعون رجلا فقد نجا ، ولذلك مر أحد الموتي في جنازة محمولا ، والرسول جالس مع أصحابه ، فقالوا :

هذا رجل صالح ، فقال لهم ﷺ : وجبت .

وبعد برهه مرت جنازة اخري فقالوا : هذا الرجل طالح ، فقال لهم ﷺ

(٧) رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن عن أبي سعيد الخدرى ﷺ ، و مسند الإمام أحمد، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم ، و الطبرانى عن أنس ﷺ

وجبت ، قالوا : ما التي وجبت ؟ ....قال ﷺ :

﴿ الأول شهدتم له بالإيمان فوجبت له الجنة ، والثاني شهدتم عليه بالفسق فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض ﴾ (٨)

وهذا أمر لا نهتم به الآن يا إخواني ، فإذا شهدنا لبعض ، كلنا سننجّي بعضنا لأن الأربعين يشهدون لهذا الرجل فيدخل الجنة ، ويشهدون لهذا فيدخل الجنة ، فنحن تاركين لهذا الأمر وراء ظهورنا ، ولا نبحث عنه ، مع أن ربنا سبحانه وتعالي أعطانا هذا الأمر فضيلة لأمة سيدنا محمد ﷺ ، حيث جعلنا نشهد لبعضنا ، أي نشفع لبعضنا .

ولذلك حتى الخلافات التي تحدث بيننا وبين بعضنا ، سيأتي المنادي من إذاعة الله يوم القيامة من بطنان العرش ، ويقول فى الحديث المتفق عليه :

﴿ يا أمة محمد ..!.. ، يا أمة محمد ..!.. ، أما ما كان بيني وبينكم ؛ فقد وهبته لكم ، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم ؛ فتواهبوه فيما بينكم .. ، ثم ادخلوا الجنة برحمتي ﴾ ٩

بل قد ورد أن الله عز وجل عندما يحاسب عبده ، ويطلع علي عمله ، ويجده خلاف ما أدلى به الشهود يقول عز وجل لهم :..... أنى أجد عمل عبدي خلاف ما تذكرون ؟ ، ..... فيجيبون قائلين (الآية ٨١ سورة يوسف):

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾

---

(٨) عن أنس ، متفق عليه .
(٩) متفق عليه .

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ قبلت شهادة عبيدي في عبدي ، وتجاوزت عن علمي فيه ، أدخلوا عبدي الجنة ﴾ (١٠)

رابعا : شهود خصائص الأشياء

فقد أطلعه الله عَزَّ وَجَلَّ علي خصائص الأشياء كلها ؛ لينبِّه علي منافعها ، ويحذر من مضارها ، ولذلك فانه ﷺ ما ترك شيئا ينفعنا ؛ إلا وحثنا عليه وأمرنا بالمبادرة إليه ، ولا أمرا فيه ضرر لنا ؛ إلا وحذرنا منه ونهانا عنه .

وما زال العلم والعلماء يتحيَّرون عندما يكتشفون أسرار التشريعات التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه ، ومطابقتها تماما لأحدث ما وصلت إليه العلوم الحديثة في عصرنا .

هذا مع العلم بأن العلماء لم يتوصلوا إلي تلك النتائج إلا في عصرنا الحديث ، وبعد التقدم المذهل في أجهزة الاستشكاف العلمية ، بينما أخبر النبي الكريم ﷺ عن تلكم الاشياء منذ زمان بعثته ، بل إن هناك أشياء أشار إليها ﷺ ، ولم يكتشفها العلم إلي الآن مثل حصره ﷺ للأمم في قوله :

﴿ إن الله خلق ألف أمة ؛ أربعمائة منها في البر ، وستمائة منها في البحر ﴾ (١١)

ولا يكون ذلك الا بسبب شهوده ﷺ بنور الله الذي أعطاه ، للجينات ....

---

(١٠) رواه السيوطي في الجامع الصغير وأحمد في المسند عن أنس .

(١١) رواه الحكيم الترمذي وأبو يعلي وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عمر .

الوراثية لكافة الكائنات ، وفكه لشفراهّا ، وفهمه لرمزها ، فعلم أصـــول الأنـــواع ، وفصائلها ، وخصائصها ، وحصرها حصرا دقيقا ....!!!.....

مع أن العلم الحديث ، لم ينته من حصرها بعد .....!!!!..... وفي ذلك يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

﴿ تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما من طائر يطير في السماء بجناحيه ، إلا وذكر لنا عنه علما ﴾ (سبق تخريجه):

مقام البشارة والإنذار

وقد خُصَّ فيه صلى الله عليه وسلم بهداية البيان لمن جهزهم الله عز وجل للأيمان ، وهي المعنيـــة بقول الله عز وجل :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة الشورى

أم هداية الإحسان المذكورة في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ ﴾
آية ٥٦ سورة القصص

.... فهي خاصة بالذات الأحدية ....

فللحبيب البلاغ باللسان لكافة بني الإنسان لكي تكون لله عز وجل الحجة البالغة ، أما تقليب القلوب واستجابتها لأمر الله ، أو انصرافها عن هديه وشغلها بالحظّ و الهوي ؛ فهذا مردُّه إلى الله ، كما قال السيد الأعظم صلوات الله وسلامة عليه :

﴿ إنَّ القُلوبَ بَيْنَ أصْبُعَيْنِ مِنْ أصابعِ الله يُقلِّبُها كيفَ شاء – و في رواية أم سلمة – مَا شَاءَ مِنْهَا أَقَامَ وَمَا شَاءَ أَزَاغَ ﴾ (١٢)

وإلي ذلك المقام يشير ﷺ حيث قال :

﴿ مَنْ أطاعَنِي فَقَدْ أطاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أطاعَ أمِيرِي فَقَدْ أطاعَنِي ، وَمَنْ عَصَا أمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي ﴾ (١٣)

وقال ﷺ :

﴿ كُلُّ أمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلا مَنْ أبَى ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأبَى ؟ ، قَالَ مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى ﴾ (١٤)

أما الذي يوضِّح جليَّة هذا المقام ، فقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه :

﴿ إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إنِّي رَأيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإنِّي أنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا

---

(١٢) سنن الترمذي عن أنس ، وله روايات عديدة بأسانيد كثيرة و ألفاظ متعددة .

(١٣) رواة البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة واحمد عن ابي هريرة رضي الله عنه .

(١٤) رواة البخاري وأحمد عن أبي هريرة ﷺ .

جئت به من الحق.﴾

كذلك يزيد هذا المقام بيانا ؛ قوله ﷺ فيما يرويه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

﴿جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، فقال بعضهم إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا ، فقال بعضهم إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي ؛ دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي ؛ لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا فالدار الجنة ، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد عصى الله ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس.﴾

مقام الدعوة إلى الكمالات الإلهية

لما كان الحقُّ تقدَّست ذاته وتنزهت صفاته .....

هو المقصد الحقيقي لإولي العزم من الرسل والعالين من الروحانيين ، ولكل الأفراد الوارثين ، ولإهل الخصوصية من أولياء الله المقربين ، وما سواه من المقاصد وإن علا ..!!.. ، ومن المطالب وإن سما ..!!.. ، فهو بالنسبة له ﷻ وسائل توصل إليه ، وآيات مشرقات دالاتٌ عليه ، فلذلك تتأله لجنابه العلي النفوس الطاهرة ، وتحنُّ إليه الأرواح الملكية .

وإنما تشتاق تلك النفوس الطاهرة إلى الفردوس الأعلى ؛ لا للفردوس وما فيها ، أو تتمنى الرضوان الأكبر ؛ لا لنيل الرضوان وإدراكه ،و إنما ذلك كله لحظوة تؤدي إلى جلوة ، وقرب ينبئ بحب ، والوسائل كلها إلي هذا المقصود الأعظم هي كالمقاصد لعظمتها .... :

فإنه ﷺ هو الداعي الحقيقي في هذا المقام المقصود بالذات دون غيره ، لأن به سعادة الأبد والنعيم الحقيقي في الدنيا والآخرة ، إذ هو ﷺ الشمس المضيئة التي تبين سبل السعادة في الدنيا والآخرة ، وتوضح الطريق المستقيم لذي يكون به الناهج عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فهو النجاة الحقيقية للعالم كله ، والسعادة الحقيقة لبني الإنسان ، ورحمة الله الحقيقية لمن اقتدي به وقبل وصاياه ، يعز الله به بعد الذل ، ويغني به بعد الفقر ، ويقوي به بعد الضعف ، سر قوله جلّ و علا::

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية ٩٦ سورة الاعراف

مَقَامُ السِّراجِ المُنِير

إن مقتضي كمال الأسماء والصفات إبراز المرائي التي تظهر فيها تلك المعاني .

ولما كان العالم أجمع ؛ إنما خلقة الله تعالي ليظهر سبحانه ببدائع إبداع صنعه ، وغرائب حكمته ، وعجائب قدرته ؛ وظهوره إما لنفسه فاعلا مختارا ، أو لخلقه ربا معبودا قهارا :

اقتضت إرادته الأزلية ؛ تعين حقيقة كاملة قابلة لكمال تجليه ، وظهور معانيه ، فكانت تلك الحقيقة المختارة لحضرته ؛ هي حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول الإمام ابو العزائم رضي الله عنه و أرضاه في كتابه ((**الطهور المُدَار علي قلوب الأبرار**)) ص٤٤.- ..:

{{ خلق الله نور حبيبه محمد ﷺ من نوره ، فهو العقل الأول الذي نظر إليه بدءا ، وخلق لأجله العالم أجمع ، وتجلي فيه تجليا عاما ؛حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية لأهل عليين ، و لعالين ، وللملائكة عمار ملكوت الله تعالي ، فكان آدم مظهر شهود تلك المعاني للملائكة ، ورسول الله ﷺ المظهر الأكمل لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحاني العالي والأعلي ، وبتلك الجمالات نفسها ، زُجَّ به في نور القدس ، ووقف جبريل الذي هو الروح الأمين دون سدرته المحمدية قائلا : ((لو تقدمت لاحترقت)) }}

فكان ﷺ هو السراج المنير ، الذي أسْرج سُرُجَ الرسل والأنبياء من قبله ، والصديقين والشهداء من بعده ،سَمَّاه الله سراجا منيرا ، ولم يسمه شمسا لأن السراج

يسرج غيره ، ولكن الشمس لا تجعل شمسا غيرها ، ولذا واثق الله ﷻ الرسل بدءا له ﷺ ، فكان المواثق (بكسر الثاء) هو الله ، والمواثق (بفتح الثاء) حقائق الرسل صلوات الله عليهم ، فأشهدهم سبحانه وتعالي ظهوره حقا في حقيقة حبيبه ومصطفاه، ليلحظوا بالعيون التي وهبها لهم ، محاب الله ومراضيه فيما تقتضيه تلك الحقيقة ، فصارت بكمال الاستحضار معالم بين أعينهم ؛ في طورهم الدنيوي يمثلونها للأمم ويرسمون صورها علي جواهر نفوس العالم ،وتشرق بهم شمسه ﷺ .

وفي ذلك يقول الإمام البوصيري رضي الله عنه :

وكل آي أتي الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ولذلك لم يخل سفر من الأسفار من لدن آدم إلى عيسي عليهم الصلاة والسلام، إلا وتجمَّل بذكر إسمه ، والحثّ علي اتباعه ، والتوسّل إلى الله بجاهه ، وكتم ذلك أعداء الحقِّ من أهل الكتابين ، ولكنَّ القرآن الكريم بيَّن لنا ذلك جليًّا .

وقد بعث الله الرسل قبله ، بما لا بدَّ لأهل كل زمان من الكمالات التي بها يكون الناس في أمن وأمان ، وعلم بما يجب عليهم ؛ حتي تمَّ الدور ، وتأهل الناس للكمال المطلق ، فأشرقت تلك الشمس الكليَّة بكل الكمالات التي منحها الله الرسل منه ﷺ ، فكان ما جاء به الرسل قبله كمالات نابوا في تبليغها عنه ، وهو ﷺ أصل تلك الكمالات ، فلما أشرقت شمسه ؛ أشرقت بالكمال المطلق الذي يدلُّ عليه قوله تعالي :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ آية ٣ سورة المائدة.

وقد أشار إلي شميم من هذا المقام الحلاج رضي الله عنه في كتابة ((**الطواسين**)) ص ٨٢ ، حيث يقول : ..{{ ..

١. طس سراج من نور الغيب بدا وعاد ، وجاوز السراج وساد ، قمر تجلي من بين الأقمار ، برجة في فلك الأسرار ، سماه الحق أميًّا لجمع همته ، وحرميًّا لعظم نعمته ، ومكيًّا لتمكينه عند قربه .

٢. شرح صدره ، ورفع قدره ، وأوجب أمره ، فأظهر بدره ، طلع بدره من غمامة اليمامة ، وأشرقت شمسه من ناحية تهامة ، وأضاء سراجه من معدن الكرامة .

٣. ما أخبر الا عن بصيرته ، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته ، حضر فأحضر ، وأبصر فأخبر ، وتدلي فحدد .

٤. ما أبصره أحد علي التحقيق ، سوي الصديق ، لأنه وافقه ، ثم رافقه ، لئلا يبقي بينهما فريق .

٥. ما عرفة عارف الا جهل وصفه :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة

٦. أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار ، نور أنور ، وأظهر ، وأقدم من القِدَم ، سوي نور صاحب الكرم .

٧. همته سبقت الهمم ، ووجوده سبق العدم ، وإسمه سبق القلم ، لأنه كان قبل الأمم ، ما كان في الآفاق وراء الآفاق ودون الآفاق : أظرف ، وأشرف ، وأعرف ، وأرأف ، وأخوف ، وأعطف ، من صاحب هذة القضية ، وهو سيد البرية ، الذي أسمه أحمد ، ونعته أوحد ، وأمره أوكد ، وذاته أوجد ، وصفته أمجد ، وهمته أفرد .

٨. يا عجبا .. !...: ما أظهره ، وأنظره ، وأكبره ، وأشهره ، وأنوره ، وأقدره ، وأبصره ، ولم يزل ،كان مشهودا قبل الحوادث والكوائن والأكوان ، ولم يزل ، كان مذكورا قبل القبل ، وبعد البعد ، والجواهر والألوان ، جوهره صفوي ، وكلامة نبوي ، علمه علوي ، عبارته عربي ، قبيلتة ، لا مشرقي ولا مغربي ، جنسه أبوي ، رفيه رفوي ، صاحبه أمي .

٩. بإشارته أبصرت العيون ، به عرفت السرائر والضمائر ، والحق أنطقه ، والدليل صدّقه ، والحق أطلقه ، هو الدليل وهو المدلول ، هو الذي جلا الصدأ عن الصدر المعلول ، هو الذي أتي بكلام قديم لا محدث ولا مقول و لامفعول ، بالحق موصول غير موصول ، ولا خارج عن المعقول ، هو الذي أخبر عن النهاية والنهايات ونهاية النهاية .

١٠. رفع الغمام ، وأشار إلي البيت الحرام ، هو التمام ، هو الهمام ، هو الذي أمر بكسر الاصنام ، هو الذي أرسل إلي

الأنام ، هو الإحترام .

١١. فوقه غمامة برقت ،وتحتة برقة لمعت ، وأشرقت ، وأمطرت ، وأثمرت ، العلوم كلها قطرة من بحره ، الحكم كلها غرفة من نهره ، الأزمان كلها ساعة من دهره .

١٢. الحق به ، وبه الحقيقة ، هو الأول في الوصلة ، هو الآخر في النبوة ، والباطن بالحقيقة ، والظاهر بالمعرفة .

١٣. ما وصل إلي علمه عالم ، ولا اطلع علي فهمه حاكم .

١٤. أظهر مقاله ، أبرز أعلامه ، أشاع برهانه، أنزل فرقانه ، أطلق لسانه ، أشرق جنانه ، أعجز أقرانه ، أثبت بنيانه ، رفع شانه.

١٥. إن هربت من ميادينه ! ، فأين السبيل ؟ ، فلا دليل يا أيها العليل ، وحِكَمُ الحكماء عند حكمته ككثيب مهيل .}}

مَقَامُ الفَضْلِ الكَبِير

أنزل الله تعالي أمة حبيبه ومصطفاه ﷺ ببركته وبسببه ، منزلة الرسل في كل مقاماهم ، فكأنه قال تعالي للرسل (إعملوا ولا حرج) لعصمتهم ، وقال لنا:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ آية٧٨ سورة الحج

وأثبت للرسل الشهادة علي الناس يوم القيامة ، و أثبتها لنا :

﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ آية٧٨ سورة الحج

وواثق الرسل له ﷺ ، وأثبت أنه بايعنا بنفسه ، وبين للرسل بطريق الوحي ، وأبقي فينا هذا المقام ... مقام البيان بطريق الالهام :

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ آية ٨٣ سورة النساء

وأثبت الخيرية للرسل ، وأثبتها لنا :

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ آية ١١٠ سورة آل عمران

وهي وظيفة الرسل ، فكما أقامهم صلـــوات الله عليهم مقامـــه ﷺ ، ... أقامنا نحن مقامه .

جمل الله الرسل من جماله ، وقد ظفرنا والحمد لله بنسبتنا إليه مباشرة ، فـــنحن أمته ، وهو رسول الله إلينا ، وبه شرفنا وفضلنا ، وإن قصرت أعمارنا وقلت أعمالنا ، وقد أظهر الله سر قوله تعالي للملائكة :

﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الآية ٣٠ سورة البقرة

فينا نحن أمته ﷺ ، حيث وفقنا لطاعته ، وأشهدنا خفي مشاهد التوحيـــد ، فنحن نصلي ونستغفر كما أمرنا ﷺ ، والملائكة أثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس:

﴿ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ الآية ٣٠ سورة البقرة

ونحن نخشي من نسبة القربات إلينا فنستغفر الله منها ، إقرارا بأنه الفاعل المختار ، وأنه تفضل علينا فوفقنا لما يحبه ، فله المنَّة والشكر في أن أقامنا مقام محابه ومراضيه ، ونسب إلينا ما خلقة لنا ، فنخشي أن نغفل عن هذا المشهد ؛ فنستغفر الله تعالي رجوعا

إليه ، وطلبا منه أن يستر علينا نقائصنا وجهلنا ، ولم يكن ذلك للملائكة .

وهذا المقام من المقامات التي لا يُنْزِل الله فيها إلا خاصة أحبابه ، مـــن المقـــربين فوق أهل اليمين ، لم يكن ذلك بجهودنا ولا بكدنا ، ولكن ذلك فضل الله علينا بحبيبـــه وسيدنا ﷺ

مهام الرسالة

أما مهام الرسالة فهي تبدأ من وقت نزول الوحي عليه ﷺ ، وهذا المقام يظل محفوظا في أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقوله عز وجل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر

فقد انتسخت شرائع الرسل ، وشريعته باقية لم تنسخ ، ولن تنسخ إن شـــاء الله تعالي ، وهذا يدل علي بقائه محفوظا فينا ، ونعوذ بالله من زمان نفقد فيـــه رســـول الله ﷺ بيانا وتعليما وعملا وحالا ، لقوله سبحانه وتعالي :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ الآية ٧ سورة الحجرات

أما قوله تعالي :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية ١٤٤ سورة آل عمران

فالإشارة بالموت أو القتل هنا ، إلي محمد ﷺ ، أي الجسد الشريف ، أما مقام الرسالة فباق ببقاء الرسالة ، وقد جمعت هذة المهام الآية الكريمة :

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ سورة البقرة

وهي التي دعا له بها سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله :

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة

فاستجاب الله عز وجل له ، وزاد الحبيب صلى الله عليه وسلم صفة خامسة من عنده ، وهي :

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

وسننقل توضيح هذه المهام باختصار من كتابنا ((الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي)) ص ١٥١ وهي كما يلي :

١. علم الآيات :

ويقصد به العلامات الدالة علي قدرة الله عز وجل ، في الأكوان ، وفي الإنسان ، وهي المشار إليها بقول الله عز وجل :

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلۡأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ آية ٥٣ سورة فصلت

وفي ذلك يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكر لنا عنه علما .

٢. علم تزكية النفوس :

وهو العلم الذي به تصفو النفس من شوائب الرياء ، وعلائق الحقد ، وأدران الحسد ، وبواعث الحظ والهوي ، حتى تنال مقام الإخلاص ، ولا تحقق العبادة الغاية منها ؛ إلا بعد تزكية النفس وتصفيتها ، لقول الله عز وجل :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾الاعلى

وهذا هو الطور الهام لذي جاهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب ، حتى فطرت نفوسهم علي الصفاء والوفاء ، وذلك لمدة إثني عشر سنة ، حتى تأهلت النفوس لعبادة حضرة القدوس ، فبدأ نزول العبادات بالصلاة في العام الثاني عشر من بعثته صلى الله عليه وسلم . ثم توالت بعد ذلك بقية العبادات .

٣. علم الكتاب :

وهو علم الأحكام الشرعية في العبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والأسر ، والمجتمعات ، والسلم ن والحرب ، وهو ما يسمي الآن بعلم ((الفقه)) .

٤. علم الحكمة :

وهو العلم الذي يلهمه الله عز وجل للإنسان ، فيكون حكيما في تصرفاته بليغا في أحواله وهيئاته ، مسددا في أقواله وتحركاته ، حتى يكاد الناس غير الحاسدين والحاقدين ، لا يرون فيه عيبا في أحواله وأفعاله ، وهذا نتيجة التوفيق ، ولانه عزيز لم يذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة ، وعلي لسان نبي من انبياء الله عز وجل في قوله تعالي:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود

وقد أخبر الله ﷻ أن صاحب الحكمة قد أعطاه الله البر والفضل الكبير ، ... في قوله ﷻ :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ آية ٢٦٩ سورة البقرة.

٥. العلم اللدني أو الوهبي :

وهو ما ينتج عن الإخلاص في تنفيذ الأعمال ، والصدق في المتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ ، حيث يفاض علي صاحب هذا القلب علوم وهبية ، وأسرار روحانية ، لم ولن تسجل في كتاب ، وهي من باب قول الله ﷻ :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ آية ٢٨٢ سورة البقرة

أو من كنز فضل الله ﷻ المرموز إليه بقوله سبحانه :

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الكهف

أو فتح وفيض من قول رسول الله ﷺ :

{ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ } (١٥)

وهذا العلم الذي يقول فيه أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه لعلماء الظاهر :

{{ أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، ونأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت ، فنأخذه في أي وقت شئنا }}

---

(١٥) رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه .

وهذا العلم حقائق صادقة ، تجيش في صدور العارفين ، فينقلوها بـأفواههم إلي خاصة المحبين ، كما يقول الإمام علي رضي الله عنه :

{{ يحفظونـه في صـدورهم ، حتـى يودعونـه في قلـوب أشباههم وأمثالهم }} .

الرحمة العظمي لجميع العالم

لا شك أنه صلى الله عليه وسلم مرسل رحمة للعالمين أجمعين ، سر قوله سبحانه وتعالي :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء

وأكبر مثل علي تلك الرحمة ، هو أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى سدرة المنتهي ، وكان بصحبته جبريل ، فقال له : آلك حاجة ؟ ، قال : نعم . قال له ماذا تريد ؟ ، قال له :

يا رسول الله منذ خلقني الله وأنا أبكي خوفا من غضبه وسـخطه ، فـأرجو أن تطلب من الله لي الأمان – فهؤلاء القوم الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مـا يؤمرون ، لماذا يخافون من غضب الله ؟ ..!!..

لانهم رأوا واحدا كان طاوسا لهم ، وقد عبد الله إثنتين وسبعين ألف سنة ..!!.. ، حتي قال صلى الله عليه وسلم فى معنى حديثه الشريف :

﴿ مَا مِنْ مَوْضِعِ شِبْرٍ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، إلا وَ لإبْلِيسَ فِيهِ سَجْدَةٌ للهِ تَعَالَي ﴾ .

فلا يوجد شبر في السموات ، إلا وسجد فيه سجدة لله ، وبعد عبادة الإثنين

والسبعين ألف سنة هذه ، قدَّر الله له أن يعصي الأمر ، فكان عاقبته ...... أن صدر علية القرار الإلهي .. : ....

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الأعراف

.... وفي الآية الأخري :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة ص

فلما رأي الملائكة هذا المنظر ، خافوا ؛ فهذا رئيسهم وفي لحظة ، عصي أمر الله فطرد من فضل الله ، ومن رضوان الله ، ومن رحمة الله ، فقال له :

أنا أريد الأمان ! ،فأنا منذ هذه الحادثة ، وأنا أبكي ! ، فأريد أن تطلب لي من الله الأمان ؟ ، فطلب له الرسول ﷺ الأمان من الله في هذه الليلة ، .... وفورا نزل قول الله تعالي :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء

فعندما نزلت كلمة " أمين " ؛ أخذ الأمان من الله سبحانه وتعالي ؛ فأحبَّ أن يشكر رسول علي هذا الجميل ، فذهب إلى رسول الله ﷺ ، وقال :

سأضع جناحي علي الصراط يوم القيامة لتعبر عليه أمتك فلا يتساقطون في النار.

فهو ﷺ رحمة للكلّ ، حتى الحيوانات وللطيور ، فلكلّ شئ نصيب في رحمة رسول الله ، ولذلك قال : .....

﴿ إنَّما أنَا رَحمَةٌ مُهداةٌ ﴾ [١٦]

فهو رحمة شاملة ، وربنا أمرنا أن ناخذنا نصيبنا من هذة الرحمة ولا نتركه ، فكل واحد منا له نصيب من رحمة رسول ﷺ .

جزء من هذه الرحمة في الدنيا ، والباقي في الآخرة ، حتي أن الرسول قال :

﴿ إنَّ اللهَ تعالى خلقَ مِائةَ رَحمةٍ يومَ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، كُلُّ رَحمةٍ منها طِباقُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ فأهبطَ رَحمةً منها إلى الأرضِ، فَبِها تَراحمَ الخلقُ، وبِها تَعطِفُ الوالِدةُ على ولَدِها- حتي الحيوانات المتوحشة تجد لها شفقة ورحمة علي أولادها من هذة الرحمة -، وبِها تَشرَبُ الطَّيرُ والوُحوشُ مِنَ الماءِ، وبِها تَعيشُ الخلائقُ، وإذا كانَ يومُ القيامةِ انتزعَها مِن خلقِهِ، ثُمَّ اقتصرَها على المتقين، وزادَهم تِسعاً وتِسعينَ رَحمةً، ﴾ [١٧]، و في الحديث: ﴿ والذي نفسي بيدِه ليَغفِرَنَّ اللهُ يومَ القيامةِ مَغفرةً ما خطرَتْ على قلبِ بشرٍ ، والذي نفسي بيدِه ليَغفِرَنَّ اللهُ يومَ القيامةِ مغفرةً يتطاولُ بها إبليسُ رجاءَ أن يُصيبَهُ ﴾ [١٨]

(١٦) رواه البخاري في التاريخ والأدب المفرد عن أبي هريرة ﷺ .

(١٧) عن سليمان رضى الله عنه فى جامع المسانيد و المراسيل و له روايات عدة بأسانيد مختلف .

(١٨) جامع المسانيد حذيفة بن اليمان ﷺ .

النعمة الكبرى

وهذة الرحمة بسبب رسول الله ﷺ ، ولذلك قال لنا الله في القرآن ... تذكروا هذه النعمة ولا تنسوها :

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

نعمة ماذا يارب ؟ الاكل ؟ ، أو الشرب ؟ ، أو العينين ؟ ، أو اليدين ؟ ، أو الرجلين ؟ ، أو العقل ؟ ....، قال لا ! ، هذة النعمة :

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ الآية ١٠٣ سورة آل عمران

النعمة التي ألفت بين هذة القلوب ، وجعلت القلوب القاسية إخوانا متحابين ، حتي أن الواحد منهم يفضل أخاه في الإيمان علي أخية من الأب والأم ، فهذا سيدنا مصعب بن عمير كان قائدا للمسلمين في غزوة أحد :

وفي غزوة بدر وكان أخوه ما زال كافرا ، فأحد المسلمين أخذه أسيرا ، فمرَّ علي أخيه الذي من الأب والأم ، فقال لأخية المسلم : أمسك به جيدا ، لأن أمة ثرية ، وستدفع فيه موالا كثيرة ، فأغضب هذا أخاه ، وقال :

أهذا وصاتك بأخيك ؟ ، قال له : لست أخي ! ، ولكن هذا أخي ، والإسلام فرق بيننا ؛ فلم تعد هناك إخوة إلا التي قال فيها ربنا :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ آية ١٠ سورة الحجرات

هؤلاء القوم الذين ألف بينهم ، وجعلهم أحبابا ، وجعل أنصار المدينة يقابلون

أهل مكة ، ويأخذ أحدهم أخاه ويقول له : .....هذا بيتي نقسمه نصفين ، .... وإذا كان غير متزوج ، وعنده زوجتان ، يقول له :.... انظر أيهما أجمل ؟ ، حتى أطلقها ، وبعد عدتها تتزوجها انت ، ... وهذا المال نصفين ، ... وهذه الأرض نصفين ، .... ما الذي جعلهم يفعلون ذلك ؟

.... رسول الله ! .... فهو النعمة التي يذكرنا بها ربنا ويقول لنا :

تذكروا بهذه النعمة نعمة الهداية ، ونعمة الإيمان ، ونعمة الإسلام ونعمة القرآن ، لان سببها النبي العدنان ﷺ ، ولذلك استمعوا الي الامام الشافعي ﷺ وأرضاه وهو يصف هذه النعمة فيقول :

{{ لم تُمْسِ بنا نعمة ظاهرة ، أو باطنة ، ننتفع بها في الدنيا أو في الاخرة ، أو يدفع بها عنا مكروه فيهما ، أو في واحدة منهما ؛ الا وكان سببها رسول الله ﷺ }} .

فلا توجد نعمة أرسلها لنا الله في الدنيا ، أو نعمة جهزها لنا في الآخرة ، أو مصيبة منعها الله عنا في الدنيا والآخرة ؛ إلا بسبب وبركة رسول الله ﷺ ، فهو نعمة لا يستطيع أحد منا أن يعدها ، أو يحصيها ..!!.. ، ولذلك أمرنا أن نتذكرها ، فاذكروا .... يعني افتكروا هذا الرجل ، وانظروا العطايا التي جاء بها إليكم ، والنعمة التي جاء بها إليكم .

ويكفي أن تعرفوا أن كل واحد من الأنبياء السابقين ، ربنا قال له : أنت لك دعوة تدعوها وربنا يستجيب لها في الحال ، وأعطي رسول الله هذه الدعوة فأخذها واحتفظ بها وقال :

﴿ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَلَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ

﴿ دعوتي ، شفاعتي لأمتي يوم القيامة ﴾ [19]

فحتي أهل الكبائر يريد أن يشفع فيهم يوم القيامة ﷺ ، وليس المستقيمين ، فالمستقيمون والحمد لله علي الجنّة مباشرة ، بعضهم يـدخل الجنـة بغـير حسـاب ، وبعضهم له سؤال خفيف ويسير ، وأيضا علي الجنة ، لكنه ادخر وخبأ دعوته ليـشفع لهؤلاء القوم يوم القيامة ، فشفاعته هنا لأهل الكبائر ، وليس لاهل الصغائر ، أو حـتي أهل المعاصي الصغيرة ، بل قال :

﴿ شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي ﴾ [20]

حتي أن الله سبحانة وتعالي تعجب من رحمة هذا الرسول بنا ، وقال لنا : انتبهوا وأعلموا ان هذا الرجل يحبكم أكثر من آبائكم ، ومن أمهاتكم ، ومن أنفسكم :

﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية ٦ سورة الأحزاب

حتي أنه يحبك أكثر من نفسك ، فلا أحد يحبك أكثر من نفسك .. الا رسـول الله ، ولذلك كان دائما يقول : ... أمتي أمتي ، لما نزل عليه القـرآن ورأي العـذاب الذي نزل علي الأمم السابقة :

﴿ فرفع يديه وقال: «اللهمّ أمّتي أمّتي» وبكى، فقال الله عزّ وجلّ: يا جبريل اذهب إلى محمّد، وربّك أعلم، فسله ما يبكيك؟، فأتاه جبريل عليه الصّلاة والسّلام فسأله، فأخبره رسول الله بما قال. وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمّد فقل: إنّا

---

(19) جامع المسانيد و المراسيل ، رواه ابن عباس رضي الله عنه
(20) مسند أحمد و صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه ، وز الترمذى عن جابر رضي الله عنه .

سنرضيك في أمتك ولا نسوءك . (٢١)

أي لا نخزيك فيها أبدا ، وكأنه قال له : أريد ضمانا فقال له :

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ ٨ التحريم

أي ليس النبي وحده ، مع أن هذا المطلب أخذ سيدنا إبراهيم يدعو ربنا فيه سنين ، ويقول :

﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

لم يقل " أمتي " ، بل أنا وحدي فقط .....:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الشعراء

لكن رسول الله قال له :....... أنت والذين معك من غير طلب :

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آية ٨ التحريم

وما أروع قول الامام أبي العزائم رضي الله عنه ، في وصف هذة الرحمة العظمي لجميع العالم ..... في كتابة ((**الطهور المدار علي قلوب الابرار**)) – ص٤٧ وما بعدها – حيث يقول :

---

(٢١) صحيح مسلم و صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

{{ أرسله الله رحمة للعالمين ، ونعم ، لأنه رحم الحسّ بما أباحه له من النظر ، والسمع ، والشمِّ ، والذوق ، واللمس ، والتمتع بنعم الله من مسرات الملك والملكوت ولم يكن ذلك قبله ﷺ .

رحم الجسم ﷺ بما متعه الله به من الزينة والرياش ، والتنعم بالمشتهيات المباحة شرعا ، والجزاء عليها إذا استعملها العبد بطريق الرعاية ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (آية ٣٢ سورة الأعراف) .

رحم العقل صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه جعله السلطان الفاعل في الهيكل الإنساني ، وأمر بالإقتداء به ، والنظر به في كل الحقائق ، فأظهر العقل سرَّ تسخير ما في السموات وما في الارض للإنسان ، وذلّت الحقائق كلها أمام الانسان ، بعد أن كان يعبد الأنهار ، ويقدِّس البهائم والأناس ، فظفر العقل بنهاية بغيته به ﷺ ، وتلك الحقائق جليَّة ، إذ قبله ﷺ كان العقل مملوكاً للشهوة والحظِّ والهوي ، فكان الإنسان يعبد الحجر ، ويذلُّ له ، حتى بلغت عزَّة المسلم الذي خرج من الجاهلية العمياء أن يطأ ربَّه الذي كان يعبده بنعله ، وكم من جاهلي أسلم فكسر الصنم إذلالا له وإعزازاً للحق ، وكثير منهم أخذ قطع الاصنام فجعلها توضع في المراحيض .

رحم ﷺ الملائكة وعالين ، وأعلي عليين ، بما جمَّل الله به المسلمين من معاني رضوانه ، وعفوه ، وغفرانه ، وقبوله ،

ومواجهته ، وأهل حظائر الملكوت يؤنسهم ويسرهم رضا مولاهم.

رحم العالم الحيواني والنباتي ، بما أودعه من الرحمة في قلوب المسلمين الذين يستعملون تلك الأنواع ، فصدق الله العظيم : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء

جمَّل الله حبيبه بأسمائه الحسني ، ولم يجمل أحداً بهذا الجمال أبدا فقال : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ التوبة ، وأكملَ له الجمال بأن منحه كل اخلاقه الالهية ، قال سبحانه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ سُورَةِ القلم — بإضافة خلق إلي عظيم.: يعني لعلي خلق الله تعالي .

أثبت له الشفاعة العظمي إثباتا جليا بينا بقوله : ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ آية ٨ سُورَةِ التحريم.

وكلنا يفهم أنه رحمه الله العامة ، ومن منحه الله تلك الرحمة لا يكون أنسه ومؤمن في النار يعذب ، ومعني أنه لا يخزيه سبحانه يقتضي أن يكون له طلب وأمل ومقصد ، وطلب هذا السيد العظيم ﷺ نجاة العالم الإسلامي في هذا الموطن .

رفعه الله تعالي رفعة لم يرفعها أحداً أبدا ، فأقامه مقام الرفعة التي تناسب كمال الألوهية ، بجعل العالم أجمع يحمدونه ، والحمد في الحقيقة لا يكون إلا لله سبحانه قال تعالي :﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ سُورَةِ الإسراء ، والمقام المحمود كما بينه مجاهد وابن عباس : أن يجلسه فوق العرش ،

ويقول : ((يا محمد أنا منزه عن الجسم ، وغنيٌّ عن المكان ، فاجلس هنا ليعلم الناس مقدار منزلتك عندي ، ولديها يحمده العالم أجمع وهو المقام المحمود)) . إنتهي .

ويوضح جليَّة هذا الأمر وهو المقام المحمود ، العارف محيي الدين بن عربي في كتابه ((**شجرة الكون**)) – ص ٢٨ وما بعدها – فيقول بلسان الحال :

{{ ولما انتهي إلى العرش تمسك العرش بأذياله ، وناداه بلسان حاله :

يا محمد ! ، أنت في صفاء وقتك ، آمن من مقتك .

تارة يتشوق إليك حبيبك ، وينزل الي السماء الدنيا ، وتارة يطوف بك علي ندمان حضرته ، ويحملك علي رفرف رأفته :﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ ١ الإسراء، وتارة يشهدك جمال أحديته:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ النجم، وتاره يشهدك جمال صمدانيته : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة النجم، وتارة يطلعك علي سرائر ملكويته : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة النجم ، وتارة يدنيك من حضرة قربه : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ سورة النجم .

يا محمد ! ، هذا وأنا الظمآن إليه ، اللهفان عليه ، المتحير فيه ، لا أدري من أي جهة آتيه .

جعلني أعظم خلقه ، فكنت أعظمهم له رهبة ، وأشدهم له خشية ، يا محمد خلقني يوم خلقني ، فكنت أرعد من هيبة جلاله

، فكتب علي قائمتي لا إله إلا الله ، فازددت لهيبة اسمه إرتعادا وارتعاشا ، فلما كتب علي محمد رسول الله ؛ سكن لذلك قلقي وهدأ روعي ، فكان اسمك أمانا لقلبي وطمأنينة لسري ، فهذه بركة وضع إسمك عليَّ فكيف إذا وقع جميل نظرك إليَّ .

يا محمد ! ، أنت المرسل رحمة للعالمين و لابد لي من نصيب في هذة الليلة ، ونصيبي من ذلك أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه إلي أهل الزور ، وتقوَّله علي أهل الغرور فأنه أخطأ في قوم فضلوا، و ظنوا أنى أسع من لا حد له ! ، و أحمل من لا هيئة له ! ، وأحيط بمن لا كيفية له !

يا محمد ! ، من لا حدَّ لذاته ، و لا عدَّ لصفاته ، كيف يكون مفتقرا إليَّ ، أو محمولا عليَّ ، إذا كان الرحمن اسمه ، والاستواء صفته ونعته ، وصفته ونعته متصل بذاته ، فكيف يتصل بي أو ينفصل عني .

يا محمد ! ، وعزَّته لست بالقريب منه وصلا ، ولا بالبعيد عنه فصلا ، ولا بالمطيق له حملا ، ولا بالجامع له شملا ، ولا بالواجد له مثلا ، بل أوجدني من رحمته منَّة وفضلا ، ولو محقني لكان فضلا منه وعدلا ..

يا محمد ! ، أنا محمول قدرته ، ومعمول حكمته ، فكيف يصح أن يكون الحامل محمولا ؟!

فأجابه لسان حاله ﷺ : ((أيها العرش إليك عني ، فأنا

مشغول عنك ، فلا تكدر علي صفوتي ، ولا تشوش علي خلوتي))
، فما أعارة ﷺ طرفا ، ولا أقرأه من مسطور ما أوحي إليه حرفا
}} ....إنتهى .

شكر النعمة

تلك النعم يا أخي .... :

لا تقتضي بطرا وكفرا ، ولكنها تقتضي ذلا وشكرا .

فاستحضر نشأتك الأولى ، وانظر إلي ما تفضل الله به عليك بانتسابك إلي هذا السيد العظيم ﷺ ، وقف موقف الحيرة عجزا عن حصر الآلاء ، والدهشة قصورا عن عد النعماء ، ثم انظر الي هذا السيد بالعين التي تليق بما خولك الله ، لتعلم مقدار فضل الله عليك ، ولتذكر نعمة الله المشار اليها في قوله تعالي :

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ١٠٣ آل عمران

يعني محمدا ﷺ ، والشكر يا أخي في هذا المقام :

كمال اتباعه ﷺ ، ومع أن اتباعه ﷺ واجب لكمالاته ، ولأنه شكر للمنعم ،لكن الله تفضل علينا باتباعنا له فجعلنا محبوبين له :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٣١ آل عمران

إن التاجر الكيِّس يترك النوم والراحة لربح قليل يزول بموته ، وربما كان لاينفعه ، فكيف بك أيها العاقل وأنت باتباعك له تمنح مسرات حسِّك ، ونعيم جسمك ،

وبغية عقلك ، وطلبة روحك في الدارين ، وتظفر بمحبة الله تعالي التي ترخص في سبيلها الجنة ونعيمها .

إني أعجب يا أخي كل العجب .!!. :

❀ من رجل يعمل الخير لنفسه ليظفر بالحسنيين بتوفيق الله ومعونته ..!!..

❀ ثم ينسب الله إليه ما أعانه علي فعله كأنه أوجـــده ، وأبدعه ..!!..

❀ ثم يمنُّ عليه بمحبته جلَّ جلاله ..!!.. ، كل ذلك بسبب إتباعه له ﷺ .

فما أخفّ ما أمرنا به وأسهله ...... !!!! ...، وما أعظم وأجمل وأكمـــل مـــا تفضل به علينا .....!!!!.....

فشقيٌ والله ! ، عبدٌ عبد هواه ، ولم يتبع رسول الله .

أسال الله سبحانه أن يوفقنا لكمال اتباعه ، وأن يمنحنا الإخلاص ، وأن يفنينـــا عن شهود الإخلاص فى أعمالنا ، حتى لا يكون بيننا و بينه مايحجبنا عن شهود جمالـــه الظاهر ، وإحسانه الوافر وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم .

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

رأيت الجمال أراني الجميلا ✳ فوضح جل إليه السبيلا

جمالك طه أراني غيوبا ✳ وأجلي لنا السر نلنا الوصولا

ومن قبل كنا ظلاما وجهلا ✳ فصرنا بطه رجالا فحولا

أتانا بنور قرآن مجيد ✳ فأحيا القلوب أعز الذليلا

علمنا علوما شهدنا غيوبا * فقهنا بطه فروعا اصولا

بُعثتَ سراجا لنا يا حبيبي * فكنت لنا الخير والسلسبيلا

ادرت طهورا لكل مراد * منحنا المراضي ونلنا المثولا

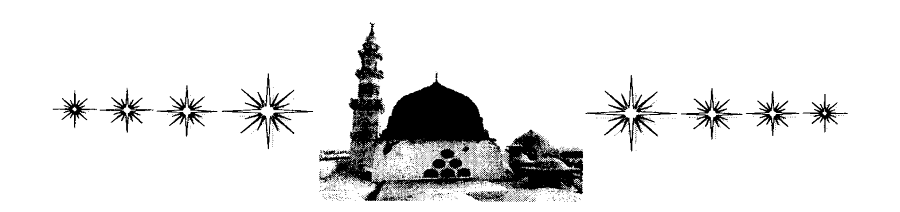
فتحت كنوز الهدي والأيادي * فقرّبت فضلا بعيدا جهولا

نعم أنت فردٌ لربٍّ تعالي * علي الله حقا نراك الدليلا

أتيت حبيبي بعلم لدني * علمنا به العلم يمحو المثيلا

محوت الظلام بنور التجلي * أمدَّ لنا الله ظلا ظليلا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه و سلم



الباب التاسع

محبته ﷺ وأنوار الصلاة عليه

- أسباب محبة سيدنا رسول الله ﷺ
- موقف المؤمن من الفتن
- الكمال المحمدي
- استحضار الأوصاف المحمدية
- نتائج محبته ﷺ
- صلة الصلاة عليه ﷺ
- بركات الصلاة على النبي ﷺ
- صلاة الواصلين على النبي ﷺ
- أسباب انشغال العارفين بالحضرة المحمدية
- تحقيق الوصول بأصل الأصول
- حقيقة الوصول إلى معية الرسول
- حياة رسول الله الحقيقية


صلى الله عليه وسلم

محبته ﷺ وأنوار الصلاة عليه(1)

أسباب محبة سيدنا رسول الله ﷺ

يقول سيدنا رسول الله ﷺ فى الحديث :

﴿ ما اختلط حبى بقلب عبد مؤمن ... ، إلا حرم الله جسده على النار .. ﴾ .(2)

فأى عبد مؤمن يختلط حب رسول الله ﷺ بقلبه ، يحرم جسده على النـــار ، ولذلك ، فنحن نريد أن تقوى حراره الحب لرسول الله ﷺ ..، فكيف نقوّى حبنــا لرسول الله ﷺ ؟

لكى نقوّى حبنا لرسول الله ، يلزم علينا أشياء..:

أولا": نعرف صفاته ، ونعوته ، وأخلاقه ، وكمالاته ، لأن الذى يعــرف هــذه الأشياء يتيه حبا فى رسول الله ﷺ ؛ لأنها صفات .... لم تجتمع لامن قبل ، ولامــن بعد فى أحد سواه ، فهى كما يقول سيدنا على :

﴿ من رأه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته – أى واصفه– لم أر قبله ، ولا بعده ؛ مثله ﴾ (3)

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يستطيعون أن يملئوا أعينهم من رسول

---

(1) كان هذا الدرس بمسجد سيدى خميس بالجميزة – غربية– يوم ١٩/١٠/١٩٨٧ م .

(2) رواه أبو نعيم عن ابن عمر و رمز السيوطى لصحته .

(3) رواه الترمذى فى الشمائل عن على رضى الله عنه .

الله حياءاً منه ؛ حتى من نصفهم بشيء من الجرأه ، فهذا سيدنا عمرو بـــن العـــاص ، ونحن نعرف أنه كان له دور كبير فى الفتنة بين سيدنا على وسيدنا معاوية.

موقف المؤمن من الفتن

وإن كان موضوع الفتنة و الموضوعات المشابهة له ، من المفـــروض علينـــا ألا نخوض فيها ، كما قال أحد الصالحين حين سألوه : ما رأيك فى هـــذه الفتنـــه ؟ومـــن المخطىءفيهم ؟..، قال :

{{ شيءغاب عنا ، ونزَّه الله سيوفنا عنه ، نزِّه أعيننا وألسنتنا عن الخوض فيه }}

ولما كثر الخوض فى هذا الأمر ، وقيض الله سيدنا عمر بن عبد العزيز ، فى أيـــام بنى أمية فمنع سبَّ سيدنا على من فوق المنبر فى الخطبة الثانيـــة كمـــا كـــان متبعـــا ، واستبدل ذلك بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ *الآيه ٩٠ سوره النحل*

فسيدنا عمرو بن عبد العزيز يقول :

لما تفكرت فى هذا الخلاف ، واحترت فى أسبابه ومبرراتـــه ن نمـــت فى ليلـــة ، فرأيت رسول الله ﷺ فى بيت واسع كبير ، وعن يمينه سيدنا أبو بكـــر الـــصديق ، وعن يساره سيدنا عمر بن الخطاب ، ثم دخل سيدنا علي ، وبعده دخل سيدنا معاوية ،

و قد دخلا بعد ذلك في صالة فسيحة عليها ستار ، واختفيا وراء الستار ، وبعد برهة ، خرج سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، وقال :

قضي لي ورب الكعبة .!. – أي ان المحكمة حكمت لصالحه ، .. قال :ثم خرج بعده سيدنا معاوية رضي الله عنه وأرضاه ، وقال :

غفر لي ورب الكعبة ، أي أن الاثنين براءة ، فاذا كان الإثنان بريئين ، فلماذا نتكلم نحن فيهما ؟....!!!... ، كل ما نقوله أن هذا مجتهد وهذا مجتهد ، والمجتهد حكمه أصدره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

﴿ مَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ ؛ فَلَهُ أَجْرٌ ، فَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ﴾ [٤] .

فهم وصلوا إلي مقام الاجتهاد ، لأنهم اصحاب رسول الله ، فسيدنا علي هو باب مدينة العلم ، وسيدنا معاوية كاتب الوحي ، فوصلا إلي مقام الإجتهاد والذي يصل إلي مقام الإجتهاد ؛ لو اخطأ في اجتهاده له أجر ، وليس عليه وزر ، فما الذي يدخلنا في مثل هذة الامور ....!!!......

الكمال المحمدي

فالشاهد أن سيدنا عمرو بن العاص ، لما حانت وفاته ، قال لإبنه عبد الله بن عمرو ، وكان من الصالحين : :

{{ والله يا بُنيَّ لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ملئت عيني منه حياءاً منه صلى الله عليه وسلم }}

([٤]) رواه البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه .

فلم يستطع ولم يتمكن من وصفه ، ولذلك الذي وصف رسول الله ﷺ من أصحابه قلة قليلة ، اشتهر منهم أثنان فقط ؛ مع أنه انتقل ﷺ وترك مائة ألف صحابيّ ، لكن الذي استطاع ان يصفه فقط هما سيدنا علي بن أبي طالب ، وهند بن أبي هالة ، فهما اللذان وصفاه وذكرا أوصافه ، وقد ذكرت في الكتب عن هذين الإثنين فقط ، بالإضافة إلي أم معبد ، عندما مر بخيمتها مهاجرا من مكة إلي المدينة .

أما بقية اصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يستطيعوا أن يصفوه ..!!..

قد يصف أحدهم جانبا من جوانبه ، أو يصف ناحية من نواحيه ، لكن يصف هذه الشخصية الربانية كلها من جميع جوانبها هذا مستحيل ..!!..

ويكفي أن نعلم أنه لما قدم حسان بن ثابت إلي رسول الله ﷺ ، ثم رجع إلي قومه ، فقالوا له : صف لنا ما رأيت ، وبذلوا له مالا لكي يهجوه بما يناسب بغضهم فيه ، فقال حسان :

لما نظرت إلي انواره سطعت ✳ وضعت من خيفتي كفي علي بصري
خوفا علي بصري من حسن صورته ✳ فلست أنظره إلا علي قدري
الأنوار من نوره في نوره غرقت ✳ والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر ✳ كحُلة نسجت في الأنجم الزهر

فقالوا له : ما هذا ؟ ، فقال حسان :

{{ هذا الذي رأيت وعار علي الرجل أن يصف الكذب .}}

فإذا كانت المصانع تصنع نموذجا قيما جدا ليبين دقة صناعتها ، ومهارتها ، وتعرضها علي العالم حتي تريهم صناعتها ، ولله المثل الأعلي ......:

فإن الله جمع في المصطفي ﷺ أكمل الصفات الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة ، فأكمل الصفات الجسمانية جمعت في رسول الله ﷺ :

حتي ان سيدنا يوسف عليه السلام ، والذي كان مشهورا بالجمال الذي جعل امراة العزيز تفتن به ، ولما شاعت القصة في المدينة ... ؛ أرسلت لنساء كبار القوم عندها في القصر ، وأجلستهن في الصالة ، وأعطت كل واحدة منهن تفاحة وسكينا لتقطعها وتأكل ، وأمرت سيدنا يوسف أن يدخل عليهن ، وقد وصف الله عز وجل هذا المنظر حيث قال :

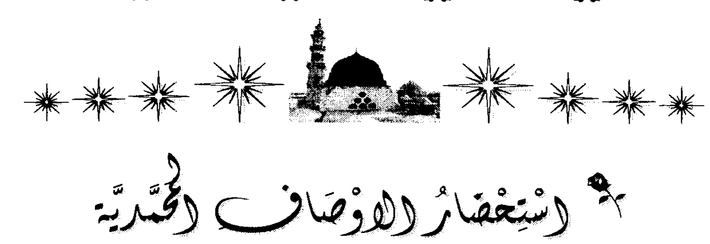
﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ يوسف

فعندما دخل عليهن ، سلبهن عقولهن وحسهن ، حتي أنهن قطعن أيديهن ..!! كيف تحدث هذة الامور ؟..!!.. تصورها بعقلك انت ؟ ..!!.. كون واحدة تقطع يديها من أجل النظرالي شخص دخل عليها ؟؟ فما مقدار ما يتمتع به هذا الشخص من الجمال ؟ ...!!.. ، لا أحد يستطيع أن يصفه ، ومع ذلك فإن سيدنا يوسف عليه السلام يقول فيه الرسول ﷺ :

﴿ لقد أوتي شطر الحسن ﴾ (°)

نصف الحسن ..!!.. ، حسن من ؟ حسن رسول الله ﷺ ، وجميل صنع الله في رسول الله ﷺ ، فلا يستطيع أحد أن يحيط به ، ولا أن يبديه ، وإنما كل الأمر ، أنه إذا رأه الإنسان ....؟؟... لابد أن يتيه ويحتار فيه ...؟؟؟!!!!؟؟؟.

(°) رواه ابن أبي شيبة



استحضار الأوصاف المحمدية

فالمفروض أن أي إنسان سوي يعشق هذة الشخصية الإلهية ، وعشق رسول الله ؛ باب للسعادة وباب للرضا ، لأن ربنا الذي قال هذا :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

آية ٣١ سورة آل عمران ، وقد قال ﷺ :

{ والذي لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ، ونفسه ، والناس أجمعين }(٦)

{ فسيدنا عمر قال : أحبك يا رسول الله أكثر من كل شيء ، إلا نفسي ، قال ﷺ : لم يكمل إيمانك يا عمر .. !! ... فقال : والله يا رسول الله ، إني لأحبك أكثر من كل شيء ، حتى نفسي التي بين جنبي ، قال : الآن تم إيمانك يا عمر }(٧)

فالواجب علينا في هذه الأيام أن نطالع أحوال هذه الشخصية ، فنحن كلنا والحمد لله ، لو سئلنا عن شخصية من الشخصيات المشهوره ، في دنيا الرياضة أو في

---

(٦) رواه مسلم واللفظ له والنسائي وابن خزيمة عن انس رضي الله عنه

(٧) رواه البخاري ومسلم عن عمربن الخطاب رضي الله عنه

دنيا المسلسلات ، تجدنا نحفظ الشكل والملابس ، ونحفظ التقاطيع والملامح عن ظهر قلب ، ومن الممكن أن الواحد منا لو نام تأتي له هذه الشخصية وتناديه ، ويستيقظ من نومه ويقول : رأيت الليلة فلان في المنام ، أو فلانه لماذا ؟.....لتعلقه بهم ....!!!

فالإنسان لكي يحظي برسول الله :

لا بد أن يعرف شيئا من ملامحه ، وشيئا من صفاته ، وشيئا من أخلاقه ، وشيئا من كمالاته التي أعطاها له الله .... يجعله يتعلق بتلك الذات المحمدية ، مع استحضار المحاسن النبوية في القلب والجنان ، بحيث يتمثله خياله ، ويتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة المحمدية الروحانية ؛ تعشقا يوجب المحبة ، ودوام الذكر لــه بالصلاة عليه ﷺ ... فلأجل ذلك يقرب إليه ، ويكون عنده ومعه .

ولذلك يقول الشيخ عبد الكريم الجبلي ﷺ في كتابه ((**قاب قوسين وملتقي الناموسين**)):

{{ كن في حال ذكرك له ، كأنك بين يديه في حياته ، متأدبا بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء ، فإنه يراك ويسمعك كلمَّا ذكرته ، لانه متَّصف بصفات الله تعالي ، والله جليس من ذكره ، فللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفة }}

ويقول ايضا في كتابه ((**الناموس الاعظم**)):

{{ أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورتة ﷺ ومعناه ، ولو كنت متكلفا مستحضرا ، فعن قريب تألف روحك به ، فيحضر لك ﷺ عيانا ، تجده ، وتحدثه ، وتخاطبه فيجيبك ، ويحدثك ، ويخاطبك ، فتفوز بدرجة الصحابة ، وتلحق بهم ان شاء الله تعالي ، واعلم

أن العارفين لا يزالون ولو ترقوا لأعلي الدرجات ، مراقبين ومستحضرين سيد السادات ، حتي في إشراق التجلي الإلهي ، يوجهون همتهم له ﷺ ، ويتلقونه بقابليتهم ، فينالون فوق ما يقدرون عليه بأضعاف ، وكل من رآه في صورة يخلع عليه تلك الخلعة التي رآها ، فيعظم ترقيه ، وهذا دأبه ﷺ مع كل رآه ، كرما محمديا ، وخلقا أحمديا }}

وفي ذلك يقول ايضا الشيخ إبراهيم الرشيد رضي الله عنه :

{{ ولما كان من أعظم أسباب الوصول :

التعلق بصفات الحبيب ، وكثرة الصلاة علية ﷺ ، حتي يصير خياله بين عينيه أينما كان ، وضع صاحب دلائل الخيرات صورة الروضة الشريفة لينظر فيها البعيد عنها عند صلاته علي الحبيب ؛ فينتقل منها إلي تصور من فيها ، فإذا كرر ذلك مع كثرة الصلاة ، صار له الْمُخَيَّل (أي المظنون القائم في الذهن وهما) محسوسا .. وهو المقصود ، وليس مقصود العارفين ، بكثرة الصلاة علي النبي ﷺ حصول الثواب لهم ، أو أنفسهم بذلك ، وإن كان ذلك حاصل في نفس الأمر .}}

نتائج محبته ﷺ

ولذلك ففي هذه الأحوال يتنزل الخير ، وتفتح كنوز السبر ، والحق سبحانه وتعالي يتفضل بنفحات ، وبعلاوات ، وتشجيعات ، لكن لمن ؟ ..!!..؟؟

للعاملين المخلصين لربِّ العالمين ، لمن تاتي العلاوة التشجيعية ؟ للذي يعمل أو الكسول والمتواني ؟ ، الذي يعمل ....

وكذلك العلاوات التشجيعية للمصطفي خير البرية ... ؟؟ ... ، تترل علي الدوام ..... ، لكن تأتي لمن ؟ .....للفاكر ، والحاضر ، والذاكر ، والهائم ، والمشغول البال برسول الله ﷺ .

فالانسان لما يعرف هذه الكمالات ؛ يقوي عنده الحب ، فيزيد الإقبال ، وعندما يزيد الحب شيئا ما ، يكرم بشئ من الرؤيا المنامية ، وعندما يكرم بشئ من الرؤيا المنامية ؛ يزيد الاقبال ، لانه يريد أن يري أكثر ، فالذي يذوق طعم الحلاوة يريد أكثر .... ، .... ونحن نقصد حلاوة رسول الله ، وليست الحلاوة المصنعة .

نحن نريد الحلاوة الآتية من رسول الله مباشرة وحلاوة رسول الله هذه للقلوب .

ﷺ وإذا كان واحد من بني اسرائيل – لتعلموا أن الإنسان الذي يبجّل ويعظّم رسول الله ، كم له عند الله ؟ –كان مسرفا علي نفسه ، وقد عاش مائتي عام ، وبعد موته ألقاه بني اسرائيل علي مزبلة ، ورفضوا أن يصلوا عليه ، أو يدفنوه مع أمواتهم ، فأوحي الله ﷻ إلي موسي عليه السلام : أن اذهب إلي عبدي فلان ، فغسله وكفنه ، وصلّ عليه ، ففعل ذلك ؛ فتعجب بنو إسرائيل، وطلبوا منه أن يسأل الله عز وجل عن السبب في ذلكم ؟ ، فأوحى الله إليه : أنه كان كلما فتح التورٰة ، ووقعت عينه على اسم حبيبي محمد فيها ، قبّل موضع اسمه ، ووضعه

على عينيه ، وصلى عليه ، فمن أجل ذلك رحمته ، وغفرت له ذنوبه ، وزوجته سبعين حوراء ﷺ .(٨)

ويحكي عمر بن سعيد الفوتي في كتابه ((رماح حزب الرحيم)) – في الفصل التاسع والثلاثين ، عن الامام سفيان الثوري رضي الله عنه وأرضاه :

{{ أنه كان يطوف حول الكعبة – ونحن نعرف أن العبادة حول الكعبة في الطواف هي الذكر والدعاء والاستغفار – فوجد رجلا لا يرفع قدما ولا يضعها إلا بالصلاة علي رسول الله ﷺ ، فسأله ، وقال له : يا رجل ! ، إن هذا وقت الذكر والدعاء والاستغفار ، فلم أراك تشتغل عن ذلك بالصلاة علي رسول الله ؟، فقال له : من أنت ؟ ، قال له : أنا سفيان الثوري – وقد كان عالم العراق المشهور – ، فقال له : لولا أنك سفيان الثوري لما أخبرتك !..إجلس بجواري وسأقص عليك قصتي ، فتنحي جانبا ، وقال له :

لقد عزمنا علي الحج هذا لعام أنا وأبي ، وبينما نحن في الطريق جاءه الموت ، فلما مات نظرت إلي وجهه فوجدته مسودا ، فغطيت وجهه ، ثم جلست حزينا كئيبا مهموما ، فاخذتني سنة من النوم فرأيت رجلا شديد بياض الثياب ، شديد بياض الوجه ، وقد أقبل حتي وقف علي رأس أبي ، ثم كشف وجهه ، ومر بيده عليه فابيَّض وجهه ، وصار كالقمر !! ، وكان معة رقعة صغيرة وضعها بجواره ، ، فقلت له : من أنت ؟ ، ومن الذي أتى بك إلي أبي

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية ، والسيوطي في الخصائص عن وهب

في هذه الساعة ؟

فقال : أما تعرفني ؟ أنا محمد رسول الله !

وهذه الورقة فيها الصلوات التي كان أبوك يصلي بها عليَّ ، فلما حضره مارأيت ! ، إستغاث بي ، فجئت لإغاثته .

قال : فانتبهت من نومي ، فكشفت الغطاء عن وجه أبي ، فوجدته قد ابيضَّ !.

فذلك الذي جعلني لا أرفع قدما ولا أضعها إلا بالصلاة علي رسول الله ﷺ .}}

٠ صِلَةُ الصَّلاةِ عَلَيْهِ ﷺ

أما الناحية الأخرى التي تقوي المحبة في رسول الله :

.... فهي الصلاة عليه ....

فإذا كنا نصلي عليه ؛ فينبغي أن نزيد جرعة الصلاة عليه الآن ، ويكفينا قــول الرسول ﷺ :

﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْراً حِينَ يُصْبِحُ وَعَشْراً حِينَ يُمْسِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٩)

عشر مرات فقط ...؟؟؟...!!!.. ....نعم !................

---

(٩) رواه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

الذي يصلي في الصباح عشر مرات ، وفي المساء عشر مرات ، قال : هذا وجبت له شفاعته يوم القيامة ، أظن أن الذي لا يستطيع أن يصلي في الصباح عشراً ، وفي المساء عشراً ، فهو عاجز جداً ، لأنها بأي صيغة ، وبأي كيفية ، وأنت متوضأ أفضل ، ولكن وأنت على غير وضوء يجوز......... لذلك فطالما أنت ماشي ، أو جالس، في العمل ، أو في أي مكان .: فاشغل لسانك بالصلاة على رسول الله ﷺ .

ولتعلموا علم اليقين : أن الصلاة على رسول الله هي أيضاً ذكر لله ، لأنك تقول : " اللهم صلّ " ، أليس هذا ذكر لله؟ ، وهل أحد منا يصلي عليه؟

نحن لا نعرف أن نصلي عليه ، فنقول له : يا رب أو ((اللهم)) أي ياالله .... صلّ أنت عليه ، لأننا لا نعرف كيف نصلي عليه ...(يا رب صلي على رسول الله) ، ورسول الله لا يحتاج إلى صلاتنا ، فلا يظن بعضنا أنه يحتاج لها ، لأن ربنا صلّى عليه والذي صلى عليه الله ..!!.. ، هل يحتاج لصلاة أحد آخر ؟

(إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴿٥٦﴾) الأحزاب

فإذا كان الله والملائكة ، ولم يقل صلى ولكن قال (يُصَلُّون) ... أي إلى الآن يصلُّون ، فإذا كان الله يصلي على رسول الله ! ، والملائكة تصلي على رسول الله ! ، فمن الذي يحتاج إلى الصلاة على رسول الله؟ ....نحن الذين نحتاج ،............ ما أحوجنا إلى الصلاة على رسول الله ﷺ ؟ .... لذلك يجب أن نكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ .

وعندنا من ضمن أورادنا ؛ ورد هو ذكر لله بأفضل الأذكار ، وهو في نفس الوقت صلاة لنا على رسول الله :

فنقول في الصباح مائة مرة ، وفي المساء مائة مرة : (لا إله إلا الله محمد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وســـلم) ، ... لأن الرسول ﷺ يقول :

﴿ أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ﴾ (١٠)

فنحن نقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، فنكون جمعنا الحسن كله ، وليس الحسنيين فقط ، لكن جمعنا الحسن كله ، فذكرنا الله بأفضل الأذكـــار ، ومعـــه رسول الله بالصلاة على رسول الله في نفس الوقت :

.... لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم....

كم تأخذ المائة مرة ؟ ، عشر دقائق! ، لا تستغرق عشر دقائق : ......

وأنا ماشي في الطريق ، أو راكب في القطار ، أو في العمل ، أو قبـــل النـــوم ، فالواحد منا يتقلّب في مضجعه ربع ساعة ، أو ثلث ساعة قبل أن يـــأتي النـــوم ..!. ، فأظلُّ أقول فيها ، حتى يغلبني النوم ! ، لأن هذا بمثابة الطلب الذي أقدمه لرسول الله ، حتى أمنح من المنح التي يتفضل بها عليه الله ، وأنال قسطاً من العطاء الذي يهبه له الله، فالذي يريد علاوة ! ، يقدم طلبا ؟ ، والطلب الذي أقدمه إلى الله حتى أحـــصل علـــى علاوة من العلاوات التشجيعية التي يشجع بها العمال في محبة رسول الله ؛ هي الـــصلاة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم..، فالذي يكثر من الصلاة علـــى رســـــول الله ﷺ ، مع مطالعة سيرته وصفاته وكمالاته ، وأصبح مشغولاً به على الدوام :

لا بد أن يكرم ، ولا يحرم ، لابد أن يكرم ....:... لأنه سر الجود ، والإكرام ، وإن كان الإكرام من الكريم سبحانه وتعالى ، فيكرم الله جميع المؤمنين المحبين له ﷺ ، لأجله صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١٠) رواه البيهقي عن طلحة بن عبيد الله بن سلام

وقد نقل الشيخ يوسف النبهاني في كتابه ((**سعادة الدارين**)) عن الإمام محمد بن عمر الغمري الواسطي ، قوله في كتابه ((**منح المنة في التلبس بالسنة**)) :

((إعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً ، وذلك عوناً له على سلوكه في الطريق ، وطلب القرب من ربِّ الأرباب دون غيرها من الأذكار ، فإن ذلك فتح لباب الهداية إلى الله تعالى .

فإنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبينه تعالى ، والدليل لنا عليه ، والمعروف لنا به ﷻ ، والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه ، فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ، ووسيلة إلى منازل القرب ، فهو ﷺ الواسطة بين الخلق وبين ربهم تعالى .

وأعلم أن مدد جميع الخلائق ، من الأنبياء والأولياء منه ﷺ ، وأن جميع أعمالهم تعرض عليه ﷺ ، وله ﷺ في كل أجر ، فإنه السبب في ذلك .

فالصلاة عليه من أعظم العون للتقرب إلى الله تعالى ورسوله ، وبها يكتسب النور ، ولا تزول الظلمة إلا بالنور ، ومعنى الظلمة ما يتعلق بهذه النفس من الأدناس ، وما بالقلب من الصدأ ، فإذا تطهرت النفس من الدنس ، والقلب من الصدأ ، زالت العلل المانعة للخير ، وذلك كله ببركته صلى الله عليه وسلم ، والإكثار

من الصلاة عليه ﷺ يثمر تمكن محبته من القلب .

ولما علمنا أنه لا يتوصل لاكتساب إتباع أفعاله وأخلاقه ﷺ إلا بعد شدة الاعتناء به ، ولا يتوصل لشدة الاعتناء به ، إلا بالمبالغة في حبه ، ولا يتوصل للمبالغة في حبه إلا بكثرة الصلاة عليه ﷺ ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فلذلك بدأ السالك بالصلاة عليه ﷺ ، فإن لها في تنوير الباطن ، وتزكية النفس ، عجائب يجدها السالك ذوقاً ، سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد ، التي يعجز عنها الحصر والاستقصاء .

فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ ، حتى يجني ثمرتها ، وتلوح له بركاتها ، وما هي في جميع منازل الطريق ؛ إلا مصباح يهتدى به ، ونور يستضاء به ، فمن عمر قلبه بالصلاة عليه ﷺ ، أطلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد }}

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ في كتابه ((**لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**)):

{{ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله ليلاً ونهاراً ، ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ، ونرغبهم فيه كل الترغيب ، إظهاراً لمحبته ﷺ، وإن جعلوا لهم ورداً كل يوم وليلة ، صباحاً ومساءً ، من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة ، كان ذلك من أفضل

الأعمال ، ومن واظب على ذلك ؛ كان له أجر عظيم ، وهو من أولى ما يتقرب به إليه ﷺ .

وما في الوجود ؛ من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثله ﷺ ، فمن خدمه على الصدق ، والمحبة ، والصفاء ، دانت له رقاب الجبابرة ، وأكرمه جميع المؤمنين }} .

وقال أيضاً في الكتاب المذكور:

{{ فاعمل يا أخي على جلاء مرآة قلبك من الصدأ والغبار ، وعلى تطهرك من سائر الرذائل ، حتى لا يبقى فيك خصلة واحدة تمنعك من دخول حضرة الله تعالى ، وحضرة رسول الله ﷺ .

فإن أكثرت من الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فربما تصل إلى مقام مشاهدته ﷺ ، وهي طريق الشيخ نور الدين الشوني ، والشيخ أحمد الزواوي ، والشيخ أحمد بن داوود المنزلاوي ، وجماعة من مشايخ اليمن ، فلا يزال أحدهم يصلي على رسول الله ﷺ ، ويكثر منها ، حتى يتطهر من كل الذنوب ، ويصير يجتمع به ﷺ يقظة أي وقت شاء ، ومشافهة ، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع ؟ ، فهو إلى الآن لم يكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ الإكثار المطلوب ليحصل له هذا المقام .

وأخبرني الشيخ أحمد الزواوي : أنه لم يحصل الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة ، حتى واظب على الصلاة عليه ﷺ سنة كاملة ، يصلي كل يوم وليلة خمسين ألف مرة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ((لا يكمل مقام عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ أي وقت شاء ، وممن بلغنا أنه كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة ومشافهة من السلف : الشيخ أبو مدين ، والشيخ عبد الرحيم القناوي ، والشيخ موسى الزولي ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ، والشيخ أبو العباس المرسي ، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر ، وسيدي إبراهيم المتبولي ، والشيخ جلال الدين السيوطي)) .

وقال أيضاً رضي الله عنه: ((قال لي مرة ، يعني الشيخ أحمد الزواوي : طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة ، ونسأله عن أمور ديننا ، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ، ونعمل بقوله ﷺ فيها ، وما لم يقع لنا ذلك ، فلسنا من المكثرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم }}

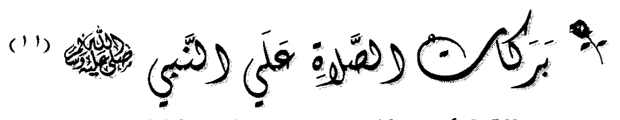
وقال الشيخ أحمد دحلان في كتابه ((**تقريب الأصول**)):

{{ ولهذا قال كثير من أئمة الطريق المقتدى بهم :

أن الاشتغال بالصلاة على النبي ﷺ من أعظم أسباب الفتح على العبد ، وأنها تقوم مقام الشيخ في التربية ، وقد وصل بها إلى معرفة الله تعالى كثير من العارفين ، ولم يكن لهم شيخ غير ذلك .

وكان أبو المواهب الشاذلي يقول: لله عباد يتولى تربيتهم

النبي ﷺ بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم }}.


بركات الصلاة على النبي ﷺ [١]

صلاة الله مطلوبي على المختار محبوبي

فأقصر طريق يوصل الإنسان إلى معيَّة النبي العدنان :

.... هو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ....

والسابقون أجمعون ، وهم الأدلاء والمرشدون الذين هيأهم سيدنا رسول الله ﷺ ليأخذوا بيد السالكين ، ويوصلوهم إلى محطة الأمان ، وإلى جودى الفضل على شاطئ سيد الأولين والآخرين ، أجمعوا على أنه ليس هناك طريق على التحقيق ، للدخول في معية النبي ﷺ ، أقصر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ ، وهذه المعية شاملة من

(إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴿٥٦﴾) الأحزاب

فالله والملائكة ...، من فينا لا يريد أن يكون في معيَّة الله ﷻ ، وفي معيّة ملائكته عليهم السلام أجمعين؟.... ومعيَّة الله تعني المعيَّة الجامعة ، ولم يقل معيَّة الودود ، أو معيَّة اللطيف ، أو معيَّة الرحيم ، لكن معيَّة الله تعني المعيَّة الجامعة لكل كمالات وجمالات الله ﷻ .

لأن اسم الله ؛ هو الاسم الجامع لجميع الكمالات والجمالات الإلهية (إِنَّ ٱللَّهَ

---

[١] هذه المحاضرة كانت بمنزل الحاج عوض زكي البشبيشي بالمدينة التجارية بمحافظة كفر الشيخ صباح يوم الجمعة الموافق ١٩٩٣/٦/٣م.

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ) لم يقل " صلوا " ، بل قال (يُصَلُّون) بل دائماً يصلون كيـف؟ .... هذا شئ ليس لنا شأن به ..!!.. ، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ) كم مرة؟ لم يحدد.

عندما ذهب الصحابي الجليل سيدنا أبي بن كعب لما نزلت هذه الآية إلى رسول الله وقال له :

ﷺ يا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي؟ فقَالَ «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» ﷺ .- وفي رواية : ﷺ إِذاً يَكْفِيكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ وَيَغْفِرُ لَكَ كُلَّ ذَنْبِكَ ﷺ [١٢]

حديث يفسر الآخر ، أي لو شئت جعلت كل وقتك للصلاة عليه بعد الفرائض المكتوبة ، يقول : يكفيك الله همك ويغفر لك ذنبك.

أما كيف يصلي الله؟ وكيف تصلي الملائكة؟ ليس لـك شـأن بهـذا (صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾) (سورة الأحزاب) ، سلم الأمر إليه ، وليس لك شـأن أنت ..!!.. ، وأنت عندما تصلي عليه ، هل تعرف كيفية الصلاة عليه ؟

---

[١٢] رواه الطبراني بإسناد حسن

قالوا : يا رسول الله أما السلام عليه فقد علمناه ، ولكن كيف نصلي عليك ؟ فسكت ، حتى قالوا : وددنا لو أننا لم نسأله ! ، ثم قال:

قولوا:" اللهم صلّ " ، لأنك لا تعرف أن تصلي ، فماذا أفعل؟ ، اعمل توكيل لله عز وجل ، وهو يصلي ، قل : اللهم صلّ ، كيف؟ ، ليس لك شأن ، أنت عليك أن تقول : اللهم صلّ ، وهو يصلي بما شاء وكيف شاء عز وجل .

يعني أنني لا أصلي ، بل أطلب من الله أن يصلي : ((اللهم)) يعني ((يا الله)) صلّ على سيدنا محمد ، كيف تشاء وبما تشاء لأن هذا أمر غيبي لا يعلمه إلا هو ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ .

كأنني عندما أصلي على النبي الآن ، لا تصبح صلاة فقط ، بل صلاة وذكر لله ، لأني قبل أن أصلي : أقول ((اللهم)) ، وهذا ذكر ، ثم ماذا؟ .." صلّ " ، فأصبحت ذكر الله وصلاة على رسول الله ﷺ ، وأصبحت الدليل العملي على حبي لهذا النبي ، قال ﷺ في حديث ما معناه :



ولذلك لما ذهب رجل إلى السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها وأرضاها ، وظل يتكلم عن الدنيا ، ويطيل فيها فقالت رضي الله عنها وأرضاها :

{{ لولا أنك تحب الدنيا لما ذكرتها ، قال لها: لماذا ، ؟ قالت : لأن من أحب شيئاً ؛ أكثر من ذكره.}} .

صلاة الواصلين على النبي ﷺ

وأنا أحب النبي. ما الدليل؟

أنني مشغول دائماً بحضرة النبي ﷺ ، حتى أن الصَّالحين قالوا :

الذي يروى أرواح السالكين والمريدين ، والذي يغذيها ، ويرقيها ، وينميها ، ويصفيها ، ويزكيها ، حتى ترتفع الحجب عنها ، وترى نور سيد الأولين والآخرين ، هو الصلاة على النبي ﷺ بدوام الإنسان عليها .

وماذا عليك وأنت تسير في الطريق ، أن تصلى على النبي؟ أو وأنا راكب ، أو وأنا في العمل ، بدلاً من السكوت أسير وأنا أصلي على النبي ، ماذا علي في هذا الأمر؟ ، أفيه تعب؟ ، أسأدفع شيئاً؟ ، أو لساني سيملُّ ؟ ، أو يكل ؟ ، أو يحتاج إلى فيتامينات ؟ حتى يقوى ويتكلم كثيراً؟ .... أبداً ....

بل بالعكس ، فاللسان عندما ينشغل بذكر الله ، وبالصلاة على النبي ﷺ يصبح خفيفاً ولطيفاً ، ولا يحس بتعب أبداً ، حتى أن الإنسان يصل لمرحلة أنه بكل حقائقه يصلى على النبي ﷺ ..!!.. ، كيف هذا؟

أولاً : هو يصلى عليه بلسانه ، بعد فترة يزيد الحب ، فيحاول استحضار معانيه ، ويحاول استحضار صفاته ، ويحاول أن يتذكر جميل نعوته ، ويحاول أن يعرض على الله عز وجل فقره وذله واغترابه ، ليبين له الله ذرة من كمالاته المحمدية ، أو يعرض عليه مشهداً من جمالاته الأحمدية ، أو يقيمه في مواجهة معه صلوات الله وسلامه عليه ، ينال بها السعادة الأبدية .

كل هذه الأشياء تجعله بعد فترة لسانه يذكر ، وقلبه يستحضر المعاني المحمدية ، معاني هذه الحضرة ، وصفات هذا الجميل صلوات الله وسلامه عليه ، وعندما ينشغل

بهذه الصفات ، وهذه الجمالات ، يكرمه الله ﷻ برؤيته صلوات الله وسلامه عليه مناماً ، فإذا أكرم برؤيته صلوات الله وسلامه عليه مناماً ، تعلق به أكثر فيدعوه هذا إلى التشبه بأخلاقه ، وإلى كمال التأسي بكمالاته وجمالاته صلوات الله وسلامه عليه ، حتى يصير في حاله وسلوكه وفي خلقه وفي هديه وفي سمته نسخة مصغرة جداً جداً جداً ، من الحضرة المحمدية ، يعني في كرمه وفي لطفه وفي أنسه وفي بره وفي وداده وفي صفاته وفي جماله وفي بهائه ، يصبح صورة مصغرة جداً جداً من الحضرة ...

وهنا يحدث التشابه بينه وبينه ، ويفاض عليه من سر هذه المشابهة ، ما لا يستطيع أن يذكره أحد من الأنوار المحمدية ، والعلوم الوهبية ، والأسرار النورانية ، وغيرها من أصناف المواهب التي تفاض من قلبه صلوات الله وسلامه عليه ، على كمل العارفين رضي الله عنهم وأرضاهم ، والتي يقول فيها الصلوات الله وسلامه عليه :

﴿ مَا صُبَّ فِي صَدْرِي شَيْءٌ إِلا صَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ ﴾

رضي الله عنه وأرضاه.

أسباب انشغال العارفين بالحضرة المحمدية

من أجل هذا ، نجد العارفين مشغولين بحضرة النبي :.... لماذا لا ينشغلوا بالله مباشرة كما يقول الناس في هذه الأيام؟ ..!!..، لأنهم يشاهدون أن شغلهم بالنبي ، هو شغلهم بالله ، لكن على المنهج الذي وضعه الله وكيف؟ ....!!..

كل الذي يريدونه أن ينالوا رضا الله، فالذي يريد رضا الله قال سبحانه له :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب

فالذي يريد أن ينال رضا الله ، ينظر إلى هذا الرجل ، كيف كـــان يـــسير ؟ ، ويسير مثله ! ، حتى يرضى عنه ، كما رضى عنه .

من الذي أخذ الرضا؟

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الآية ١٨ سورة الفتح

فالذين بايعوك ، والذين معك ، ويطيعوك ، ويتبعوك ، ... أنا رضيت عنهم ! ، وعندما جاء ليبايعهم ، قال له : اجعلهم يتنبهون أن ...:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية ١٠ سورة الفتح

ما اليد التي كانت فوق أيديهم؟

لم يقل يد الله فوق أيديكم ، لأنه لو قال ذلك لكانت يد الله المعنويـــة الحقيقيـــة فوق أيدي الكل بما فيهم يد رسول الله ، لكنه قال ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ هم ، وليست يدك أنت معهم ، لكن ما هي اليد التي كانت فوق أيديهم؟ ، إنهـــا يـــد رسول الله ﷺ ، ومعناها أنه يقول له : ..... إنك أنت في هذا المقـــام نائـــب عـــن الحضرة العلية ، ..... ومندوب عن الذات الإلهية في مواثقة ومعاهدة هؤلاء القـــوم ، على الجهاد في سبيل الله ﷻ .

ولذلك عندما قال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ (الآية ١٠ سورة الفتح) ، لم يقل "كأنما يبايعون الله " ، إنما قال ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (الآية ١٠ سورة الفتح) ، أي أنهم يبايعون الله في الحقيقة .... ، أي إنك في هذه الحالة ..: بالنيابة عـــن حضرة الله ﷻ ..!!.. .

فخلق الله الخلق ، وخلق هذا السيد العظيم ، على الكمالات التي يرتـضيها ، وعلى الجمالات التي يحبها ، وعلى الصفات التي يرضى عنا بها ، وكأنه قال لنا :

من أراد أن نحبه ، ونرضى عنه ، ونعطيه ، ونحبوه ، فعليـه أن يتـصف بهـذه الكمالات ، ويتخلق بهذه الأخلاق الفاضلات ، ويتجمل بهذه الجمالات ، التي ظهرت في هذا المحبوب الأعظم صلى الله عليه وسلم.

تحقيق الوصول بأصل الأصول

فالذي يريد أن يصل إلى الله كيف يصل؟ .....لا بد أن يرى هذا الرجل :

وكيف يمشي؟ وما صفاته؟ وما نعوته؟ وما جمالاته؟ ويمشي على مثاله ، ويمـشي على منهاجه ، ويحتذي على منواله ، حتى ينال رضا الله ﷻ.

إذاً يا إخواني حب رسول الله ﷺ ، ليس كما يظن بعض الناس الغير فـاهمين الذين يقولون (خليك مع الله على طول) ، فأنا مع الله ، ولكن من الذي عرفني بـالله؟ .... رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.... ، ومن الذي نزل عليه كلام الله؟ ، ومن الذي بلّغنا رسالة الله؟ ، ومن الذي وضحَّ لنا جمال الله وكمال الله وبهاء الله وغيـوب الله؟ ، فلو ربنا لا يريده في السكة !! ، لكان عرَّفنا بنفسه من غير وساطته .

لكنه ﷻ جعله واسطة بينه وبين خلقه ، لأنه ﷻ في ذاته الإلهيَّة وكمالاتـه القدسيَّة ، وصفاته ونعوته الصمدانيَّة ، لا يستطيع أحد من الخلائق أن يـدرك حقيقـة هذه الجمالات ، قال ﷺ في معنى حديثه الشريف :

﴿ كُلُّ الخَلْقِ حَمْقَى فِي ذَاتِ اللهِ حَتَّى الرُّسُل ﴾

من الذي يستطيع معرفة هذه الغيوب؟ ، ومن الذي يستطيع أن يطلع على هذه الكمالات؟ ...... لكن رسول الله بما آتاه الله من مواهبه العلية ، أطلعه الله ، وكاشفه الله ، وبين له الله .

وهو صلوات الله وسلامه عليه ، بيَّن لنا على قدرنا ، وعلى قدر القوابل الموجودة في قلوبنا ، وعلى قدر النيات والقصود الموجودة في أرواحنا ، ... بيَّن لنا صلوات الله وسلامه عليه ، ما يليق بنا من الأحوال العلية ، وما يلائمنا من الأخلاق والصفات الإلهية ، وهو ﷺ الواسطة ، ولولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط..

هذا يا إخواني الذي جعل العارفين يهتمون بسيدنا رسول الله ، فكلما كان الرجل منا أقرب شبهاً إلى سيدنا ومولانا رسول الله ، كان أقرب منزلة إلى حضرة الله، وكلما كان أكمل في الاتباع لسيدنا ومولانا رسول الله ، كلما كان أعظم في الحظوة والفضل من الله ﷻ، ، وليس كما يظنون أننا نجعله شريكاً في الأمر مع حضرة الله ، فهذا الفهم لا يوجد عند أحد ولو من صغار المسلمين .

كل ما فهمناه :

أن هذه هي الصورة المحبوبة ، وعلينا لكي نكون محبوبين ، أن نتخلق بأخلاقه ونتجمل بجمالاته ، حتى ننال رضا رب العالمين ﷻ ، فأتعلق وأنشغل به ﷺ ، فهو أصل وصول العارفين ، وبه اتصلوا ، وبه وصلوا .

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا بحسن متابعته ، وأن يكشف لنا عن أسرار محبته ، وأن يذيق قلوبنا بعض رحيق محبته ، وأن يجعلنا من الآنسين بمعيته ، ومن الشاربين بكأس محبته ، ومن الناهلين من علوم أهل ولايته ، ومن الواصلين إلى مراضي الله بحضرته ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقيقة الوصول إلى معية الرسول

سؤال : ..... ما أفضل صيغة يصلي بها الإنسان على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، أو بمعنى آخر : بعضهم يقول : أريد صيغة أصلي بها ! ، من أجل أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الجواب : كل الذي كتبه العارفون في هذا الأمر ، وكل واحد كتب على مذهبه ، وعلى مشربه ، عن الصيغة التي وصل بها إلى رسول الله ﷺ ، قال : هذه هي.

لكن إذا نظرنا إلى لب الأمر ، وحقيقة الأمر ، فهو لم يصل بالصيغة ، ولكن وصل بالحب الموجود في قلبه أثناء أداء هذه الصيغة .....!!...، فحب رسول الله يجعل فؤادك مشغولاً بالنظر إلى محياه ، وصلّ عليه بأي صيغة ، يكشف لك الله عز وجل عن جمال حضرته ، وبهائه صلوات الله وسلامه عليه.

ليس الموضوع موضوع الصيغ :

أنا أصلي بصيغة سيدي عبد السلام بن بشيش (اللهم صلَّ على من انشقت منه الأسرار وانفلقت منه الأنوار) ، أو بصيغة سيدي أحمد البدوي ، أو بصيغة سيدي إبراهيم الدسوقي ، لكني أصلي وأنا مشغول ، وقلبي مع العيال ، أو المشاكل ، أو المشاغل ، سآخذ الأجر والحمد لله ، لكن لن أخذ الفضل، واحد يريد الأجر ، وآخر يريد الفضل .

وما هو الفضل؟ ..... فالفضل أني أراه ، وأتصل به ، وأتكلم معه ، أن أكون طوع أمره ، يوجهني أفعل هذا، وسوى هذا ولا تفعل ، هذا لأنني ماشي بالأمر منه دائماً ، فهذا هو الفضل .... وأي صيغة بعد ذلك تصحُّ.

ولذلك فإن أحد العارفين كانت الصيغة التي وصل بها لرسول الله ، طوال جلوسه ، أو ذاهباً ، أو عائداً، أو ماشياً، أو نائماً يقول : عليه الصلاة والسلام ؏ عليه الصلاة والسلام ؏ عليه الصلاة والسلام ؏ فقط، فالناس تسمع : عليه الصلاة والسلام ، ولكنه في الحقيقة ....:

عندما يراه أو يرى قبساً من أنوار الحضرة يقول : عليه الصلاة والسلام ؏ عليه الصلاة والسلام . فهذا وصل بهذه الصيغة ، فهو أولاً وصل بقلبه ، وبالقلب الذي امتلأ بحب النبي ﷺ ، فأي صيغة بعد هذا توصل إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكن الفتوحات التي نعرفها الخاصة بالإمام أبي العزائم ، والتي نقرأها ، هي من أعظم الأبواب للدخول على مولانا رسول الله ﷺ لكن كيف؟

ليس كما يقرأها بعض إخواننا الآن ، ويريدون أن ينتهوا منها عندما يجتمعون في ثلث ساعة ، ثم يقومون ، وكأن كل واحد منهم عليه حمل ثقيل ، يريد أن يلقيه من على ظهره ويقوم ، ولكنها ليست كذلك..... فإني كنت أقولها بعد صلاة الصبح في ساعة ، أو ساعة إلا عشرة ، وأترنم بها ، وأغني بها ، وأقولها بوجد وشوق ، وأتلذذ بها.

هذا الذي يجب أن نكون عليه :

فبهذا عندما يصلي عليه ، يستحضر المعاني ، ويستحضر هذه الكمالات ، حتى يستطيع أن يستقبل أنوار الحضرة المحمدية ، لكنا نقولها كلام ، فنأخذ الثواب ، لكن الفضل يحتاج شيئاً آخر ، يحتاج حضور واستحضار مع رسول الله ﷺ .

بعد هذا ما هي الصيغة؟ أي صيغة تصح، فمثلاً أنا معي سيارة مرسيدس موديل ١٩٩١ ، والمحرك يحتاج إلى عمرة ، وآخر معه سيارة أوبل موديل ١٩٢٠ ، لكن

المحرك سليم ، أيهما توصل أسرع ؟ فالمهم المحرك ، وليس هنا المهم ماركة السيارة ، لكن المهم المحرك، فأيضاً المهم عندك المحرك .... وهو القلب ..!!...

فهو الذي سيوصلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان قلبي سليم ، فأي صيغة تصح ، وأريد أن أقول شئ لكم : من الممكن أنكم لم تسمعوا أنه يوجد كبار أولياء ، وصالحون ، ولهم كشف ، ولهم كرامات ، ولا يعرفون أن يتكلموا العربية، فيوجد أولياء في إيران ، وفي أفغانستان ، وفي روسيا ، وفي الهند ، والصين ، أولياء ولهم كرامات ، لا تعد ، ولا تحد ، ولا يعرف أحدهم أن يتكلم اللغة العربية ، فكيف وصل إلى هذه الدرجة؟

إنه يتكلم باللغة الإلهية ، وهي لغة القلوب ، فيعرف يستحضر نفسه مع الله ، ويخشع مع الله ، فالمهم القلب ..!!.. ، فما دام الإنسان قلبه سليم ، فليصلِّ بأي صيغة .... !!... يصل إلى الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم.

حياة رسول الله الحقيقية

سؤال : الحديث الذي يقول :

﴿ مَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ .... ؛ إِلا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي .... ؛ فَأَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام ﴾ (١٣)

فهل رسول الله ﷺ ميتٌ ؛ حتى يرد الله عليه روحه ؟

الجواب : .... لا ....، فروح رسول الله ﷺ في الحضرة العليَّة ، .. لا تبرح عنها، أي أنه مجموع على الله .

---

(١٣) رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا ما يسمونه جمع الجمع على حضرة الله ، لا يريد أن يبرح عن بابـــه ، ولا يخرج من رحابه طرفة عين ، فإذا صليت عليه يقول له (زي بعضه إحنا مسامحينك روح سلم عليه) .

كما كان يسهو في الصلاة هل كان يسهو مثلنا؟ نذهب إلى البيت أو إلى العمل؟ .... لا ....

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ✳ والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شئ سره فسها ✳ عما سوى الله فالتعظيم لله

استغرق في شهود الحضرة ، فنسى العوالم الكونية ، وليس مثلنا ...، سها مـــن أجل أنه تذكر زوجته أو ابنته أو عمله ، فهو ﷺ في شدة الجمع على حـــضرة الله ، لأن الله قال له:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ النجم

أي نحن معك ، وأنت لم تلتفت عنا طرفة عين ، وقد عرض عليه الملكوت كلما يعرض عليه سماء أو جنة أو ملكوتاً يقول : لا انشغل بهذه الأشياء ، فقال له :

أنت لا يوجد مثلك في حضرتنا ، عرضنا عليك الـــسماء الأولى ، والثانيـــة ، والأنبياء ، والجنة ، والعرش أيضاً ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

كل هذه الأشياء ، ولم تلتفت ، ونريك الآيات الكبرى أيضاً ، لكنه لا يريد إلا الحضرة ، فأصبح في مقام يسمونه جمع الجمع ، يعني مجموعاً بكله على حضرة الله ، لا يلتفت نفساً إلى سواه ....، فإذا سلم عليه واحد من طرف لـــه ؟ الله إذن لـــه الله أن يهبط من عليائه ، وأن يتترل من علو بهائه ، ليصلى عليه ويحمله إلى حضرة الله ﷻ .

لكن سيدنا رسول الله ، حي حياة كاملة.

وإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، فإذن هو حي عند الله ، وليس عند الرب حي عند الله ﷻ حياة سرمدية أبدية أزلية ، وليس هو وحده ، كلنا سنحيا ولا يوجد أحد يموت :

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

الآية ٥٦ سورة الدخان

حتى الكفار أنفسهم ، وأنت تعلم الحديث الذي يقول :

﴿ يَا فُلانَ ابْنَ فُلانٍ ، يَا فُلانَ ابْنَ فُلانٍ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جِيفُوا؟ ، قَالَ : لا إِنَّهُمْ أَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلامَ ﴾ (١٤)

﴿ وَالْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ﴾ (١٥)

فكيف يكون ميتاً ، وينعم بالخير ؟ ، أو ميتاً ويحس بالعذاب؟ ، فكلهم أحياء ، والدليل على ذلك ، أننا عند القبور نقول : السلام على المؤمنين ، أو نقول : السلام عليكم ، فالحديث يقول :

﴿ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا ، إلا وَرَدَّ اللهُ رُوحَهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَائْتَنَسَ بِهِ مَا دَامَ وَاقِفًا عِنْدَ قَبْرِهِ ﴾ (١٦)

فهم غير موتى ، إما أحياء عند ربهم يرزقون ؛ إذا كانوا من الصالحين ، أو أحياء

---

(١٤) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(١٥) الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه .

(١٦) رواه ابن أبي الدنيا وابن عبد البر في التمهيد من حديث عبد الله بن عباس ﷺ

مسجونين ؛ إذا كانوا من الكافرين ، إما مسجون في زنزانة من جهـــنم ، أو يرتـــع في روضة من رياض الجنة ، ... لكن في كلتا الحالتين فهذا حيٌّ ، وهذا حيٌّ .

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ آية٢٥ نوح

متى هذه النار ؟

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر

فهذه النار هنا ، يعذبون فيها الآن ، .... فكيف يعذبون في السماء ثانية ؟

حياة أخرى ، حياة معنوية ، ليست مثل حياتنا ، ولكن حياة أخرى يعلمها الله ، فرسول الله حيٌّ الآن حياة سرمدية أبدية ، لا يعلمها إلا الله عز وجل .

حتى المؤمن يصل إلى مقام لا يصل إليه الملك ، لأن المؤمن يـــصل إلى مقـــام لا يستطيع الملك أن يصل إليه ، فالمؤمن كم قال الحديث :

{ وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ }(١٧)

فالذي يسمع بسمع الله .!. ، هل يستطيع الملك أن يصل إلى مقامه ؟ ، لا !.

لأن الملك يسمع على قدره ، لكن الذي يسمع بـــسمع الله ، يـــسمع جميـــع الأصوات ، بجميع اللغات ، في جميع الجهات ، في وقت واحد ، هذا هو الذي يـــسمع بسمع الله، والذي يبصر ببصر الله ، أعلى من الملك ، لأنه يبصر جميع الجهات ، وجميع

(١٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه

وجميع السكنات ، وجميع الحركات ، في الظلام ، وفي النور، والذي يتكلم بلسان الله هذا يكلم جميع الحقائق بلغاتها، ولهجاتها، وهو بهذا أفضل من الملك .

إذا كانت هذه الحالة يصل إليها الأنبياء العاديون فهو ﷺ أولى ، وقد وصل إلى هذه الحالة ، فيسمع بسمع الله .

والدليل أعطاه لنا في الإسراء والمعراج ....: كيف يتم في الحالة البشرية أنه يذهب إلى بيت المقدس ، ويصلي بالأنبياء ، ويدخل ويؤمهم ، ويصعد إلى السماوات سماءا تلو سماء ، ويكلم الملائكة والجنة، والنار، والعرش، والكرسى، ويعود وفراشه لم يبرد؟...!!!... كيف تقبل بالحالة البشرية؟

إذن هي بالحالة الإلهية ، التي ليس بها المسافات ، أو الجهات ، أو هذه الأشياء. ، كيف تتم كل هذه الأمور في هذه اللحظات إلا بالحالة الإلهية؟

وهذه تتم معنا أيضاً لكن في عالم المنام ، الواحد منا أحياناً يحصل في المنام الواحد ما لا يستطيع الجسم أن يقطعه ! ، فأرى أني ذهبت إلى مكة ، وطفت ، وسعيت وذهبت إلى المدينة ، وزرت سيدنا رسول الله ، ورجعت ، ثم استيقظ من نومي ، فأجدني كما أنا ، مكاني ، ...فهذه الأمور لكي أفعلها بالجسم كم من الوقت تحتاج؟ لكن الروح تقطعها في لحظة .

وهذه الأمور تحدث لنا في المنام ، وهو ﷺ تحدث معه في اليقظة ، فهو لا يوجد شئ يشغله ، فهذا بالنسبة له معالم ظاهرة ، بالنسبة لنا الواحد منا مشغول ينام ويصحو ، لكنه بالذات قلبه طاهر ، فكان يسمع بسمع الله ، وينظر بنور الله ، ولذلك سيدى عبد الوهاب الشعراني قال :

{{ ما من مرة أجلس في التشهد في الصلاة وأقول :

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، إلا وأراه أمامي ، وأسمعه وهو يقول ، وعليك السلام يا عبد الوهاب.}}

فإلقاء السلام سنة ، ورد السلام فرض ، وهو يعلمنا ..!!.. ، فمن غير المعقول أنه لا يرد ، بل لابد أن يرد ، ويرد على الكل كيف؟...!!!.... ، كما قلنا الآن لا تتعجب ...!!.. ، إذا كان بلسان الله من باب (ولسانه الذي يتكلم به) ، لأن السلام خاص به ، وإذا نظرنا إلى الناحية الأخرى قال : (كنت سمعه الذي يسمع به) .

ولذلك فالآية .. :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء

فإنه في هذا المقام .:

السميع بسمع الله ، البصير ببصر الله ، وإلا لما استطاع أن يسمع ويرى شيئاً ، لو لا أن تفضل الله عليه بسمعه وبصره في هذا المقام ، حتى لا تتعجبوا من هذا الحديث فإنه كان يسمع بسمع الله ويبصر ببصر الله وليس معنى أنه السميع البصير ... أنه الله ..لا ..:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ✳ واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فنحن لا نقول فيه أنه إله ، بل إنه عبد ، ولكنه عبد تفضل عليه الله ، تفضل عليه الله بسمعه وبصره في هذا المقام .

ملك الملوك إذا وهب ✳ لا تسألنّ عن السبب

لا تتعجب ! ، فكل شئ ممكن ، وهل يوجد شئ غريب على قدرة الله ؟

قال ﷺ:

﴿ أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ﴾ (١٨)

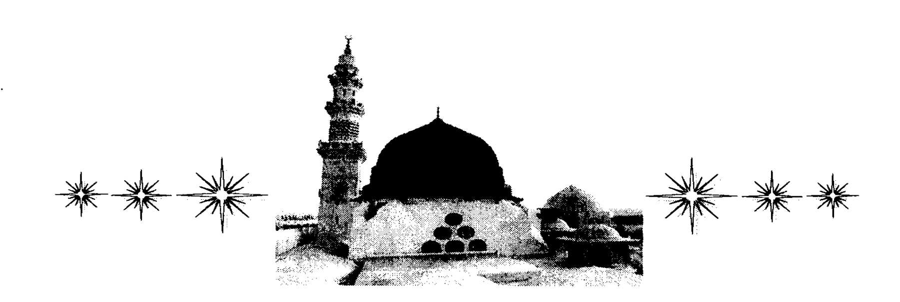
أما المؤمنون .: فعلى قدر قلوبهم .

والمحبُّون ....: على قدر حبهم ، فلكل مقام مقال .

فالعبد ليس معه إلا الذل والإنكسار ، لكن عبداً ذليلاً .... تفضل عليه المولى عزَّ وجلَّ بالعزِّ ، فأصبح عزيزاً بالعزيز سبحانه وتعالى :

فلبسنا ثوب عزٍّ بعد خلع للرقاع

فالحمد لله ، لا يوجد أحد في الأمة المحمديَّة قال إنه إله ، بل هو عبد الله ورسوله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



(١٨) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضى الله عنهما .

الباب العاشر

مَقَامُ التَّدَانِي فِي قَابِ قَوْسَيْنِ

- كنُوزُ الإِسْــــرَاء
- بَيْنَ حَبِيبِ اللهِ وَأَنْبِيَاء الله
- الْمَقَــام المَحْمُود
- مَنَــازِلُ القُــرْب
- الْحَيَاةُ الإِيمَانِيَّــة
- مَقَــامُ الْمُدَارَسَة
- الْمَحَاسِنُ الرُّوحِيَّة
- مَقَامَاتُ الْمُحِبِّين
- أُنْسُ الأَفْرَادِ الْمُرَادِين
- الْمُجَاهَدَةُ لِلْمُشَاهَدَة
- سِرُّ جَمْعِيَّةِ الأَنْبِيَــاء
- الْمَقَــامُ الأَكْمَــل

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ*
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَىٰ* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
مَا أَوْحَىٰ*

آية ٨-١٠ سورة النجم

مَقَامُ التَّدَانِي فِي قَابَ قَوْسَيْنِ[1]

الحمد لله فتاح القلوب لتنزل معاني أسرار الغيوب ، ومهيئ لطـائف الأشـباح لتناول الراح من حضرة الكريم الفتاح ، فسبحان من جعل الإنسان وهو من سلالة من طين ، يفك رموز أسرار التكوين ،ويفقه الحكمة العالية من رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، الذي رقـاه مـولاه وأدناه ، وقربه وحباه ، حتى جعل على يديه الخير لكل عبد مقرب لله ، من بدء البـدء حتى نهاية النهايات ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه وكل مـن سـار على هديه إلى يوم الدين ، آمين ....أمَّـــا بعد .....

فيا إخواني ويا أحبابي ..... فنحن جميعاً والحمد لله ، تحيا قلوبنـا ... بإسـراء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كُنُوزُ الإِسْرَاء

إسراؤه العالي يجدد صفونا ✳ نعطى به خيراً يدوم كل عام
بشرى لنا بشرى لقد نلنا المرام ✳ أسرى الإله بسيد الرسل الكرام

و الإسراء و المعراج يا إخواني .... :

هما كنوز الغيب الإلهية للأرواح التقيَّة النقيَّة ، فيتناول منها العارفون فـصوص الحكم ، ودرر المعاني ، وغيوب الأسرار ، ليناولوها في حضرة النبي المختار ، للمقربين و الأطهار و الأبرار .

---

(1) كان هذا الدرس بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة ، بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج ليلة الخميس ٢٦ رجب ١٤١٥هـ ، الموافق ٢٩ من ديسمبر ١٩٩٤م.

نسأل الله أن نكون جميعا من الجالسين علي هذه المائدة ، مائـــدة الفضل الإلهي والعلم الرباني ، و الشراب المحمدي ، نحن و إخواننا أجمعين .

وهذا الكتر منه عامّ لجميع أهل الإسلام ، وهذا نذكره في خطـــب الجمـــع و المجالس العامة ؛ وكلمة المجالس العامة بالنسبة لإخواني وأحبابي الدعاة ، يقـــول فيهـــا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

{{ لو كان في المجلس ألف رجل من أهل مقام الإحسان ، ورجل واحد من أهل مقام الإسلام ، فلا علي الداعي أن يضيِّع ليلة بأكملها حتى لا يكشف السرَّ لغير أهله.}}

يعني عليه أن يقضي الليلة بأكملها في الحديث عن الإسلام ومقـــام الإســـلام لماذا؟ ، حتى لا يكشف الدرر ..!!.. ، كما قال سيدنا عيسى عليه السلام :

{{ لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير }}

والحكمة أغلى من الجواهر، والذي لا يقبل الحكمة شرّ من الخنازير .

فمنه عام لجميع أهل الإسلام ، ومنه خاص لأهل الإخلاص ، ومنـــه خـــاص الخاص للخواص وأهل الإختصاص ، وفيه أنوار لا تلوح إلا لقلوب صفت من الحظ و الأكدار ، وفيه أسرار لا تظهر إلا لقلب نقى من الأغيار ، وفيه مالا يستطيع أن يـــبين عنه الإنسان بالعبارة ولا أن يشير إليه بالإشارة ، لأن هذا سر الله مع حبيبه ومصطفاه .

والحقيقة يا إخواني أننا جميعاً عاجزون عن الخوض في هذا الميدان ، وكلنا لسنا من فرسان الحديث في هذا الموضوع ، إلا إذا عمَّنا فضل الله وأتحفنا إسعاف رسول الله ، ووالتنا الإغاثة من بحور الفضل الإلهي، فتعمُّـــــنا ، وتعمُّ إخواننا ، والفضل في ذلك لله .... أولاً ، وآخراً ......

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة يونس

فنحن كلنا ضعفاء في هذا الميدان ، والكلام الذي قرأه مثلي ، أو سمعه غيري من الكتب أو من العلماء ، كلها قشور إذا لاح النور ، وكلها رذاذ إذا شرب الإنسان شربة واحد من معين رسول الله ﷺ ، فهو يريد من الإنسان ليفقه أسرار الإسراء والمعراج ؟ ، أن يلقى نفسه على الأعتاب ، خاضعاً للجناب ، وقد فرَّغ القلب مما سوى الوهاب ، ويقول كما يقول الصالحون ... :

أنا الضعيف ارتمى على أعتابكم ✳ منوا بوصل واسعدوني بفضلكم

هذا يا إخواني السبيل الوحيد ، أو المفتاح الأكيد الذي يفتح لك به أسرار الحميد المجيد ﷻ .....

بين حبيب الله وأنبياء الله.

الإسراء قد يتحدث فيه بعض الدُّعاة عن الفرق بين حبيب الله ، وصفيَّ الله ، وأنبياء الله ، وما لنا وما لهذا المجال ؟ ، ...... لأن هؤلاء كما قال الله :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ٢٥٣ سورة البقرة

فالذي فضَّل هو الله ، ويكفينا في هذا المجال أن الله ﷻ الذي أسجد لآدم ملائكة السموات ، أسجد لسيدنا محمد ﷺ جميع أرواح الكائنات ، من بدء البدء إلى نهاية النهايات ، فما من روح ظهرت أو ستظهر في الوجود ، إلا وسلمت لسيد الوجود في هذا اليوم المشهود .. ، وبعد ذلك لا كلام ...!!!... ، لأن الكل انطوى في

المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

لكني أريد أن أتحدث مع إخواني ، وكلنا والحمد لله من أهل الصفا والوفا ، عن لمحة من أحوال الإسراء لعل الله أن يجعلنا جميعاً من أهل الإسراء والمعراج إن شاء الله.

في الإسراء والمعراج :

ثبت الله عز وجل المقامات الروحانية ، ووضح الطريق الموصل إليه ، الذي يرغب فيه أهل الخصوصية ، فالذي يريد أن يصل إلى الله وضح له الطريق ، وبين مراحله ومراتبه ، ومكافآته ، ومقامته بأجلى بيان .... لا يحتاج المرء بعد ذلك إلى بيان و، لكن كل ما يحتاج إليه ؛ أن يدعو نفسه للعيان .... فليس بعد هذا البيان بيان .

المقام المحمود

فمن أراد الوصول إلى الله ، فلتكن بدايته هي بداية رسول الله ﷺ ، ينقّي قلبه من الأغيار ، ويغسله بالماء المعين ، والعلم النافع المدار على قلوب الأطهار والأبرار ، ثم يقيم بدنه وجسمه في مقام الأخيار ، عاملاً بطاعة الله ، وخاصة في الوقت الذي أسرى فيه الله بحبيبه ومصطفاه ......

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة الإسراء

فالذي يريد المقام الذي يحمد فيه ، ويحمده عليه أهل السموات ، وعمار الملكوت ....: فلابد وأن يكون له سير إلى الله في الليل ، لابد وأن يكون له قسط بين يدي الله في جنح الظلام ، والناس نيام ، ولا يعلم به أحد إلا الواحد الأحد .

ولو فحصنا دواوين الصالحين ، وحكايات المقربين ، لوجدنا العجب العجاب في هذا الباب ، فما دارت عليهم الأكواب من طهور الشراب ، إلا في الليل والناس نيام ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم عن هذا المقام :

سقوني الراح في ليل التداني ✳ بكأس النور من بحر المعاني

فالكأس من النور ، والبحر بحر الحبيب بحر معاني ، وليس بحر مباني ، كالتي نصطاف عليها هنا ، متى يحدث هذا؟....!!..؟؟ ... لابد وأن يكون له سير في الليل إلى الله ﷻ ، ومن أجل هذا قالوا في حكمهم :

{{ من لم تكن له في بدايته قومة ، لم تكن له في نهايته جلسة }}

وعندما سألوا الجنيد رضي الله عنه وأرضاه بعد أن عجبوا من الأسرار التي أفاضها على لسانه الله ، أشار إلى حجرة صغيرة تحت سلم بيته ، وقال لهم : هذه الأسرار من هذه الحجرة، يعني من التجلي بين يدي الله في الأسحار والناس نيام ، لأن هذا وقت الصفاء مع الواحد الأحد ﷻ ، وكذا عندما سألوا الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه وأرضاه ، لماذا خص ربنا وقت السحر باستجابة الدعاء؟ فقال :

{{ لأن هذه هي اللحظة التي ولد فيها سيِّد الأنبياء ﷺ }}

فهذه هي لحظة الإجابة ، فإذا سار الإنسان إلى الله ، فعليه أن يفعل كما فعل الصالحون فيكون له وقت من الليل ، ولا يحب أن يطلع عليه أحد بالنهار ، حتى كانوا رضي الله عنهم وأرضاهم يقومون الليل كله ، فإذا أصبح الصباح .. ، يضع أحدهم على شعره زيتاً .... ، وفي عينيه كحلاً.... ، حتى إذا مشى ... ، لا يلاحظ عليه الناس أثر السهر .!! ، .. لماذا؟ (قال تعالى في الآية ٢٨ سورة الكهف) .....:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

لا يريدون أحداً من الناس ، فالذي يلتفت للناس يكون يا إخواني قد وقــع في اللبس والإلتباس ، وضاعت مكانته عند ربِّ الناس عز وجل .

فخلِّ الخلق خلفك ثم عامل ✳ بصدق ذات مولاك العلية

منازل القرب

ثم ذكر رسول الله ﷺ منازل القرب ومراتب الرجال : ....وهــي إلى يــوم القيامة كما بيَّنها وذكرها في تلك الليلة المباركة ، فمنا من يلتفت إلى هذه المنزلة مــرَّة وإلى غيرها تارة .....قال تعالى (الآية ١٥٢ سورة آل عمران):

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾

هؤلاء جماعة وجماعة ، لكن يوجد جماعة فينا يريدون الإثنين معاً :

يلتفت إلى هذه وقتاً ، ويلتفت إلى الأخرى وقتاً آخر ، وهذا لن يترقى أبداً عن المرتبة الآدمية وسيظل واقفاً عند هذه المنزلة الآدمية ، وليس له في الحياة الروحانيــة ؛ لأن سيدنا آدم كان يلتفت مرة لأهل السعادة ، ومرة لأهل الشقاوة ، وهذا كــذلك .... لأنه يلتفت حيناً لأهل الله يريد أن يسير معهم ، ويلتفت أخرى لأهل الدنيا يريــد أن يصبح مثلهم ، وبذا يظل ثابتاً على هذا الحال ، ولن يرقى إلى مراتب الرجال.

الحياة الإيمانيَّة

أما أولُّ مرتبة من مراتب الرجال :

فإذا أحيا في قلبه الحياة الإيمانية ، لكن لا يجعلها مثل الحياة العيسوية .؛ فلا يولّى وجهه نحو الدار الآخرة ! ، ويترك الدنيا بالكلِّية !!! ، من أجل هذا جــاء لنــا ﷺ بالمزيَّة في هذه الحياة الإيمانيَّة المحمَّدية فقال ﷺ :

﴿ إنَّ لربكَ عليكَ حقًّا، ولأهلكَ عليكَ حقًّا، ولجسدكَ عليكَ حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ﴾ .[٢]

يعطي لكل واحد حقَّه. ، يعطي ما في قلبه لله ، ويعطي جسمه وجوارحه لخلق الله ، وهذه هي القسمة العادلة .، وغيرها : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ سورة النجم ، كما أخبر الله عزّ وجلّ ؛ فالذي يجعل قلبه وكلَّه للناس ، فقد ضيع مكانته عند ربِّ الناس عزّ وجلّ، والذي يجعل قلبه وجوارحه للدار الآخرة ، يصبح وقد ترك المهام والتكاليف التي كلَّفه بها ربُّ العالمين عزّ وجلّ ، والتي منها :

﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ الآية ٦ سورة التحريم ، و التى منها :

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ ﴾ الآية ١٣٢ سورة طه ، و التى منها :

﴿ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٧ سورة النور

هذه كلها تكليفات كلَّفنا بها الله عزّ وجلّ .

فالذي يحيا الحياة الإيمانية ، ويخرج هائماً في الجبال أو في الصحارى أو في البراري ، لا يشعر بليل أو نهار ، ولا يعرف للذهب أو للمال مقدار ؟ ...!!!

أهذه الحياة المطلوبة عند الواحد القهار؟ .... لا .... ، هذه مترلة دنيّة ، ولذلك قال فيها صلى الله عليه وسلم :

---

(٢) عن سلمان رضي الله عنه فى صحيخ ابن حبان و جامع المسانيد وصحيح ابن خزيمة ، وفى البخارى باختلاف الفاظ ، و قد ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ فى موضع آخر ونصه :(فَإنَّ لجَسَدكَ عليكَ حقًا وَإنَّ لعَيْنَيْكَ عليكَ حقًا، وإن لِزَوْجِكَ عليكَ حقًا، وَأَنْ لِزَوْرِكَ عليكَ حقًا،رواه البخارى ومسلم وغيرهم كثيرونَ باختلاف ألفاظ وزيادة أونقصان).

﴿ إنَّ عيسى بن مريم مشى على الماء ، ولو زاد يقيناً لمشى في الهواء ﴾ [٣]

كأنه يوجد يقينٌ أعلى من هذا ، حتى لا نقف عند المقام العيسوى ، لأن المقـــام العيسوى يجذب كثيراً من السالكين ، فيريد أن يعرِّف الناس الذي في بيوتهم ، والـــذي في صدورهم، يريد أن يحيي الموتى بإذن الله ، يريد أن يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومعتقداً أن هذا هو المقام العالي ، النبي قال : ...لا ! (و فى رواية أخرى للحديث) :

﴿ لو أن أخي عيسى كان أحسن يقيناً مما كان ، لمشى في الهواء ، وصلى على الماء ﴾ [٤]

فلا تقف عند هذا المقام .! ..

مقام المدارسة

ماذا نفعل؟ ...!!.. ، ندرس !. ...... فالمدارسة تعلى الهمَّة للسالكين ، وحبذا لو كانت في مدرج سيد الأولين والآخرين ، وإذا كان المحاضر يتلقى مباشرة الإرســـال المباشر من محطة سيد الأولين والآخرين ﷺ .

ليست مدارسة الكتب ..... ، لأنه كما قلت يا إخواني ...: القوم لم يكتبوا في كتبهم إلا ما تتحمله العقول ، والإنسان الذي يريد أن يمشي في طريق المقرَّبين ؛ لابد له أن يفتح عقله الوهبى للكلام العالي النازل من فيض فضل الله ﷻ ، ويـــضع عقلـــه الكسبى هنا لتسيير شئون الدنيا ، وتدبير أمور الحياة ؛ للقيام بالمهام التي كلَّفه بهـــا الله

---

(٣) الحكيم عن زافر بن سليمان ، فى كنز العمال للمتقى الهندى .

(٤) رواه الديلمى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، و فى كنز العمال للمتقى الهندى .

في شئون الأسرة والبيت ، ... لكن السير والوصول إلى الله ، يحتاج إلى العقل الموهوب الذي وهبه لك الله ﷻ ، فمقام الروحانيين الذين يقول فيهم أحد الصالحين :

{{ لا تخلو الأرض من مائة ألف على قدم عيسى عليه السلام }}.

الذين نراهم جميعاً ، والذين تعجبنا أحوالهم ، والذين نأنس بأخبارهم وأقوالهم ، والذين نظن أنهم في الدرجة العلا ، النبي قال : لا ! ، لازال يوجد يقين أعلا من هـذا اليقين ، وهؤلاء جميعاً لن يصل واحد منهم إلى يقين سيدنا عيسى عليه السلام ، فكـل الذي سيظهر في هذا المقام ، أو ظهر ، لن يصل أحد منهم إلى مقام سيدنا عيسى ، ومع ذلك يقول ﷺ ويخبر ، أن هناك يقيناً فوق يقين سيدنا عيسى عليه السلام .

فإذا حيا الإنسان الحياة الإيمانية ، التي جاءت في الشريعة المحمدية ....:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ آية ١٤٣ سورة البقرة

تفجرت في قلبه عيون العلوم الإلهية التي يحتاج إليها في سيره وسلوكه إلى الله ، وكل واحد منا له علم خاص به ، وعطاء الله لا نهاية له ، ولا حد له ، ولا مدى لـه ، لأن .... : **{ لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق }** .

والآفة التي تعطّل أهل هذا العلم ، أو أهل هذا المقام : .... منهم من يأخذ علوم باطن القرآن ، ومنهم من يأخذ علوم نور الفرقان ، ومنهم من يتصل بقلبه بالكائنات ، فيحصل حكمة وجودها ، وسبب إنشائها بسر مـن الله ﷻ ... ، آفـة هـؤلاء – وعلومهم كثيرة وكثيرة – :

إذا قال أو ادَّعى كلٌّ واحد منهم أنه حصَّل النهاية ..!!.. ، وأن ما عنده هـو نهاية العلوم ..!!.. ، وغاية الفهوم ..!!.. ، وليس هناك علم مكنون غير ما عنده !...

هذه هي الآفة التي تحجبه في هذا المقام .

المحاسن الروحية

ولذلك رسول الله ﷺ فوراً ، بيَّن أن نور هذا العلم ، والسبيل الذي يبين لك صواب هذا العلم ، إذا ظهرت عليك محاسن روحانية ، وجمالات ربانية ، يراها أهل الخصوصية ، مثلما ظهر في يوسف عليه السلام .

هذه المحاسن تجعل من يحبونك ، ومن يأنسون بك ، إذا جلسوا بين يديك ؛ يستمعون إلى العلم المفاض على قلبك من الله ﷻ ، ولا ينشغلون بشئ ، ولا يحسون بشئ ، حتى ولو كان هناك سكين ...، وقطع جزءاً منه ، أو عضواً منه ، لا يشعر.!.

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ سورة يوسف .

مقامات المحبين

وبعد هذا ، مقام أهل الحكمة ... :

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ الآية ٢٦٩ سورة البقرة

وبعد هذا مقام أهل المواجهات ، وأهل المكاشفات ، وأهل المكافحات – وإمامهم سيدنا موسى عليه السلام – ، وبعد هذا مقام أهل الخلة الكرام ، الذين باعوا كل شئ لله ﷻ ، وجعلوا أجسامهم وأولادهم وأزواجهم وأحوالهم وأنفاسهم كلها لله ﷻ، ومع ذلك يا إخواني ..!.. : يبين رسولكم الكريم صلوات الله وسلامه عليه

، في رسالة صغيرة من سيدنا إبراهيم لكم ، ألا تركنوا إلى أي مقام من هذه المقامات ، فهي منازل المريدين والمحبين والطالبين.

أنس الأفراد المرادين

وهناك بعد ذلك :

منازل المرادين ، والمحبوبين ، والمطلوبين ، والمخلصين لله العظيم ﷻ ، من أجل هذا قال سيدنا إبراهيم :

﴿ أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان ﴾ (*)

(كل هذه المنازل منازل الجنَّة) ، وهناك بعد ذلك صاحب الجنَّة ، وخـالق الجنَّـة ، وربُّ الجنَّة ، ونعيم الجنَّة ، وسر قرب أهل القرب في الجنَّة ، وهو الله ﷻ :........ { **فمن كان الله مراده فمقعد الصدق وراءه** } ، فهو لا يريد أي شئ من هذه المنازل كلها ، ولذلك سيدنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه ، يبين لنا منازل الأفـراد وإمامهم سيد العباد ﷺ يقول فيه :

مقام خليل الله بدء لسيره ✳ وقدس كليم الله مبدء إكرام

كل هذه المقامات والمنازل التي ذكرناها ، تحدث عنـها العـارفون وذكروهـا وفصلوها ، منهم الأوتاد ، ومنهم الأبدال ، ومنهم الأقطـاب ، ومنـهم الأنجـاب ، وفصلوا علومهم ، وفصلوا أحوالهم ، وفصلوا أنورهم ، وبينوا كل شئ عنهم ، فمـاذا بعد هذا.؟ ، مقام الأفراد .!. ، الذين قال فيهم ﷺ :

(*) سنن الترمذى عن ابن مسعود .

﴿ سِيرُوا ! ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ – وفي رواية أخرى : سِيرُوا ! ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ – الذين أفردهم الله ﷻ بالقصد ! ، ما حال هؤلاء؟ قال –. يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً ﴾ [٦]

هؤلاء ! ، ما هو همُّهم يا إخواني ؟

هؤلاء همُّهم كله في ذكر الله ، قلوبهم لا تغفل عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل ، لا يبغون بذلك منازل ، ولا درجات ، ولا مقامات ، ولا شهرة ، ولا مظهراً ، ولا مخبراً ، بل يريدون وجهه ﷻ ، لا يبغون بذلك بديلاً .

وفي ذلك تقول السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها ... :

كلهم يعبدون من خوف نار ✳ ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يدخلوا الجنان فيحظوا ✳ بنعيم و يشربوا سلسبيلا
ليس لي في النار والجنان حظ ✳ انا لا ابغي بحبي بديلا

أين هؤلاء القوم ؟ ، وما أسرارهم ؟ ، وما أحوالهم؟

هؤلاء لا تباح أسرارهم إلا لمن ملكنا أرواحهم ، ووضعوا نفوسهم وراء ظهورهم ، لأنهم يقولون : { **مكتوبٌ على حضرة القدُّوس : لا ينال سراً واحداً منها أربابُ النفوس** } . هؤلاء إسمهم الأفراد ، وهؤلاء الجالسون على أرآئك القرب والوداد ، وهؤلاء الذي في أيديهم كل كنوز المنعم الجواد ، وهؤلاء هم الحاملون لأعلام الهداية والإرشاد ، ومؤيدون في كل حركاتهم وسكناتهم من ربِّ العباد ﷻ ، هؤلاء : .. القوم ..!!.. ، كما وضَّح النَّبي صلى الله عليه وسلم .....

---

(٦) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ﷺ .

المجاهدة للمشاهدة.

فالذي يريد أن ينال المرتبة الروحانية ؛ لابد أن يركب الصعب ، ويتحمل المكابدة والمجاهدة في الله عَزَّ وَجَلَّ ، والمجاهدة في هذا المقام تكون للمشاهدة ، وليس للأجر والثواب ، فيتفضل عليه الله عَزَّ وَجَلَّ ويتزله في منازل النبيين والمرسلين ، ويوضع في قائمة من القوائم التي جمعت لسيد الأولين والآخرين لماذا جمعهم له ربنا؟ حتى يعرفنا أن كل مقاماهم وكل درجاهم وكل منازلهم وأممهم جمعت في قبضته صلوات الله وسلامه عليه هو بعد ذلك وقبل ذلك كما قال عن ذلك :

﴿ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وفى رواية: اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ ﴾ (٧)

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلَآءِ وَهَٰؤُلَآءِ ﴾ ، لماذا هؤلاء وهؤلاء ؟

هؤلاء الأولى للسابقين ، والثانية للاحقين ، لأن هؤلاء رعيته ! ، وهؤلاء رعيته ! ...

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلَآءِ وَهَٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ ، وهذا العطاء صعب ؟، قال : لا.! ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ٢٠ الإسراء

غير محظور أبداً يا إخواني ....!!!!....

وماذا ثمنه؟ ، قالوا : .....

بيعوا النفوس لربكم وتقربوا ✳ بنفيسكم من غير ما تمويه



(٧) رواه البخارى عن معاوية رضي الله عنه .

سِرُّ جَمْعِيَّةِ الأَنْبِيَاءِ.

فالموضوع سهل جداً ! ... فجمعهم له .... ، حتى يعرِّفنا أن الكلَّ عنـــده ...، كلَّ كشوف المقامات !، والترقيات ! ، والدرجات ! ، من أين يا إخـــواني ؟ .... من رسول الله ﷺ ، حتى الكشوف التي كتبت قبل ذلك ؟ ، ظلت موجودة ،، حتى صدَّق عليها هو ... :

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الآية ٤٦ سورة المائدة

ماذا تعني بين يديه؟ ، تعنى الذين جاءوا قبله ! ، فهو الذي صـــدَّق علـــيهم ، فجاءوا حتى يصدِّق على الكشوف السابقة ، واعتمدت الدرجات في هـــذه الليلـــة ، وحتى يعرِّفنا أن الذي سيترل في هذه المنازل ، وكل وليّ على قدم رسول أو نبيٍّ ! ، من الذي سيترلهم؟ ..، الذي أنزل الأولين ! ، هو الذي سيترل الآخرين ! ، وهـــو ســـيِّد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه.......:

أبوهم أنت ياسر الوجود ولا فخر ✳ وسرهم قبل المعاينة
صفوا وراءك إذ أنت الإمام لهم ✳ قد بايعوا على صدق المتابعة

فكان الاعتماد كله ، حفل توقيع النسخ المعتمدة الذي كان في بيت المقـــدس ، حفل توثيق الدرجات والمقامات التي نالوها من الله ، كان هذا الحفل المنـــشود الـــذي حضره سيِّد الوجود صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد هذا ثبتت الأحوال ! ، وأصـــبح من يريد منازل الرجال ..... هذا هو الطريق المفتوح :

أنت باب الله أي امرئ ✳ أتاه من غيرك لا يدخل

فلا توجد سكة غير هذه ..!!..

فالدرجات هذه يا إخواني ، كلها من رسول الله ﷺ ، وهو والحمد لله ، هنانا

جميعاً ، وجمّلنا جميعاً بمراتب خصوصيَّة ، وأسرار ذاتيَّة ، ومقومات روحانيَّة ، والحمد لله يا إخواني كلكم تلبسونها ، لكن من الفضل ... أهم ستروها عنكم ! ، لماذا ؟

حفظاً للقلوب ، حتى لا تقع في الذنوب والعيوب ، فتحرم من هـذا الوهـب الذي ألبسه لها حبيب الله صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه من طبيعة الإنسان إذا عرف من هو ! ، من الممكن أن يغتر ، وممكن أن يعجب ، وممكن أن يكسل أو يتراخـى ! ، فمن أجل هذا رسول الله ﷺ ستر عن أهل الخصوصية خصوصيتهم ، ولم يكـشف لهم عن مزيتهم ، ما دامت بشريتهم موجودة ! ، متى يكشف لك الخصوصية؟

إذا استطعت وأنت في الدنيا ، أن تنسلخ من البشرية ، سترى مالك عنـد الله عز وجل ، لكن في هذه الحالة ستكون قد مت ، والذي مات بماذا يفتخـر ؟ ، أو بمـاذا يزهو ؟ ، أو بماذا يغتر ؟ ، انتهت ..!..، وقد دخلت في قول الله عز وجل ..:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ الآية ١٢٢ سورة الأنعام

فهذا ستر من الله عز وجل يا إخواني، فلا تطلب المنازل الدنيا !! ، وأنت في المنازل العلوية ، وأعلم علم اليقين أن المنازل العالية كما بينها إسراء الحبيـب ، لا تنـال إلا بفضل من الله ، وبكرم من الله ، وبمحض العطاء من حضرة الجود الإلهي .

المقام الأكمل.

فإن أهل المجاهدات وقفوا عند البيت المعمور ، أما أهل المحبة فقد تـدلى لكـل منهم رفرف العناية .. : يعني تدلى له فضل الله ، ونزل له كرم الله ، وأحاطه من كـل جوانبه ، ليدخل في قول الله .....:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾ الآية ١٠٥ سورة البقرة

لأنه لم ير لنفسه عملاً ولا جهاداً ، ولم ير لنفسه شيئا البتَّة ! ، بل رأى الأمور كلها من الله ، وبالله ، وإلى الله ، فحباه الله بفضله ! ، ورقَّاه ! ، وأدناه ! ، وأعطاه ! ، وهذا يا إخواني باب الأفراد !.

أما أهل المنازل التي ذكرناها ، فلا زال في نفوسهم وجودٌ ، ولا تزال بقية من النفس موجودة ، ولذلك تجد أن الحديث يذكر يوم القيامة ، ويذهب الشفعاء فكل واحد منهم سيبيِّن بقية من نفسه .. يقول : لست صاحب هذا المقام ! ، لماذا؟ ...، كانت نفسي موجودة في المكان الفلاني ، أليس كذلك يا إخواني؟ ، عملت كذا من نفسي ، إذاً من الذي ليس له نفس ؟ ، ولا شئ أبداً ؟

هو واحد ، ويوجد واحد أيضاً نفسه لم تكن موجودة ، لكن لم يكن المقام الأكمل من هو ؟ ، سيدنا عيسى لكن ليس هذا الأكمل ، لكن الأكمل الذي أدى كل ما عليه ، حتى للجمادات ، حتى للطيور ، حتى للحشرات ، حتى للحيوانات المتوحشات ، لم يترك أمراً في الدنيا إلا ووضع أساسه ، لم يخرج من الدنيا إلا وقد أرسى جميع الأسس .

جاء بالجنِّ .. وقال لهم : .... هذه حدودكم ....:

﴿ تسكنُونَ البِحَارَ .. ، وَ القِفَارَ .. ، وَ الدُّورَ المهجُورَة .. ، وتأكُلُونَ العِظَامَ ، وَ الرَّوث ، وفَقَط ﴾ [٨]

([٨]) رواه أبو نعيم عن ابن مسعود والزبير بن العوام وأبو هريرة .

ثم بعد ذلك جاء بالذئاب :

فقد كان جالساً هو وأصحابه ، وإذا بالذئاب مقبلون عليه ، فقال لهم :

﴿ وهذا وفد الذئاب جاء إليكم - أنا أرسلت إليهم فحضروا ، ما هو رأيكم ؟ - إن شئتم أن تفرضوا لها من أموالكم ما يصلحها أو تخلوها فتغير عليكم - وفي رواية : إن شئتم أضفتموهم ولم يؤذوكم ، قالوا: وكيف نضيفهم يا رسول الله؟ قال: تذبحون لهم فيطعمون.، قالوا يا رسول ! ، نذبح لهم من أنفسنا ويأكلون ! ونحن ننظر إليهم ؟ ، قال: نعم.! ، قالوا: لا نرضى بذلك ، فأومأ إلى الذئاب أن اختلسوا منهم ﴾ (٩)

أي خذوا سرقة ، فوضع الحد .!.، حتى وضع الحدود القاطعة فقال للذئاب :

﴿ إذا رأيتموهم أصلحوا ما بينهم وبين الله ، فإياكم أن تعدوا عليهم أتركوهم ، وإذا رأيتموهم تركوا حدود الله ؛ فافعلوا فيهم ما شئتم ﴾

فالذين كانوا عند النبي – من وفد الذئاب – حضروا هذه البيعة !..

فكيف وصل هذا الكلام إلى من كانوا في عصر سيدنا عمر بن عبد العزيـــز ؟ ، ونفَّذوه ! ، كيف ؟ ... فعندما رأى الرعاة أن الذئاب تعدو على غنمهم..!!.. ، عرفوا أن الرجل (عمر بن عبد العزيز) قد مات ! ، كيف عرفوا؟ .. (١٠)

لأن رسول الله ﷺ أتمَّ أساس كل شئ قبل مغادرته الحياة الدنيا ، أعطى لكل

---

(٩) رواه البيهقي وأبو نعيم عن حمزة بن أسيد ، والدرامي وابن منيع في مسنده، وأبو نعيم عن طريق شمر بن عطية .
(١٠) الطبقات الكبرى لابن سعد ، وعمدة القرى لبدر الدين العيني ، وفى تاريخ دمشق لابن عساكر.

حقيقة أمرها الذي حدده المولى ﷻ ، وهذا موضوع لا نستطيع أن نفصله ، لأنــه لا تتحمله العقول !.

كيف ألهم كل سماء بما فيها بأمرها..؟

وأوحى في كل سماء أمرها ، وكيف أودع في كل حقيقة ما يطلبه المــولى ﷻ منها ؟ ، ولها ؟ ، وكيف بين لكل حقيقة في الأكوان .... الطريقة الصحيحة التي تتعبد بها لله ﷻ ؟ ، سر قوله سبحانه :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الآية ٤٤ سورة الإسراء

هذا أمر يا إخواني يطول !!!!....

نسأل الله أن يكرمنا بأسرار الإسراء ، وأنوار المعراج .

وأن يتفضل علينا بالمقامات الفردانية ، وأن يجعل قلوبنا مــصطلمة في الــذات العلية ، لا تميل إلى الدنيا بالكلية ، وأن يجعل كل أنفاسنا في حضرته ، وكل أوقاتنا في طاعته ، وكل أعمالنا على وفق شريعته .

وأن يجعل أولادنا أولاداً بررة ، وأن يوفقهم للسعي علــى طريــق الأخيــار ، ويكرمهم بمعيَّة النبي المختار ، وأن يرزقنا وإياهم السلامة من الفجار والأشــرار ، وأن يجمعنا وإياهم يوم القرار ، على مائدة النبي المختار ، ويجعلنا من الذين يتمتعون بــالنظر إلى وجه الواحد القهار.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الحادي عشر

مَقَامُ الشَّفَاعَة

- شَفَاعَةُ سَيِّدنا رَسُولِ الله
- مَعْرِفَةُ الأنْبيَاء برَسُولِ الله
- الشَّفَاعَةُ العُظمى
- المقَامُ المحْمُود
- الشَّفَاعَةُ العَامَّة
- شَفَاعَةُ المُقَرَّبين
- الشَّفَاعَةُ فِي أهْلِ اليمين
- الشَّفَاعَةُ في حسَابِ المؤمنينَ المُحَاسَبِين
- الشَّفَاعَةُ فِي أهْلِ النَّار
- الشَّفَاعَةُ فِي أهْلِ الجَنَّة

سمعنا

في الضحى وأسوف يعطي

فسرّ قلوبنا ذاك العطاء

وكيف يارسول الله ترضى

وفينا من يعذب أو يساء

حسّانُ بن ثابت
شاعرُ الرّسُول

مَقَامُ الشَّفَاعَة

شَفَاعَةُ سَيِّدِنا رَسُولِ اللّه ﷺ.[1]

الحمد لله الذي هدانا جميعاً إلى فضله وكرمه ، ورزقنا محبة سيدنا ومولانا رسول الله ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبِّت هذه المحبَّة في قلوبنا ، وأن يثقل بها ميزاننـــا ، وأن يدخلنا بها في شفاعة نبيِّنا يوم لقاء ربِّنا آمين .

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، وآله وأصحابه وكل من والاه إلى يوم أن نلقى الله ... ، ... آمين .

فإذا كان القرآن الكريم بيَّن فضائل رسول الله صلوات الله وسلامه عليـــــه ، وبعد ، فمن من العلماء أو المحدثين أو الخطباء يستطيع أن يتحـــدث عـــن رســـول الله ﷺ ، لكننا نقول لنذكّر بعضنا على سبيل الذكرى .

ولذلك فإن الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه وأرضاه :

وكان من العشاق للذات العليَّة ، وقد وقف حياته كلها علـــى مناجـــاة الله ، وعبادة الله ، والتذلل بين يدي الله ، والتضرع بين يدي الله ، لعله ينال القبول من الله ، فهو يعبد هذه الذات ، وقال فيها قصائداً فوق العقول ، وعندما حانـــت منيَّتـــه ، وفي لحظة الانتقال ، عُرِضَ عليه مقعده في الجنَّة ، وأروه مكانته في الجنَّة ، ولكنه لدلاله مع الله لم يرض بهذه المنزلة ، وقال منشداً :

فإن تلك منزلتي في الحب عندكم ✻ ما قد رأيت فقد ضيَّعت أيامي

لماذا؟ لأنه يريد الله :

---

(1) هذه المحاضرة كانت بمسجد عفان بدهتورة – مركز زفتى – محافظة الغربية ، يوم ١٩/١٠/١٩٨٨م.

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الآية ٢٨ سورة الكهف

كالجماعة الذين يتحدث عنهم الرسول ، أنهم يوم القيامة وبعد أن يدخلوا الجنَّة ، ويأمر الله لهم بأنواع نعيم الجنَّة كلها ، ويقول لهم : هل بقى لكم شئ ؟ ، مثل الذي عنده ضيوف ، ويقدم لهم واجب الضيافة ، ويقول لهم : بقى لكم شئ ؟ فيقول الله سبحانه وتعالى : بقى لكم شئ عندي ادخرته لكم ! ، فيقولون وما هو؟ ، فيكشف لهم عن بديع وجهه ، قال ﷺ فى معنى حديثه : فينظرون إلى وجه الله بالنور الذي يحبوهم به ، الله فلا يجدون مع حسن الله شيئا ، فينسون النعيم ، وينسون الملذَّات ، وينسون المتع ، وينسون كل هذه الأشياء ، بجوار جمال الكريم سبحانه وتعالى :

﴿ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجوهَنا؟- و فى الحديث الآخر - : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ.، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ (٢)

فالشيخ ابن الفارض رضي الله عنه وأرضاه ، لما انتقل رآه أحد الصالحين في المنام ، فقال له : أنت قلت كلاماً كثيراً في الشوق إلى الله ، وفي مناجاة الله ، فلماذا لم تمدح

---

(٢) رواه مسلم عن صهيب والبخاري عن أبي سعيد الخدري والنسائي وأبو داود وأحمد على روايات عدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، فقال رضي الله عنه وأرضاه :

أرى كل مدح في النبي مقصرا ✳ وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا كان الله أثنى بما هو أهله ✳ عليه فما مقدار ما يمدح الورى؟

ولذلك فإن الإمام أبا العزائم لما مدحه ﷺ ، ظل يمدح فيه ، ويثنى عليه ، وفي نهاية المطاف... ، قال أعذرني يا رسول الله :

على قدري أصوغ لك المديحا ✳ ومدحك صاغه ربي صريحا
ومن أنا ياإمام الرسل حتى ✳ أوفى قدرك السامى شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي ✳ فاسعد بالوصال فتى جريحا

فإني أعبّر فقط عن محبتي لك ! .....

فكل الذي يتحدث عن رسول الله ، يعبِّر عن بعض ما في فؤاده من الشوق إلى رسول الله ، ومن الوجد إلى رسول الله ، ومن الحبِّ إلى رسول الله ، ومن الغرام في سيدنا ومولانا رسول الله ، لأنه كما سمعنا الآن في القرآن ...:

: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية ٤٠ سورة الأحزاب

فهو رسول الله ، وختام النبيين .

فهذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، من الذي أدَّبه ؟ ، ومن الذي تولاه ؟ ، ومن الذي قال له : لا تخف ....

﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ سورة الحجر

ومن الذي قال له مر الحراس بتركك؟ ، وقال له :

فهو الذي سيتعهد بحفظه ، وبكفالته ، فالذي أرسله وبعثه ، هو الذي تعهَّد به من البداية إلى النهاية صلوات الله وسلامه عليه .

من أجل هذا لما نرى بعض أحداث ميلاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، نجد الدليل على فضل الله ، وعلى عظيم نعم الله التي لا تعد ولا تحصى علينا كلنا ، ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم....:

معرفة الأنبياء برسول الله.

أما فضل الله على رسول الله ، فلا نستطيع أن نعبر عنه ، لكن نسأل من عرفوه ، نحن صحيح عرفناه بعض الشئ ، لكن الذي عرفه أكثر وعن قرب ، هم الأنبياء والمرسلون ، فدائماً الناس المقربون للإنسان يكونون أكثر علماً به ، وأكثر دراية به ، وأكثر إحاطة به.

فأكثر الناس علماً برسول الله وبمكانة رسول الله ، الأنبياء والمرسلون ، لماذا؟

لأن هؤلاء الذين كشف لهم ربنا الستار عن النبي المختار ، فرأوا ما أسبغه الله عليه من النعم الظاهرة والباطنة ، ولما رأوا هذه النعم ماذا طلبوا؟

منهم من طلب أن يكون من أمته ، أي يريد أن يكون فرداً من أفراد هذه الأمة مثله مثلنا ، لماذا ؟ ، من أجل الفضل الذي خص به نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

ومنهم من قدم التماساً حتى يرى هذا النبي ، وليس واحداً بل مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، قدموا جميعاً التماساً لحضرة الله ليكشف لهم عن نور وجه رسول الله ، ويمتعهم به ، فوجه رسول كما يقول ﷺ في الحديث :

﴿ من رآني حرم الله جسده على النار[3] ﴾

﴿ من رآني في المنام، فقد رآني حقاً ؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي[4] ﴾

والحديث الآخر :

﴿ من رآني في المنام فسيراني في اليقظة[5] ﴾

لا بد من ذلك ، والحديث الأول قال: ((من رآني حرم الله جسده على النار)) ، فالذي رآه بأي صورة؟ ، بالصورة النبويَّة ؟ ، أو بالصورة الحقيَّة ؟ ، أو الصورة النورانيَّة التي خلقه الله عليها سبحانه وتعالى ؟ ، .. لكن بالنسبة للصورة الجسمانيَّة !

فأبو لهب كان يراه ! ، وأبو جهل كان يراه ..!! ، وقد قال فيها الله .... :

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ الأعراف

لا يرون الجمال الذي فيك ..!!.. ، وإنما يرون جسماً مثلهم ، يأكل ، ويشرب ، ويتزوج ، ويذهب ، ويعود ، ..... لكن النور الممتد من هذا الجسم أين هو؟... لا يرونه ..!!.. ، هذا النور من الذي رآه ؟ .... الأنبياء والمرسلون .....صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ....

وهذا الذي جعلهم يتعلقون برسول الله ﷺ ، وربنا كشف لهم هذا النور ، وهم أرواح نورانيَّة قبل خلق الخلق ، فدعاهم إلى اجتماع بعد ما خلق الكلَّ ، جمع فيه أرواح النبيين والمرسلين ، وبعدما حضروا الاجتماع ..... ، وجدوا نوراً يبهر الأبصار

---

(3) رواه الديلمي عن أنس ﷺ .
(4) الإمام أحمد والبخاري والترمذى عن أنس ، و مسلم والترمذى و ابن حبان عن أبي هريرة .ﷺ على روايات .
(5) رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ، ورواه الطبراني عن أبي بكر ، ورواه الدارمي عن أبي قتادة ، ورواه أبو نعيم عن يحي ، وهو حديث متواتر.

غشاهم هذا النور ، فأدهش عيونهم حتى صاروا لا يستطيعون الرؤية ، فقالوا :

﴿ نورُ من هذا يا ربّ؟ ، قال : هذا نورُ حبيبي محمّد ﷺ ، ولو آمنتُم به لجعلتُكم أنبياء ، فقالوا : آمنّا به وصدّقناه [٦] ﴾

فأخذ عليهم العهد ، وكتبه في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية ٨١ سورة آل عمران

لم يقل (المرسلين) ، لأن هناك فارقاً بين النبوَّة والرسالة ، فالنبوَّة تبدأ قبل خلق الخلق لأنها للأرواح ، لكن الرسالة لا تأتي إلا بعد أن يبعث ، ويكلَّف ، بعدما يـأتي في الدنيا ، فيعطيه الرسالة ، ويقول له بلّغها ، لكن النبوَّة من قبل خلق الخلق .

ولذلك لما سألوا رسول الله ﷺ عن بدء نبوته فقالوا : متى كنت نبياً؟، قال :

﴿ وآدمُ بين الرّوح والجسد ﴾ [٧]

وهل يوجد شخص ليس له روح ولا جسد ؟ لا ، إذن ... يعنى قبل آدم ، وفي الرواية الأخرى قال ﷺ :

﴿ إنّي عند الله في أمّ الكتاب لخاتمُ النّبيين ، وإنّ آدمَ لمنجدلٌ في طينته [٨] ﴾

---

(٦) رواه ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا .

(٧) رواه الطبراني عن ابن عباس والترمذي عن أبي هريرة والإمام أحمد والبخاري في تاريخه وابن سعد والبزار وأبو نعيم والطبراني والحاكم عن ميسرة الضبي.

(٨) رواه الإمام أحمد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن العرباض بن سارية رضى الله عنه.

أي وآدم لم يكن طيناً ، ولم يقل (خاتم المرسلين) بل قال : (خاتم النبيين) ، لأن الرسالة لم يأتِ بعد زمانها ، أو مكانها ، أو أوانها ، لكن النبوَّة قبل خلق الخلق .

هذه هي نبوَّة رسول الله ...... :

﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران

فرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من هذا اليوم :

كل واحد منهم مكلَّف بأن يبين جمال رسول الله ، وصفات رسول الله ، وبعثة رسول الله ، وسمات وعلامات رسول الله ، ويأمر قومه أن يتبعوه، ولذلك لما جاء ربنا وتكلم عن اليهود ، قال .... :

﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ الآية ١٤٦ سورة البقرة

أيضل أحد عن أولاده ؟ ولا يعرفهم؟ ، فهؤلاء يعرفونه مثلما يعرفون أولادهم ! ، لكن الذي يمنعهم من الإيمان به ؟ الحسد ، والحقد ... لماذا؟

لأنهم كانوا يطمعون أن تكون النبوة فيهم ، فتكون في بني إسرائيل ، فلما ذهبت النبوة إلى بني إسماعيل غضبوا ، ولم يؤمنوا برسول الله.

فالأنبياء هم الذين عرفوا رسول الله ، ومن أجل هذا عرفونا مقاماته ودرجاته ، وعرفونا ميزاته التي تفضل بها عليه ربنا سبحانه وتعالى ، صلوات الله وسلامه عليه.

الشفاعة العظمى

ولذلك لو تتذكرون فإنه إذا جاء يوم القيامة إن شاء الله :

فالخلائق كلها تقف في هول الحساب ، وكل إنسان يتمنى الخروج من الموقف ولو إلى النار ، من شدة الأهوال والعذاب الظاهر في ساحة القيامة ، لمن نذهب ؟

نذهب إلى الكبار ، وهم الأنبياء والمرسلون ، فنذهب إلى سيدنا آدم ، ونذهب إلى سيدنا نوح ، وإلى سيدنا إبراهيم ، وإلى سيدنا موسى ، وإلى سيدنا عيسى ، نذهب إليهم ليخلصونا من هذا العذاب ، ويبدأ الحساب ....!!!

فهؤلاء هم كبار الناس ، لكنهم لما عرفوا قدر رسول الله التزموا الأدب بين يدي الله ، فكلما ذهبوا إلى أحد منهم يقول : هذه ليست مهمتي (لست لها) ، إلى من نذهب يا أبا الخلائق كلهم ؟

﴿ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا. ﴾

يقول لهم اذهبوا إلى نوح فربنا قال فيه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الإسراء ، فيذهبون إلى نوح ، فيقول ليست مهمتي ويحولهم إلى إبراهيم ، وفي رواية :

﴿ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي دَعَوْتُ دَعْوَةً أَغْرَقَتْ أَهْلَ الأَرْضِ، وَإِنَّهُ لاَ يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلاَّ نَفْسِي ﴾ ، ﴿ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا. ﴾

أي فيذهبون إلى إبراهيم ، فيقول لقد أخطأت ثلاث أخطاء – وهي ليست

أخطاء ..، لكن في ميزان الأنبياء (**حسنات الأبرار سيئات المقربين**) ، أين نذهب ؟ ، يقول لهم : اذهبوا إلى موسى.: ....

﴿ ولكن عليكم بموسى عليه السلام ، فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى فيقول: لست لها ، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام ﴾

أي فلما يذهبون إلى موسى ، فيقول : ليست مهمتي ؛ فأنا قتلت رجلاً – وهو لم يكن يقصد قتله ، لكن في ميزان الأنبياء ، وفي ميزان سيد الأنبياء ، يرون أن هذه الهفوات لم يفعلها سيد الأنبياء ، فلذلك نال السيادة عليهم ، لمن نذهب ؟ .... يقول : اذهبوا إلى عيسى ! ......

﴿ فإنه روح الله وكلمته. فيؤتي عيسى. فيقول: لست لها. ولكن عليكم بمحمد .، فأوتى فأقول: أنا لها.، أنا لها.، أنا لها ﴾ (٩)

أي أنا صاحب هذا المقام ، صاحب المقام المحمود ، وصاحب الحوض المورود ، وصاحب الكوثر المشهود ، وصاحب لواء السعود في اليوم الموعد إن شاء الله ، ولذلك قال لنا اطمئنوا :

﴿ لواء الحمد يوم القيامة بيدي، وما من نبي يومئذ- آدم فمن سواه- إلا تحت لوائي ، وقد أخدمني الله ألف خادم من الجنة ﴾ (١٠)

في ذلك اليوم يقفون طوع أمر رسول الله ... ؛ ... لينفذوا مراده وإشارته فيما يريد في هذا اليوم الموعود .

---

(٩) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ .
(١٠) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي وأبو نعيم عن ابن عباس .

المقام المحمود.

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، يبيِّنون قدر رسول الله صــلوات الله وســلامه عليه ، فربنا سبحانه وتعالى ، قال فيه :

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ آية ٤٠ سورة الأحزاب

انتبهوا معي ... رسول الله في الكون كله من البدء إلى النهاية ... هو واحد :

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ، أما من جاء قبله فهم نوَّاب عن رسول الله ، لكنه هو قائد الأنبياء ، وقائد المرسلين ، وقائد العلماء العــاملين ، وقائــد الأوليــاء والصالحين ، وقائد الأئمة منذ أن خلق الله الدنيا إلى أن يرث الله الخلائق أجمعين ، هــو الزعيم ، وهو القائد ، ولذلك ربنا قــال ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ، ولكنــهم نوَّاب عنه ، وكانوا يبلغون عنه صلوات الله وسلامه عليه إلى أممهم وإلى قومهم .

لكن هذا المنصب :

لا يظهر إلا يوم القيامة ، فيُجْلِس سيدنا رسول الله على العرش ، ويقال له :

وقيل كل نبي عند رتبته ✳ ويا محمد هذا العرش فاستلم

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء

ما المقصود بالمقام المحمود ؟...، سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

{{ يبعثه الله مقاماً يحمده فيه الأولون والآخرون ؛ فيتنحَّى الله سبحانه وتعالى عن العرش.}}

والله سبحانه وتعالى كما نعلم جميعاً ، ما مسَّ العرش ، ولا جسَّه ، ولا حسَّه ،

والله هو الذي يحمل العرش ، والعرش محمولاً به وليس حاملاً له ، ولكنه تنزل وقال :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ سورة طه

استوى بقدرته وبعظمته وبقوته وبعلمه وبكرمه على العرش ، لكن ذات الله سبحانه وتعالى لا تحس ولا تجس ولا تمس ولا يحدها شئ ، فرسول الله للخلائق أجمعين هو الذي يقول له :

اجلس يا محمد على العرش ! ، ليعلموا أن العرش مخلوق من مخلوقاتي ، خلقته بقدرتي ، وأوجدته بفضلي وكرمي ، وحملته بعنايتي ، وهو محمول قدرتي ، وليس حامل لذاتي – لأن ذات الله ليس كمثلها شئ – فهذا هو المقام المحمود وهو أن رسول الله ﷺ سيجلس على العرش ، والكل يحمده ... لماذا؟ ... لأنه خلصهم من هذه المشاكل ، وخلصهم من هذه المشاغل .

ما الذي سيعمله رسول الله في الآخرة ؟

الشفاعة العامة

شفاعات كثيرة .

وأول شفاعة هي الشفاعة العامة ، التي قلناها الآن ،ـــ وهي من أجل أن الجبار سبحانه وتعالى يتجلى على أهل الموقف ، ويعلن بدء الحساب ، وذلك بعد أن يخرج الناس من القبور ، ويصطفون في ساحة الموقف..

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨ ﴾ طه

فالكل مشغول ، حتى أنه من شدة الشغل ما روى في الصحيحين ، أن السيدة عائشة تعجبت عندما أخبر رسول الله ﷺ بأن الخلق سيبعثون عرايا يوم القيامة ، فقالت : واسوءتاه أيطلعون على عوراتنا ! ، قال : يا عائشة الأمر أشد من ذلك ، فقد شغلهم ما هو أكبر من ذلك .

فكل واحد مشغول بحاله وبنفسه ، فكل واحد سيقف في المكان الذي انتهى إليه عمله ، والذي حدده له كتابه ، والذي يتوقف عليه حسابه ، فكل واحد له جهة معينة سيحاسب عندها ، فيشفع رسول الله لبدء الحساب.

وهذه أول شفاعة ، وهي الشفاعة العامة للكل ، الكافر ، والمسلم من أمة سيدنا محمد ، والمسلم من جميع الأمم السابقة ، لأن الكل يريد أن يبدأ الحساب .... كي يتخلصوا من هذا العذاب.

شفاعة المقربين.

وتوجد شفاعات أخرى سيشفع فيها رسول الله ﷺ اسمها :

الشفاعة الخاصة ، شفاعة خاصة للمقربين ، وشفاعة خاصة لعامة المؤمنين ، وشفاعة خاصة للمذنبين ، وشفاعة خاصة لأهل الكبائر الذين سيدخلون الجحيم والعياذ بالله ، كل هذه شفاعات سيشفع فيها رسول الله صلى اله عليه وسلم ، أول هذه الشفاعات...: شفاعة المقربين :

سيأخذ إذن من رب العالمين ، أن يفتح لهم أبواب الجنة ، حتى يخرجوا من القبور وكل واحد إلى قصره ، ويجلس في شرفة قصره يطلع على الحساب ، لأن هؤلاء القوم ليس لهم شأن بالحساب ، أو الصراط ، أو الميزان ، وهؤلاء يقول فيهم :

﴿ إذا كان يوم القيامة ، أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة ، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤوا ، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ ، فيقولون: ما رأينا حساباً ، فتقول لهم: هل جزتم الصراط؟ ، فيقولون: ما رأينا صراطاً، فتقول لهم: هل رأيتم جهنم؟ ، فيقولون: ما رأينا، فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ ، فيقولون: من أمة محمد ، فتقول: ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا ، فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله، فيقولون: وما هما؟ ، فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ، ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا ﴾ (١١)

مراقبة الرقيب ، والرضا بالحسيب القريب الرزاق سبحانه وتعالى ، لكن كيف يدخلون الجنة ؟ .... ، لا يدخلون إلا بعد أن يأذن رسول الله ﷺ ، لأن الجنة ممنوعة من الفتح إلا إذا جاء مفتاحها ! ، ومفتاحها هو رسول الله ﷺ ، وهو يقول :

﴿ أنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول من يخرج عند الصيحة يوم النشور، فأذهب إلى الجنة فأستفتح ، فيقال : من؟ ، فأقول : محمد ، فتقول الملائكة بك أمرنا أن نفتح ولا نفتح لأحد قبلك ﴾ (١٢)

---

(١١) رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس رضي الله عنه .

(١٢) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه .

فنحن مأمورون ألا نفتح إلا لك أولاً ، فيشفع لهؤلاء القوم ويقول : من أجـل خاطري عافهم من هذه الأهوال وأدخلهم أماكنهم في الجنَّة .

أين يجلسون ساعة الحساب .. :

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة المطففين

فيجلس كل واحد منهم في شرفته ، يتطلَّع على الحساب ، وليس له شأن بما يحدث ، فهذه أول شفاعة من شفاعات رسول الله ﷺ للجماعة المقربين ، فيفتح لهم أبواب الجنَّة ، ويدخلهم أماكنهم في الجنَّة ، ويجلسهم في شرفاتهم في الجنَّة ، ويأمر الجنَّة أن تفتح لهم أبوابها ، وتجهز لهم شرابها ، وأن تجهز لهم حورها وقصورها ، وأن تهيئ لهم أسبابها ، حتى ينظروا الحساب وهم في نعيم عزِّ الجناب سبحانه وتعالى .

الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ اليمين

الشفاعة الثانية .. للمؤمنين الذين برُّوا في الدنيا ، وصدقوا مع الله ورسوله .. :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

✴ ما شفاعة رسول الله لهم ..؟

سيدنا رسول الله عندما اطلع على الموقف العظيم ، وأهواله ، وشدته ، وعذابه ، فأين يجلس ﷺ المؤمنين ؟ ..... لا يجد مكاناً يناسبهم ، ولا مكاناً يلائمهم ، إلا ظل العرش الذي سيجلس عليه ، (تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله) [١٣]

فحجزه كله للمؤمنين ، وقال لا أحد يدخل هذا المكان إلا الذي معه تذكرة من محمد رسول الله ﷺ ، ما ثمن التذكرة؟

إما أن يكون ذكر ربنا مرة بخشوع وخضوع حتى دمعت عيناه ، وإما أن يكون قلبه معلق بالمسجد دائماً .. وهو في البيت أو في العمل يكون متذكراً للصلاة ، ومتنبهاً للصلاة ، ومستعداً للصلاة ، ويريد أن يدخل في قطار الرضوان في أول الوقت ، وإما أن يكون في فترة شبابه أخذ فيها شهادة بأنها خالية من المعاصي والذنوب ، ونشأ فيها في طاعة الله (شاب نشأ في طاعة الله) ، وإما أن يكون عادلاً فيمن ولاه الله أمره سواء كان في عمل مصلحة حكومية ، أو بيت ، فأي جماعة يتولى أمرهم يكون إماماً عادلاً بينهم يحكم بينهم بالعدل ، وأخذ شهادة بهذا ، أو يكون قد عرض عليه من شهوات الدنيا وملذاتها ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، فإذا أستطاع أن يخرج من ملفه شهادة بأي من هؤلاء يأخذ تذكرة ، بأنه يجلس تحت عرش الله ، لأنه لا ظل إلا ظله.

والملف الخاص بك موجود ، وله عدة نسخ ، فنسخة منه توضع تحت العرش في منطقة اسمها كنوز الأعمال هناك ، وفيها أصول أعمالنا ، وتوجد صورة أخرى مع الكرام الكاتبين الذي معنا وعددهم عشرون ملكاً ، عشرة بالنهار وعشرة بالليل

---

(١٣) يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي و ابن حبان و الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((سبعةٌ يُظلُّهم اللّهُ في ظلّه يومَ لا ظلَّ إلاّ ظلُّه: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأَ في عبادة اللّه، ورجلٌ قلبُه معلّقٌ بالمسجدِ إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليه، ورجُلان تحابَّا في اللّه اجتمَعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ ذكَرَ اللّهَ خالياً ففاضتْ عيناهُ، ورجلٌ دعَتْه امرأةٌ ذاتُ حَسَبٍ وَجمالٍ فقالَ: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّقَ بصدَقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفقُ يَمينُه)).

يتعاقبون ، ومعهم نسخة أيضاً من أعمالك ، والأرض نفسها التي تقف عليهـــا معهـــا نسخة من هذا الملف ، والجوارح نفسها معها صورة من هذا الملف ، وسيدنا رسول الله عنده صورة ، والحق سبحانه وتعالى عنده صورة ، وفي كل سماء من سموات الله صـــورة من ديوان أعمالك ، .... وكل هذه الصور تظهر ، حتى تدخل تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، والذين تحت ظل العرش هؤلاء ليس لهم شأن بالحساب ، وإن كـــان العرش في أرض الحساب ، لكنهم ليس لهم شأن بالتعب أو بالعناء أو بالشقاء الذي في هذا اليوم الطويل ، لأنهم قال فيهم رسول الله :

﴿ يسر يوم القيامة على المؤمن كصلاة ركعتين خفيفتين ﴾ (١٤)

خمسون ألف سنة ستمر عليهم في وقت ركعتين خفيفتين ، جالسين في الظل ، لا يرون شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلاً ، فالظلال نازلة عليهم ، وكذلك القطوف .

وتوجد شجرة واحدة من أشجار الجنة ((طوبى)) ، يقول فيها رسول الله :

﴿ يمشي الراكب في ظلها مائة سنة ولا يقطعها ﴾ (١٥)

وهي شجرة واحدة من أشجار الجنة ، فما بالكم بباقي الأشجار؟ ..، فهذا شئ لا يعلمه إلا الواحد القهار سبحانه وتعالى .

هؤلاء القوم الذين أشرنا إلـــيهم ..... الـــسابقين ، والمقـــرَّبين ، والمحـــسنين ، والمؤمنين...: .....ليس لهم شأن بالحساب.

---

(١٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي بسند حسن عن أبي سعيد .

(١٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الشفاعة في حساب المؤمنين المحاسبين.

أما الذين سيدخلون الحساب أيضاً ، سيشفع فيهم رسول الله ﷺ ، فسيِّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

﴿ يا رسول الله إني أرجو أن أنال شفاعتك يوم القيامة ، قال : لك ذلك ، إني فاعل ، قال : له ، فإذا كان ذلك ، فأين أجدك ؟ ، قال ﷺ : تجدني عند الصراط ، قال : فإن لم أجدك هناك ؟ ، قال : تجدني عند الميزان ، قال : فإن لم أجدك هناك؟ ، قال : تجدني عند تطاير الصحف ، فإني لا أخطأ هذه الثلاثة مواضع ﴾ (١٦)

ثلاثة أشياء في الموقف سيشفع فيهم رسول الله : ✷ عند تطاير الصحف – وهذا بعد الخروج مباشرة – : ......

فالصحف جاهزة والحق سبحانه وتعالى سيأمر خزانة القدرة أن تخرج ما فيها من صحف ، فتخرج كل صحيفة متجهة إلى صاحبها :.... فإن كان من أهل اليمين ؟ ؛ يمسكها بيده اليمنى ، .... وإذا كان من عصاة المؤمنين ؟ ؛ تأتي على يده اليسرى ، .... وإن كان والعياذ بالله من المنافقين ؟ ؛ تعلّق في رقبته .

فعند تطاير الصحف سيكون موجوداً رسول الله ﷺ ، حتى يحصي من لم ينجح ؟ ، ويعرفهم حتى يشفع فيهم ؟ ، فيريد أن يطمئن ، فقد أطمأن على الفوج الأول الذي أدخله الجنَّة أولاً ، وأطمأن على الفوج الثاني الذي أجلسه تحت ظل العرش ، فيعود ليرى الذين يجيئون بالكتب ؟ ......

---

(١٦) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .

فيريد أن يطمئن من الذي سيأخذ كتابه بيده اليمنى ؟ ، ومن الذي سيأخذ كتابه بيده اليسرى ؟لأن هؤلاء الذين هم الشفاعة ، حتى يشفع فيهم صلوات الله وسلامه عليه .

هذه الشفاعة وصل به الأمر إلى أنه ﷺ في ليلة القرب والمناجاة في ليلة الإسراء والمعراج ، قال له : يا رب أمتي أمتي ، فقال له : لا تخف : ....

﴿ أنا لهم ما عاشوا ، وأنا لهم إذا ماتوا وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور ﴾ قال : أنا خائف ، قال له : ﴿ أبشر فإنا لا نسوءك في أمتك ﴾ ، وهذا الأمر الذي قال فيه سيدنا حسان بن ثابت ﷺ وأرضاه :

سمعنا في الضحى ولسوف يعطي ✳ فسر قلوبنا ذاك العطاء
وكيف يا رسول الله ترضى ✳ وفينا من يعذب أو يساء

فقال له : أريد الضمان ....، قال له : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ سورة الضحى ، قال له : إذاً لا أرضى وواحد من أمتي في النار .

فيشفع لأهل الحساب .

✳ فالذي يشفع له عند الميزان ، ومن الذي يشفع له عند الميزان ؟ ، قال ﷺ :

﴿ من مشى في حاجة أخيه المسلم قضيت أو لم تقض ، كنت واقفاً عند ميزانه فإن ثقلت كفة حسناته وإلا شفعت له ﴾ (١٧)

ذلك لمن يمشي في حاجة أخيه المؤمن، ليس لعلة ، أو لغرض ، قال :

سأقف عند ميزانه ، فإذا رجحت كفة حسناته فبها ونعمت ، وإن لم ترجح كفة حسناته ؛ شفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١٧) رواه أبو نعيم عن ابن عمر ﷺ

المكان الثاني : عند الصراط ، ولمن يشفع عند الصراط ؟ ، قال :
لمن يصلي عليه صلوات الله وسلامه عليه :.......

﴿ أكثروا من الصلاة عليّ فإنها نوركم على الصراط ، وأولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة ﴾ (١٨)

فيشفع له ، وماذا تعني الشفاعة هنا؟

الصراط كما نعلم أرق من الشعرة ، وأحد من السيف — وهذا بالنسبة للكفار — ولكن لك أنت .! ؟ ، فرسول الله قال :

﴿ يكون الصراط للمؤمن عرضه كمسيرة ثلاثة أيام ﴾ . (١٩)

فعرضه مثلما يمشي الواحد منا ثلاثة أيام ، وهؤلاء الذين يذهبون سائرين ، ومنهم من يذهب راكباً ، فجماعة يركب لهم أجنحة فيطيرون ، وجماعة يجوزونه كالبرق الخاطف ، يدفعهم رسول الله دفعة فيج وزون كالبرق الخاطف ، وجماعة تحملهم الريح فيمرون عليه كالريح السريعة .

وجماعة : سيدنا جبريل ... — سيدنا جبريل وهو مع رسول الله عند سدرة المنتهى وقف هناك فبكى ، قال له ما يبكيك يا أخي يا جبريل؟ ، قال له : منذ خلقني الله سبحانه وتعالى وأنا خائف من دخول النار — لأنه يرى عظمة الله وجلال الله وقهر الله فخوفه ذلك— فاطلب لي الأمان من الله سبحانه وتعالى ؟

فنزل قول الله سبحانه وتعالى :

---

(١٨) رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن حبان والسيوطي عن ابن مسعود رضي الله عنه
(١٩) رواه القرطبي في التذكرة عن سعيد بن أبي هلال

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾ سورة الشعراء

قال له: أبشر فقد نلت الأمان ! .

قال له : يا رسول الله فإني سأكافئك بها ، قال : بماذا تكافئني؟ ، قال : ...سأجعل جناحي على الصراط يوم القيامة فتمر عليه أمتك ، وجناحه كما تعلمون له ستمائة جناح ..!!.. ، لو ظهر واحد منها لحجب ضوء الشمس ، فسيضع جناحه على النار ؛ حتى يمر المؤمنون على الصراط ولا يقعون في جهنم .

فيذهب رسول الله ليمرر أمته على الصراط : ...فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر كالريح الشديدة ، ومنهم من يحملون على جناح سيدنا جبريل ، ومنهم من يتسع لهم الصراط ليسيروا ، وهذا كله بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من الذي سيحرم من هذه الشفاعة ؟ ....لن يحرم إلا أهل الكبائر .

الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ النَّارِ

وهؤلاء أيضاً يأتي رسول الله يشفع فيهم ، فيستغيثون :... يا محمد ! يا محمد ! يا محمد ! ، فيقول : يارب أمتي أمتي ، فيقول له : ....

{ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: سحقاً } (٢٠)

..... إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك؟ ، فيقول لهم : اذهبوا لتأخذوا حظكم من النار ، لكن أيتركهم ؟........لا......... يبدأ الشفاعة الخاصة التي يقول فيها :

(٢٠) صحيح مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها ، وفيها روايات عديدة .

﴿ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ﴾ (٢١)

﴿ فأستأذن على ربي.، فيؤذن لي.، فأقوم بين يديه.، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن. يلهمنيه الله.، ثم أخر له ساجداً.، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك.، وقل يسمع لك.، وسل تعطه.، واشفع تشفع.، فأقول: رب أمتي. أمتي.، فيقال: انطلق. فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها.، فأنطلق فأفعل.، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً.، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك.، وقل يسمع لك.، وسل تعطه.، واشفع تشفع.، فأقول: أمتي. أمتي.، فيقال لي: انطلق.، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها.، فأنطلق فأفعل.، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد.، ثم أخر له ساجداً.، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك.، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع.، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان — وفى رواية أخرى: وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة — فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل ﴾ (٢٢)

---

(٢١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والبيهقي والبزار والحاكم عن أنس ورواه ابن ماجه عن جابر ورواه القضاعى والطبراني عن ابن عباس ورواه الخطيب عن ابن عمر ﷺ.

(٢٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي رواية : ﴿ يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ولو مرة ! ﴾

وهذه هي التي سيندم عليها الآخرون ، وفيها يقول الله :

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝ ﴾ الحجر

الشفاعة في أهل الجنة.

وهناك شفاعة أخرى لأهل الجنة ، الذين دخلوها، ويريـــدون المنـــازل العالية والدرجات الراقية فيها ، والتي لم تبلغها أعمالهم، ولا يوصل إليها جهادهم:

فيذهبون إلى رسول الله ﷺ ، فيشفع لهم عند الله ﷻ ، فيرقـــيِّهم الله ﷻ في المنازل الرضوانية ، والدرجات الجنانية دون نظر إلى مجهودهم ..... ، إكراماً لحبيبه ومصطفاه ، وإلى هذا الإشارة بالحديث الذي يقول فيه ﷺ :

﴿ يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة .[٢٣] ﴾

وبالجملة فإن شفاعات رسول الله ﷺ ، لا تعد ، ولا تحصى ، ولـــو حاولنـــا استقصاءها لاحتجنا إلى مجلد كبير ، ولكن المؤمن يكفيه قليل الحكمة .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا شفاعته في الدنيا والآخرة ، وأن يمتعنـــا بـــالنظر إلى أنواره الباهرة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

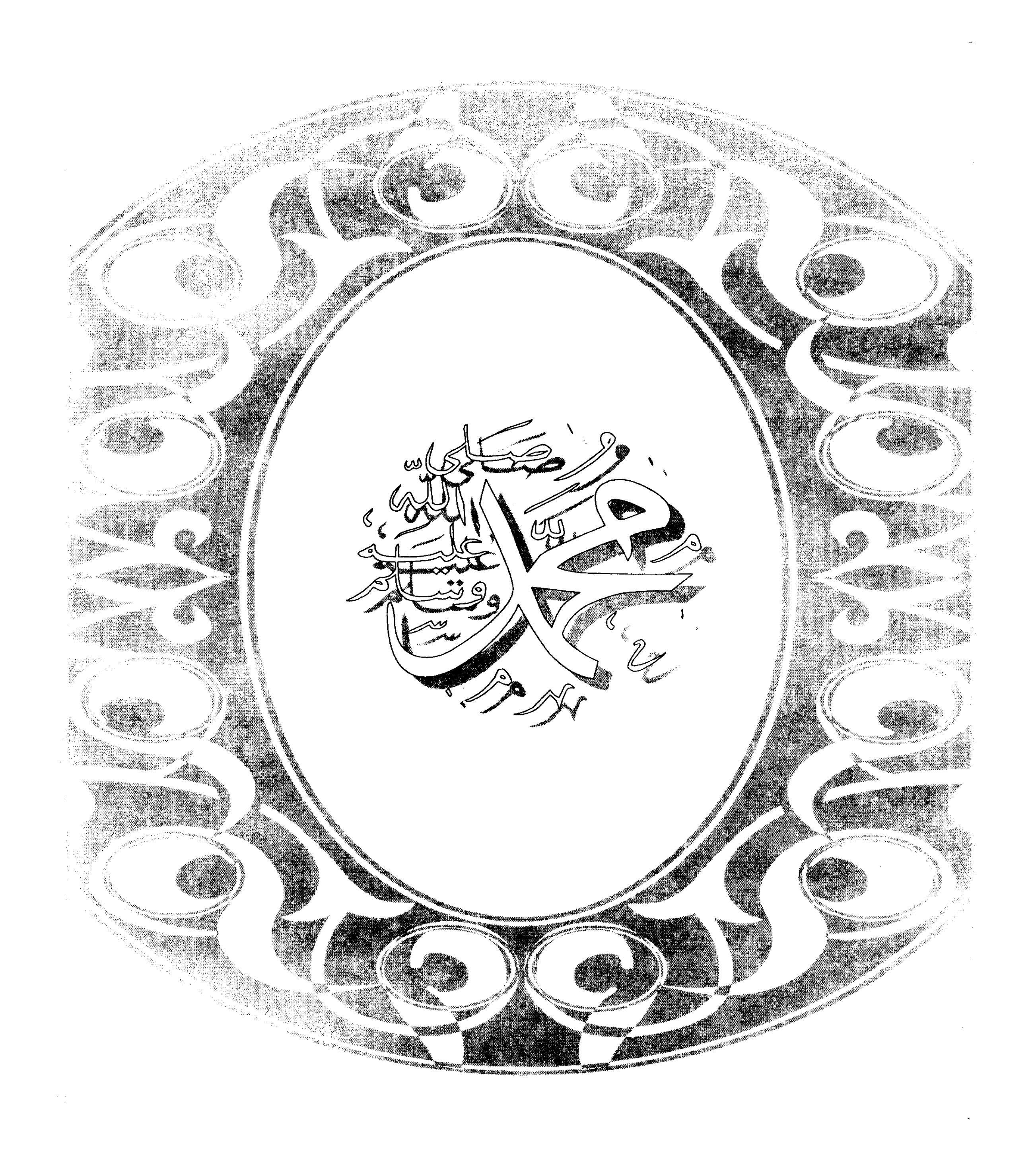
(٢٣) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه .



الخَاتِمَة

- تَـذَوُّقُ طَعْـمِ الإيمـان
- أسْبَابُ فُقْدَانِ حَلاوَةِ الإيمان
- طَـرِيقُ ذَوْقِ حَلاوَة الإيمان
- عَلامَةُ الذَّائِقِ لِطَعْمِ الإيمان

وخِتَامَا .


محمد صلى الله عليه وسلم

الخاتمة

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سعد السعود ، وكنز حضرة الجود ، الـذي أفرده الله بالشهود ، وجعله مفتاحاً للكرم والجود ، سيدنا ومولانا محمد وآله وصـحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين. آمين.

تذوق طعم الإيمان.

إن من أهم الدواعي لدى سلفنا الصالح للإهتمام بالحضرة المحمدية ؛ تـذوقهم لطعم الإيمان ، وإحساسهم بحلاوة الإيمان ، فكانوا يجدون حلاوة الإيمان :

عند تلاوة القرآن ، وعند تطبيق سنة النبي العدنان ، وعند سماع سـيرة الـنبي صلى الله عليه وسلم ، وعند رواية الوقائع التي حدثت بين أهل الشرك وأهل الإيمان .

وحلاوة الإيمان لا تشترى بالأموال ؛ وإنما تنال بـصفاء جـواهر النفـوس ، وبطهارة القلوب ، فلو كانت هناك نفس خبيثة ، وتملك أموال الدنيا كلها ؛ فإنهـا لا تستطيع أن تتذوق حلاوة الإيمان ، ورب نفس لا يملك صاحبها من الدنيا إلا الكفاف ، لكنها طابت وأنابت إلى الله عز وجل ، فمثل هذه يكرم الله صاحبها بتـذوق حـلاوة الإيمان ، سر قوله صلى الله عليه وسلم:

﴿ رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، ذِي طِمْرَيْنِ ، لا يُؤْبَهُ لَهُ ،
لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ﴾ [1]

---

(1) رواه الطبراني عن أنس وابن ماجة عن معاذ بن جبل ومسلم عن أبي هريرة .

أسباب فقدان حلاوة الإيمان.

ما العلل التي تمنع من تذوُّق حلاوة الإيمان ؟ ، ...أضرب لذلك مثلاً :...عندما يمرض أحدنا بالحمَّى ، ونناوله كوب ماء محلًّى بالسكر ؛ ويتذوقه يجده مرًّاً ، لمـــاذا ؟ ، هل المرارة التي يجدها من الكوب ؟ لا.!. بل من عنده هو ، لأن ذوقه مريض ، وقلبـــه سقيم ، فهو كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ✳ وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالذي عنده رمدٌ في عينيه ، حتى لو أقسمت له بأغلظ الأيمـــان ، أن الـــشمس مشرقة ، لم يصدق ؛ لأنه لا يراها ، فكذلك الأمر لمن اهتمَّ بصحة الأجسام ، وأهمـــل عافية القلب ، فإذا وخزته إبرة يسارع إلى الطبيب هلعاً وجزعاً .!. ، وإذا أصيب بداء الغفلة ، أو مرض القسوة في قلبه ، لا يهتم .!. وفي مثل هؤلاء يقول الرجل الحكيم :

ابنيَّ إن من الرجال بهيمة ✳ في صورة الرجل السميع المبصر
فطنٌ لكل مصيبة في ماله ✳ وإذا أصيب بدينه لا يبصر

طريق ذوق حلاوة الإيمان

كيف تتذوق حلاوة الإيمان ؟ .... إن الذي يرغب في تذوُّق حلاوة الإيمان :

١- لابد أن يعالج قلبه من الأدواء التي به كالحقد ، والحسد ، والأنانية ، والحرص ، والشحِّ ، والطمع ، والغفلة ، وسوء الظنِّ .

٢- ثم يغسله بماء الاستغفار والندم .

٣- ويجلى صفحته ، ويصقل مرآته بالمداومة على ذكر الله عز وجل .

فإذا صفا القلب بالفكر ..، بعد الرياضة بالذكـــر ..، يصير صاحبه كما قـــال

الإمـــام أبو العزائم رضي الله عنه :

إذا صفا القلب من وهم وشبهات ✵ يشاهد الغيب مسروداً بآيات

علامة الذائق لطعم الإيمان.

فإذا صفا القلب ؛ يرى الغيب ، ويذوق حلاوة الإيمان .

وما علامة الذي يتذوَّق حلاوة الإيمان ؟.، ..ما أشار إليه رســـول الله ﷺ في قوله عليه أفضل الصلاة و أتمُّ السلام : ......

﴿ ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ الإيمان :

١- أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما.

٢- وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله.

٣- وأن يَكرَهَ أن يَعودَ في الكُفرِ كما يَكرَهُ أن يُقذَفَ في النَّار [٢] ﴾

فمثل هذا تجده دائماً :

في مجالس ذكر الله ، أو على موائد كرم الله وفضل الله ، **وهي موائد ممدودة** ، وأرزاق مشهودة ؛ لكن لأهل الإيمان ، وإليها الإشارة **بقوله صلى الله عليه وسلم** :

﴿ القرآنُ الكريم مَأدُبةُ الله في الأرض [٣] ﴾

وماذا يأكل منها **الجالسون** عليها؟ : ...نوراً ، وعلماً ، وأســـراراً ، وورعـــاً ، وحياءاً ، وتقوى ، وزهداً ، **وحكمةً** ، وسكينةً ، وخشيةً ، وخشوعاً .

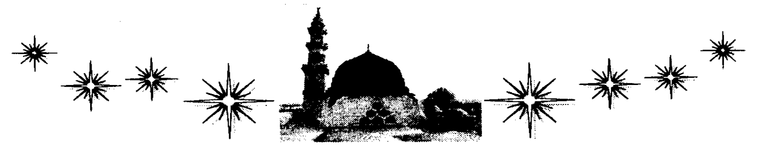
([٢]) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن حبان عن أنس .

([٣]) رواه السيوطي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

ولذلك فليس المحروم الذي يحرم نفسه من المآكل الشهيِّ ، والشراب الرويِّ ، والمنكح البهيِّ ، والفراش الوطيِّ ، والجاه العليِّ ، وإنما المحروم الذي يحرم نفسه من مائدة القرآن ، وشراب العرفان ، ومصاحبة الصَّالحين ، ومجالسة المتَّقين ، ونور الذاكرين ، وأنس المتَّقين ، وصفاء الموحِّدين ، وعلوم الأصفياء والمقرَّبين.

إذن فحلاوة الإيمان لا تُطْلَبُ من العواصم الأوروبية ، ولا من المدن الأمريكية ، وإنما توهب بمحض الفضل من مدينة الأنوار القرآنية ، والمطلوب منك لكي تتذوقها أن توجِّه القلب السليم إلى الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم ، وما دام القلب سليما ، والجسد مستقيما ، تكون حلاوة الإيمان في القلب موجودة ، وللفؤاد مشهودة ، وكما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

ولا عجب إن لاح بدر محمد
يلوح على قوم ويرقوا به السما
فنقطة نور منه تحيي قلوبنا
فكيف إذا ما كنت بحراً و انجما
ولا حرج يا قوم فالفضل واسع
و نور رسول الله بالفتح والفضل عمما
فلا تعترض إن شئت تشرب راحنا
فمن ذاقه يغدو سعيداً معظما
وهذا وأيم الحق منه بإذنه
و قد صرت عنه داعياً و مترجماً



...وختاما...

إلى أصحاب الأذواق السليمة ، والأحوال المستقيمة ، والأخلاق الكريمة ، قدَّمنا هذا الكتاب ... : .... تعبيراً عما تكنُّه ضمائرنا، وتحمله سرائرنا، نحو هذا السيد العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، فما كان فيه من خير ؛ فمن معونة الله وتوفيقه ، وما فيه من سهوٍ ، أو نسيانٍ ، أو خطأ ؛ فمن زللى ، وعجلتي ، وتسرُّعي .....

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ الآية ٧٩ سورة النساء.

فإن حاز القبول والرضا عند القراء ،؟...... فمن تأييد الله وعطفه وحنانه ، وإن لم ينل الاستحسان ؟.... فقد يكون ذلك بسبب خبث طويَّتي وفساد نيَّتي ... ، وقد كان الفراغ منه يوم الإثنين غرة ذو الحجة ١٤١٥ هـ ، الموافق أول مايو ١٩٩٥م ، أسأل الله عز وجل أن يتقبَّله بقبول حسن : ....

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ سورة البقرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

يا ربِّ بالمصطفى بلغ مقاصدنا ✳ واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر إلهي لكل المسلمين ✳ بما يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبة حرم ✳ واسمه قسم من اعظم القسم

تمَّ بحمد الله وبركة مصطفاه صلى الله عليه وسلم

ترجمة كاتبه

الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

✿ **تاريخ ومحل الميلاد :**

١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة - مركز السنطة - الغربية

✿ **المؤهل :**

ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

✿ **العمل :**

مدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

✿ **النشاط :**

١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ ، شارع ١٠٥ ، حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة

الملتيميديا للمحـــاضرات ، و الدروس و اللقاءات ، على الشرائط و الأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت :

WWW.Fawzyabuzeid.com

۞ دعـوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل على جمع الصف الإسلامى ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد ، والأحساد ، والأثرة ، والأنانية ، وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية ، بعد تهذيب نفوسهم ، وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التّصوُّف مِما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التّصوف السلوكى المبنى على القرآن ، وعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية .

وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه و سلم

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، دار الشعب.

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

- كتب السنَّة :

٣- المعجم المفهرس للحديث النبوي ، أربرى ومجموعة من المستشرقين ، فنسك، هولندا.

٤- الجامع الكبير، السيوطي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

٥- الجامع الصغير، السيوطي، مصطفى الحلبي، القاهرة.

٦- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، السيوطي، دار الاعتصام، القاهرة.

٧- كشف الخفاء، العجلوني، دار التراث، حلب.

٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقى الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩- كنوز الحقائق، المناوى، دار الجيل، بيروت.

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

- كتب السيرة :

١٠- دلائل النبوة، أبو نعيم، مكتبة المتنبي، القاهرة.

١١- خير البشر بخير البشر، ابن ظفر الحموى.

١٢- السيرة النبوية، ابن هشام، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٣- الأنوار المحمدية، النبهاني، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٤- حجة الله على العالمين، النبهاني، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٥- جواهر البحار، النبهاني، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٦- سعادة الدارين، النبهاني، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٧- شواهد الحق، النبهاني، مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٨- الشفاء للقاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠- وفاء الوفاء السمهودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الشامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة.
٢٢- رسول الله في القرآن الكريم، حسن كامل الملطاوي، دار المعارف، القاهرة.
٢٣- السيرة النبوية والآثار المحمدية، دحلان، دار المعرفة، بيروت.

oooooooooooooooooooooo

- **كتب صوفية :**

٢٤- الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم، رشيد التاذفي ، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.
٢٥- الإبريز، الدباغ، دار الفكر، بيروت.
٢٦- الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت.
٢٧- شجرة الكون، لابن عربي، مكتبة صبيح، القاهرة.
٢٨- محمد ﷺ الإنسان الكامل، د. محمد علوي المالكي، دار الشروق، مكة المكرمة .
٢٩- الذخائر المحمدية، د. محمد علوي المالكي، دار جوامع الكلم، القاهرة.
٣٠- لواقح الأنوار، للشعراني، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.
٣١- جوامع المعاني، التجاني، الكليات الأزهرية، القاهرة.
٣٢- الطهور المدار على قلوب الأبرار، أبو العزائم، المدينة المنورة، القاهرة.
٣٣- الإسراء معجزة خالدة، الشيخ محمد علي سلامة، الإيمان والحياة، القاهرة.
٣٤- أخبار الحلاج ومعه الطواسين، عبد الحفيظ مدني، مكتبة الجندي، القاهرة.
٣٥- بشائر النبوة الخاتمة، رؤوف شلبي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
٣٦- معجزات في الطب للنبي العربي، محمد سعيد السيوطي، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٣٧- الناموس الأعظم في قدر المصطفى ﷺ ، عبد الكريم الجيلي ، مخطوط.
٣٨- قاب قوسين وملتقى الناموسين ، عبد الكريم الجيلي ، مخطوط.
٣٩- تقريب الأصول، ابن دحلان ، مصطفى الحلبي.

oooooooooooooooooooooo

محتويات الكتاب

لتسجيل ملاحظاتك الكريمة

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

صلى الله عليه وسلم